مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية فصلية أكاديمية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

في هذا العدد:

- دور الطريقة الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري
  د.هوارية بكاري(جامعة تلمسان)
- . الموقف البريطاني من تجارة الرقيق في الخليج العربي(1820 – 1890)
  د. اشرف صالح (جامعة ابن رشد – هولند)
- تطور المصالح الصحية
  د.جلالي تكران (جامعة الشلف)
- موقف مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بمنطقة الأوراس من أزمة الحزب وتداعياتها من خلال الوثائق الأرشيفية والشهادات
  د.تيتة ليلى (جامعة باتنة 1)
- الإسهامات السياسية والثقافية للنخب الجزائرية في أوروبا والمشرق العربي
  د.خيرالدين شترة (جامعة المسيلة)
- الدور الاجتماعي للمدرسة الجزائرية ومكانة الطفل المهام الاجتماعية، الصعوبات والعوائق
  د.هويدي عبد الباسط (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- التأمينات الاجتماعية للأسرة الجزائرية –على ضوء النصوص التشريعية والتنظيمية
  أ.عريق لطيفة، أ.نبار ربيحة (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- إضطرابات اللّغة و الكلام لدى الطفل على ضوء إختبار الرورشاخ – دراسة عيادية ل 20 حالة طفل في مرحلة الكمون
  د.زيوي عبلة (جامعة الجزائر 2)
- درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين)
  د.نافد سليمان الجعب(جامعة الاقصى– فلسطين)

العدد الخامس (5) / رمضان 1437هـ - جوان2015

ISSN 2170-0370

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة الشهيد حمّه لخضر - الوادي
Université Echahid Hamma Lakhdar - El-Oued

مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية أكاديمية فصلية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد الرابع (5) رمضان 1437هـ / جوان2015

توجه جميع المراسلات الى:
رئيس تحرير مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- جامعة الوادي، طريق الشط 39000- الوادي/ الجزائر
Tél/fax: 032210731 /B.P 789
Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

ISSN 2170-0370

ادارة المجلة

المدير الشرفي

أ.د/ عمر فرحاتي
مدير جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

مدير المجلة

د/ عبد الرحمان تركي
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

رئيس التحرير

د/ رضوان شافو
نائب رئيس قسم العلوم الانسانية لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

اعضاء هيئة التحرير

د/ سلاف مشري

أ.معاذ عمراني

أ.اسمهان جبالي

بريد المجلّة الإلكتروني

elbaheth@univ-eloued.dz

*** ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبة ولا يعبر عن رأي المجلة.**
*** يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.**

الهيئة العلمية الاستشارية

من داخل الجـــزائر

أ.د/ بوبكر لشهب	(جامعة الوادي)	د/ قمعون عاشوري	(جامعة الوادي)
أ.د/ الطاهر سعدالله	(جامعة الوادي)	د/ علي غنابزية	(جامعة الوادي)
أ.د/ ابراهيم رحماني	(جامعة الوادي)	د/ جمال بلفردي	(جامعة الوادي)
أ.د/ اسماعيل العيس	(جامعة الوادي)	د/ السعيد شلالقة	(جامعة الوادي)
أ.د/ علي آجقو	(جامعة بسكرة)	د/ شوقي ممادي	(جامعة الوادي)
أ.د/ مبخوت بودواية	(جامعة تلمسان)	د/ لامية بوبيدي	(جامعة الوادي)
أ.د/ الشايب قدادرة	(جامعة قالمة)	د/ لزهر ضيف	(جامعة الوادي)
د/ عبد الفتاح ابي ميلود	(جامعة ورقلة)	د/ بوبكر منصور	(جامعة الوادي)
د/ محمد السعيد عقيب	(جامعة الوادي)	د/ الطاهر بالنوي	(جامعة الوادي))
د/ محمد الطاهر طعبلي	(جامعة الجزائر2)	د/ موسى بن موسى	(جامعة الوادي)
د/ محمد رشدي جراية	(جامعة الوادي)	د/ محمد عبد الرؤوف ثامر	(جامعة الوادي)
د/ عبد الكامل عطية	(جامعة الوادي)		

من خارج الجـــزائر

أ.د/ عبد الكريم الماجري	(جامعة منوبة – تونس)
أ.د/ اشرف صالح محمد سيد	(جامعة ابن رشد – هولند)
د/ محمد الامين ولد آن	(جامعة نواقشط – موريطانيا)
د/عمر زعل السعودي	(الجامعة الاردنية– الاردن)
د/عبد الواحد عبد السلام شعيب	(جامعة طرابلس– ليبيا)
د/ ساعد ساعد	(جامعة الملك خالد– السعودية)

شروط و قواعد النشر بمجلّة الباحث
في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- المجلّة متفتّحة على جميع البحوث في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المؤلّفة باللغات الثلاث العربية و الفرنسية و الإنجليزية.
- أن يكون الباحث حاصلا على درجة الماجستير على الأقل، أو مسجّلا في الدكتوراه، ويُرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية وصورة فوتوغرافية شخصيّة.
- يُعبّر المقال عن رأي صاحبه الذي يتحمّل المسؤولية المدنية المترتّبة عنه، ولا يُعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.
- ألاّ يكون المقال تلخيصا لمذكرة أو أطروحة جامعية.
- أن يكون مشروع المقال أصيلا وجديدا لم يعرض ولم ينشر سابقا.
- يتألّف مجموع المقال من 4000 إلى 8000 كلمة، على ألاّ يتجاوز بجميع مكوناته العشرين صفحة
- يُزوّد المؤلّف مقاله بملخصين أوّلهما بلغة المقال والثاني بلغة أخرى من المذكورة أعلاه، وعلى أن يكون أحدهما بالعربية، وألاّ يتجاوز الملخّص 100 كلمة.
- ويُزوّد المقال كذلك بخمسة كلمات مفتاحية بلغة المقال، وبترجمتها إلى العربية إن كان المقال بلغة أجنبية.
- أن لا يقل عدد صفحات البحث عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة مكتوبة بخط Traditional Arabic مقاس 14 وتباعد 1سم. وتكتب الهوامش بطريقة عادية في نهاية البحث، وبمقاس 10 وتباعد 1سم
- تخضع جميع المشاريع المقترحة لفحص علمي دقيق من قبل هيئة خبراء استشارية وقرارها غير قابل للنقض، ولا يمكن إجراء أي خطوة لنشر المقال قبل صدور قرار إيجابي.
- يتحمّل مؤلّف المقال مسؤولية إجراء كافّة التعديلات المطلوبة من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير وذلك للسماح بنشر المقال.
- تتمّ مراسلات تأهيل المقال للنشر بين المجلّة والمؤلّف بالبريد الإلكتروني.
- يُلغى المشروع في حال عدم ردّ المؤلّف في أجل 30 يوما من تاريخ آخر مراسلة إلكترونية له من المجلّة
- لا تنشر المجلّة إلاّ المقال الذي تكتمل فيه جميع الشروط، ولفريق التحرير الحقّ في تأجيل نشره إلى عدد لاحق عند الضرورة.
- لا ترد الدراسات والبحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يترتّب أي تعويض مادّي للمؤلّف في حال نشر المجلّة لمقاله.

ترسل جميع البحوث والدراسات إلى العنوان الإلكتروني للمجلة: elbaheth@univ-eloued.dz

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين :

الحمد لله حمداً عظيما على توفيقه لنا في إصدار العدد الخامس من مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ،والذي يرى النور في حلة جديدة،وبخطى ثابتة وبعزيمة المشرفين على ادارة هذه المجلة وأسرة تحريرها،حيث جاء هذا العدد بمواضيع متنوعة ومتميزة ،وحافلا بموضوعات متخصصة ، حيث تعددت مجالاتها المعرفية بين الانسانية والاجتماعية والاعلامية والاسلامية، والتي ستكون مرجعا علميا يستفيد منه كل الطلبة والباحثين،وخطوة جادة وأصيلة نحو البناء المعرفي.

وفي هذا الصدد تُهيب أسرة التحرير وأعضاء الهيئة الاستشارية العلمية بالمجهودات المبذولة والتسهيلات المقدمة من طرف مدير جامعة الوادي وطاقم إدارة كلية العلوم الاجتماعية والانسانية من أجل إيصال هذه المجلة الى تحقيق اهدافها الفكرية والعلمية، وجعلها في مصاف المجلات المصنفة وطنيا ودوليا.

كما اننا نسعى الى جعل هذه المجلة منبراً لأرائكم وافكاركم العلمية،ونرحب باسهاماتكم وملاحظاتكم،وبكل ما ترونه ضروريا للارتقاء بهذه المجلة شكلا ومضمونا،وندعوا كل الاساتذه والباحثين ان يكونوا فاعلين في مجلتنا من اجل استمرار صدورها بصفة دورية منتظمة.

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

د. رضـــوان شافو

قائمة المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

- كلمة العدد 05
- دور الطريقة الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري.....08
  د.هوارية بكاري(جامعة تلمسان)
- . الموقف البريطاني من تجارة الرقيق في الخليج العربي(1820 – 1890).....16
  د. اشرف صالح (جامعة ابن رشد– هولند)
- عبادة الإله آمون والإلهة تانيت ببلاد المغرب القديم بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي 32
  صالح بن سالم
- تطور المصالح الصحية في الولاية الرابعة التاريخية خلال الثورة التحريرية (1956– 1962): مظاهر ومشاكل.....39
  د.جيلالي تكران (جامعة الشلف)
- الحب المقدّس وأخلاق السعادة عند القدّيس أوغسطين.....51
  أ.كحول سعيدي(جامعة قالمة)
- السكة والنظام المصرفي بالمغرب الإسلامي في دول ما بعد الموحدين (ق07-09هـ/13-15م).....63
  محمد بن ساعو(جامعة سطيف 2)
- موقف مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بمنطقة الأوراس من أزمة الحزب وتداعياتها من خلال الوثائق الأرشيفية والشهادات.....81
  د.تيتة ليلى (جامعة باتنة 1)
- الإسهامات السياسية والثقافية للنخب الجزائرية في أوروبا والمشرق العربي.....90
  د.خيرالدين شترة (جامعة المسيلة)
- الدور الاجتماعي للمدرسة الجزائرية ومكانة الطفل المهام الاجتماعية، الصعوبات والعوائق.....109
  د.هويدي عبد الباسط(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- التأمينات الاجتماعية للأسرة الجزائرية – على ضوء النصوص التشريعية والتنظيمية–.....115
  أ.عريق لطيفة، أ.نبار ربيحة (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)
- إضطرابات اللّغة و الكلام لدى الطفل على ضوء إختبار الرورشاخ – دراسة عيادية ل 20 حالة طفل في مرحلة الكمون.....127
  د.زيوي عبلة (جامعة الجزائر 2)
- درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين).....137
  د.نافد سليمان الجعب(جامعة الاقصى– فلسطين)
- الكتابة الجنائزية بجريدة الخبر اليومية ؟أي سياق لأي مضمون؟.....164
  أ.لحسن رضوان (جامعة مستغانم)

❖ الإعلام الأمني كما يراه الصحافيون في الجزائر.دراسة ميدانية على صحفيي يوميات الخبر والنصر والوطن.....190
أ.طلحة الياس (جامعة سكيكدة)

دور الطريقة الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري

د.هوارية بكاي
جامعة ابي بكر بلقايد– تلمسان

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص

يعالج هذا الموضوع الموسوم بـ : « دور الزاوية الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري.» بالبحث والدراسة دور الطريقة الرحمانية من خلال بعض الزوايا التي تفرعت عنها والتي أخذناها كنماذج في المقاومة الشعبية المسلحة بالجنوب الشرقي الجزائري مشاركة ودعما ،وهذه الزوايا هي: الزاوية العزوزية بطولقة ،الزاوية المختارية بأولاد جلال ، الزاوية القاسمية ببوسعادة ،الزاوية الحافظية بخنقة سيدي ناجي ببسكرة.

الكلمات المفتاحية: الطريقة الرحمانية – المقاومة الشعبية – الجنوب الشرقي ـ الزاوية القاسمية ـ خنقة سيدي ناجي.

Résumé:

Ce sujet sous l'intitulé « Le rôle de la Zaouia Er-rahmania dans la résistance populaire au sud-est de l'Algérie », traite avec la recherche et l'étude le rôle Zaouia Er-rahmania dans le déclenchement et le soutien de la résistance à la zone de sud-est a travers le rôle dérivation des Zaouiates : EL-AZOUZIA à Tolga ,EL-MOKHTARIA à Aoulad-djèlal ,EL-KASSIMIA à BOUSAÂDA ,et EL-HAFIDIA à Khankat sidi Nadji à Biskra.

Mots clefs : Er-rahmania - la Résistance populaire - la zone de sud-est - la Zaouia el-Kassimia - Khankat sidi Nadji.

مقدمة:

تعتبر الجزائر من أهم مراكز الطرق الصوفية في العالم الاسلامي ،إذ كانت من أوائل الدول التي عرفت هذه الظاهرة خاصة بعدما أسس القطب أبي مدين الغوث طريقته المدينية بمدينة بجاية خلال القرن السادس الهجري 1،والتي تزامنت مع ظهور الطريقة القادرية 2 ببغداد والتي يعتبرها الكثير من المختصين في هذا المجال أول طريقة صوفية عرفها العالم الاسلامي.

كما كانت الجزائر مهدا لطرق صوفية جديدة انتشرت منها إلى الأقاليم الأخرى من العالم الاسلامي كالطريقة اليوسفية 3 والتيجانية 4 والرحمانية وغيرها. ورغم أن هذه الطرق قد اختلفت مبادئها ومناهجها ومواقفها وآرائها وتوجهاتها ،إلا أن كثيرا منها اجتمعت على مبدأ مقاومة الاحتلال الفرنسي وتطهير البلاد منه ،منتهجة في ذلك وسائل وسبل عديدة ،التربوية منها والتوعوية والمسلحة.

وقد برز من شيوخ وأتباع هذه الطرق رجال حملوا على عاتقهم مسؤولية المقاومة والدفاع عن أرضهم وعرضهم كالأمير عبد القادر ومحمد الأمجد الشريف بوبغلة ،ولالة فاطمة أنسومر ،وأولاد سيد الشيخ ،والشريف محمد بن عبد الله ،والشيخ المقراني والشيخ الحداد ،وبناصر بن شهرة 5 ،وغيرهم .

ومن أبرز هذه الطرق وأوسعها انتشارا الطريقة الرحمانية التي استطاعت الصمود والثبات وسط العديد من الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر غبر تاريخها الطويل ،والتي كان لها الدور الكبير في التصدي للظلم والاستبداد في الجزائر ومقاومته. فما هي أصول هذه الطريقة؟ وما هي فروعها؟ وما هو موقفها من الاحتلال الفرنسي للجزائر؟ وإلى أي مدى ساهمت هذه الطريقة في التصدي له خاصة في الجنوب الشرقي؟ ومن هم أشهر أتباعها الذين ثاروا ضد الاحتلال الغاشم وقاوموه في هذه المنطقة؟

أولا: مؤسس الطريقة الرحمانية (الخلوتية) 6.

تأسست الطريقة الرحمانية في الجزائر أواخر القرن الثالث عشر الهجري على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن ابراهيم الذي يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والذي اشتهر باسم محمد بن عبد الرحمن القشطولي 7 الجرجري 8 الزواوي 9 الأزهري 10 ،ومن اسمه – عبد الرحمن – أخذت الطريقة تسميتها.

ولد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بمنطقة آيت اسماعيل الواقعة بفروحة على بعد 15 كيلومتر شرقي مدينة ذراع الميزان .تلقى تعليمه الأولي بزاوية الشيخ ابن أعراب بقرية آيت ايراثن ،انتقل بعدها إلى جامع الأزهر اين أخذ عن شيوخ التصوف من أمثال محمد بن سالم الحفناوي الذي لقنه أصول الطريقة الخلوتية 11 ثم أرسله إلى بلاد الهند والسودان 12 لنشر تعاليمها ،وبعد غياب دام حوالي ثلاثين سنة عاد الشيخ عبد الرحمن الأزهري إلى الجزائر عام 1770م13 لنشر الطريقة الخلوتية بايعاز من الشيخ الحفناوي. فمكث بمدينة بجاية بعض الوقت مرشدا وواعظا بمسجد سيدي أمحمد أمقران ،ثم انتقل إلى آيت اسماعيل بزواوة التي أقام بها فترة يدعو إلى طريقته وقد تزايد الاقبال عليه ،ومن بين الذين أخذوا عنه الشيخ أحمد التيجاني.14

بآيت اسماعيل ذاع صيت الشيخ عبد الرحمن وتزايد طلبته ومريدوه وهو الأمر الذي لم يرق الكثير من الفقهاء الذين حقدوا عليه ودسوا الكثير من المكائد ،ومن بين الذين أظهروا عداءهم وتصدروا لذلك أولاد قاسي بتامدة ،وزعموم بقشطولة وسيدي الجودي وبن علي الشريف بأيلولة والصومام ،الأمر الذي دفعه إلى مغادرة المنطقة نحو مدينة الجزائر التي نزل بحي الحامة منها أين شرع ينشر تعاليم طريقته ،وابتنى زاوية له على قطعة أرض أهدتها له قبيلة بن عيسى ،ولم يمض نصف عام حتى التف حوله جمع غفير من الطلبة والمريدين.15

أظهر الشيخ عبد الرحمن الأزهري تفوقا ونبوغا علميا في جميع العلوم الشرعية فتزايد توافد طلاب العلم عليه ،ولما كان الكثير منهم قد أقبل عليه تاركا زوايا أخرى 16 ثار ضده شيوخها وأثاروا الناس وحرضوهم عليه بعد أن اتهموه بالابتداع والخروج عن تعاليم الدين 17 الأمر الذي اضطره إلى المغادرة نحو مسقط رأسه آيت اسماعيل بجرجرة اين أسس زاوية جديدة لم يقم فيها طويلا إذ توفي عام 1208هـ / 1793م ،ودفن بهذه الزاوية لكن أتباعه ومريديه من مدينة الجزائر نقلوا جثمانه منها إلى زاويته بالحامة ودفنوه بها ،لذلك أصبح يعرف بسيدي عبد الرحمن بو قبرين.18

بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن خلفه على رئاسة الزاوية الرحمانية الشيخ علي بن عيسى المغربي الذي كان شيخه الأزهري قد ترك له جميع كتبه ورسائله 19 وأرضه وأوقاف الزاوية قبل وفاته وأشهد أهل آيت اسماعيل على ذلك ،وقد استمر الشيخ علي بن عيسى يدير الزاوية الرحمانية تعليما وطريقة مدة ثلاثة وأربعين سنة.20

ثانيا: دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال.

تعد الطريقة الرحمانية أقوى الطرق الصوفية في الجزائر ،وأكثرها توسعا ونشاطا 21 وذلك استنادا إلى تقارير وإحصاءات قدمها المكتب العربي بناحية قسنطينة سنة 1849م ،حيث ذكر أن عدد مريديها يقدر بثلاثة آلاف شخص من مجموع ستة آلاف وأربعمائة وخمسون مريد من الطرق الأخرى 22 ،ليصل عدد مريدها سنة 1930م إلى خمسة عشر ألف وستمائة وعشرون شخصا موزعين على مائة وسبعة وسبعين زاوية يؤطرهم ثلاثة وعشرون مؤطر ،ومن أهم مراكزها نذكر زاوية الحامة ،وزاوية آيت اسماعيل ،وزاوية صدوق بنواحي سطيف ،وزاوية البرج بالقرب من طولقة وزاوية أولاد جلال ،وزاوية خنقة سيدي ناجي.23

وكما ذكرنا سابقا فإن الطريقة الرحمانية قد ساهمت بشكل فعال في مقاومة الاحتلال الفرنسي بشتى السبل والوسائل شأنها في ذلك شأن الكثير من الطرق الصوفية ،سواء بتعبئة الأهالي وتوعيتهم للتصدي للبدع والخرافات التي ما فتئ الاستعمار الفرنسي على اشاعتها في أوساط المجتمع الجزائري ،أو من خلال مساندتها للانتفاضات والثورات الشعبية التي قادها زعماء ينتسبون إلى طرق أخرى كمقاومة الأمير عبد القادر الذي كان أحد أقطاب الطريقة القادرية ،وثورة الشريف محمد بن عبد الله المعروف بالشريف بومعزة من أتباع الطيبية24 ،وثورة الشيخ الناصر بن شهرة من أتباع الطريقة القادرية والذي لقي كل الدعم والمساندة من طرف مقدم الطريقة الرحمانية بنفطة جنوب غرب تونس مصطفى بن محمد بن عزوز الذي فتح زاويته أيضا للعديد من أبطال المقاومة الجزائرية ومن بينهم الأمير محيي الدين بن الأمير عبد القادر وأولاد مصطفى بن عمران الشعانبي

السوفي.25 أو من خلال الثورات التي تزعمها رجال الطريقة الرحمانية كثورة المقراني التي تزعمها روحيا الشيخ الحداد 26 والثورة الحاج عمر القائم على زاوية الشيخ أمحمد بن عبد الرحمن بذراع الميزان وصهر الشيخ علي بن عيسى الخليفة الأول للشيخ عبد الرحمن الأزهري 27 ،وثورة القبائل التي تزعمها الشريف بوبغلة ولالة فاطمة أنسومر.28 وثورة الصادق بن الحاج بمنطقة الأوراس.29

ثالثا: دور الطريقة الرحمانية في المقاومة بالجنوب الشرقي من خلال بعض النماذج:

يعود الفضل في ظهور الطريقة الرحمانية بالجنوب الشرقي الجزائري إلى الشيخ محمد بن عزوز البرجي 30 – تلميذ مؤسس الطريقة الرحمانية الشيخ عبد الرحمن الأزهري – الذي أسس زاوية بقرية البرج على مبادئ الطريقة الرحمانية التي لقنها للعديد من طلابه ومريديه ،والذين من أبرزهم علي بن عمر وعبد الحفيظ الخنقي وعلي بن جروني والصادق بن حاج ومختار الجلالي 31 ،والذين أسسوا بدورهم زوايا خاصة بهم على الطريقة الرحمانية 32 ،وهي الزوايا التي كان لها دور كبير في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالمنطقة ،والتي اخترنا منها بعض النماذج لتكون شاهدة على دور الطريقة الرحمانية في التصدي للاحتلال الفرنسي بالجنوب الشرقي من وطننا الحبيب.

1– دور آل بن عزوز بطولقة:

هي الأسرة التي ينحدر منها الشيخ محمد بن عزوز مؤسس الزاوية العزوزية ،والتي استقرت بمنطقة البرج بالقرب من طولقة قادمة من المغرب الأقصى ،وقد حظيت باحترام كبير من طرف سكان المنطقة التي اصبحت تعرف باسمهم فيقال برج بن عزوز .33

وحسب علي رضا الحسيني فإن آل بن عزوز كانوا العدو الأول لسلطات الاحتلال الفرنسي بالجنوب الجزائري ،فقد شاركوا في مقاومة الأمير عبد القادر وكان الحسن ابن الشيخ محمد بن عزوز خليفة للأمير عبد القادر بمنطقة الزيبان ،وكان لهم دور كبير في مقاومة المحتل الأمر الذي دفع بالسلطات الاستعمارية إلى غلق الزاوية العزوزية ومصادرة أملاكها ومنع الزيارة إليها.34 وقد قامت السلطات الاستعمارية ببيع أملاك الزاوية من أراض وزروع في المزاد العلني ،لكن الله قد قيض لها الشيخين علي بن عثمان الطولقي ومحمد بن أبي القاسم الهاملي فاشتريا هذه الممتلكات وأرجعاها إلى الزاوية ،وقدر ثمن الأراضي بنخيلها بآلاف الدنانير.35

دفع هذا التضييق الذي فرضته السلطات الاستعمارية على عائلة بن عزوز بأفرادها إلى اللجوء إلى تونس حيث استقروا بمنطقة نفطة أين أسسوا زاوية جديدة كان رئيسها الشيخ مصطفى بن عزوز واصلت العمل الذي كانت تقوم به الزاوية الأم بالبرج ،كما واصلت عملها الجهادي بدعم قادة المقاومة والمجاهدين اللاجئين ألى تونس وإيوائهم ،ومن اشهرهم الشيخ الشريف بن عبد الله والشيخ بن ناصر بن شهرة والأمير محيي الدين بن الأمير عبد القادر الشيخ سليمان بن جلاب سلطان تقرت السابق والشيخ ابراهيم بن عبد الله مقدم الطريقة القادرية بورقلة ومحمد بن عشابي البسكري ،كما كانت هذه الزاوية مقرا لاجتماع الشخصيات السابقة الذكر والذي كان من اجل التحضير للمقاومة المسلحة التي قادها الأمير عبد القادر وبن ناصر بن شهرة والتي امتدت عبر الجنوب الشرقي وامتدت إلى تبسة سنة ما بين عامي 1870م و1871م.36

وقد استمر السلطات الاستعمارية في متابعة أفراد أسرة بن عزوز حتى بعد هجرتها إلى تونس ،وضيقت عليها هناك ،خاصة زاوية ونفطة التي كثيرا ما حذرت هذه السلطات من أخطارها على الشعب الجزائري .37

2– دور الزاوية المختارية بأولاد جلال.

أسسها الشيخ مختار الجلالي حوالي عام 1815م /1230هـ بأولاد جلال ببسكرة ،عم نفوذها منطقة أولاد نايل وامتد حتى الشمال ليصل إلى مدينة الجزائر وبلاد القبائل.38 تبنى رئيسها عبد الرحمن الجلالي قضية المقاومة ضد الاحتلال

ونسق جهوده مع الشريف بومعزة الذي ظهر بالمنطقة سنة 1846م. إذ عملا معا على تعبئة السكان مستعينين بمريدهما الذين كانوا على استعداد ليكونوا في مقدمة المواجهة ،ولما وصل خبر هذه التحركات مسامع السلطات الاستعمارية أرسلت قواته المتمركزة بمدينة باتنة بقيادة الجنرال هيربيون الذي التقت قواته بقوات المجاهدين المقاومين في شتاء 1847م بمنطقة أولاد جلال أين دارت بينهما معركة دامت يوما كاملا انتهت بانتصار القوات الفرنسية التي قتل ثلاثين شخصا من أفرادها من بينهم الرائد بيلان بعدما قتلت هذه القوات تسعين مجاهدا استشهدوا في سبيل الله ،وبعد هذه الهزيمة قام الجنرال هيربيون بقصف الزاوية المختارية ،لكن ذلك لم يمنع مريديها وأتباعها من مواصلة المقاومة من خلال مشاركتهم في ثورة الزعاطشة 1848-1849م39،وانتفاضة الجلفة سنة 1851م.40

من تلامذتها الشيخ بالأحرش الذي قام بهجوم على المؤسسات الفرنسية المحيطة بمنطقة القبائل سنة 1846م ،وكان في اتصال دائم بالمقاوم بودالي من قبيلة توفنت من اجل تعميم الثورة ضد القوات الاستعمارية.41

3- دور الزاوية القاسمية (بوسعادة).

أسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي بالهامل قرب بوسعادة عام 1830 42 تعتبر أنموذجا بارزا في المقاومة الفكرية والثقافية ضد سياسة التغريب ومحو الشخصية الوطنية التي مارسها الاستعمار الفرنسي في الجزائر حيث كانت معقل العروبة والإسلام على حد تعبير الشيخ أحمد توفيق المدني 43 قال عنها جاك بيرك بأنها عملت بكل عزم على استنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تعد ملجأ كل الناس.44 وقد أورد الدكتور عبد المنعم قاسمي قولا للباحثة الأمريكية جوليا كينسي سميث يدل على هذا جاء فيه: « إن إستراتيجية الشيخ محمد بن أبي القاسم في المقاومة والبقاء وإستراتيجية خليفته وابنته لالة زينب لم تكن قطيعة كاملة مع الماضي ،إنما طريقة تغيير سياسي نتج عن تقييم دقيق وواقعي لآفاق النشاط السياسي والاجتماعي ،مبنية على قراءة اسباب فشل الخطط والمناهج التي سبقته ،ففي حرب الهوية مسلحة كانت ام لا ،كونت المقاومة الثقافية دفاعا اقوى من جميع الثورات.»45

كما سعت الزاوية القاسمية إلى توحيد المقاومة الشعبية من خلال ربط الاتصالات بين زعمائها داخل الوطن وخارجه ،وتمتين الروابط والعلاقات بينهم من أمثال الشيخ الحداد والمقراني وبوعزيز الماضوي سواء عن طريق المراسلات أو الاتصال المباشر ،واعتبرت ذلك من مبادئه والأسس التي قامت عليها.46

ويذكر الأستاذ عبد المنعم قاسمي أن علاقات قوية ربطت الشيخ محمد بن أبي القاسم بزعماء المقاومة وعائلاتهم سواء أولئك الذين قضوا في الجزائر كالشيخ الحداد والمقراني أو أولئك الذين أجبروا على مغادرتها كالأمير عبد القادر والشيخ مصطفى بن عزوز مؤسس زاوية نفطة ،ولا تزال رسائلهم ورسائل عائلاتهم للشيخ ولخلفائه محفوظة بالزاوية ،وقد دفعت هذه العلاقات بالسلطات الفرنسية إلى مراقبته ومراقبة نشاط زاويته خاصة بعدما حذرت بعض التقارير الاستخباراتية من إمكانية تزعمه لثورة ضدهم كتلك التي تزعمها الشيخ الحداد ،ومن بينها التقرير المؤرخ في 30 جانفي 1882م الذي يخبر أن نفوذ الشيخ محمد بن ابي القاسم يمتد إلى سوق أهراس وباتنة وتبسة وبسكرة ،وله علاقات سرية مع شيخ زاوية تلاغمة علي بن خليفة ،ويفكر في تنظيم انتفاضة في كل المناطق المجاورة ،وحث هذا التقرير على ضرورة مراقبته وأخذ الحيطة والحذر من تحركاته. وظل الشيخ محمد بن أبي القاسم مصدر قلق للسلطات الاستعمارية التي ظلت تخشاه وتخشى تحركاته ،واستمرت في مراقبته إلى آخر يوم من حياته .47

4- دور الزاوية الحافظية بخنقة سيدي ناجي (بسكرة).

أسسها الشيخ عبد الحفيظ الخنقي تلميذ الشيخ محمد بن عزوز البرجي بعدما أعاد احياء زاوية جده الشيخ أحمد بن محمد الوانجلي الهجرسي ،وعمل على نشر الطريقة الرحمانية وكان ذلك حوالي القرن الثالث عشر هجري. 48

أصبحت الزاوية الحافظية بخنقة سيدي ناجي مقصدا لطلاب العلم ومركزا للدعوة للجهاد ،ومن الذين تخرجوا منها الشيخ الصادق بن الحاج الذي أسس زاوية بأحمر خدو بزريبة الوادي من بسكرة ،والتي كان لها دورا كبيرا في مقاومة الاحتلال الفرنسي ،إذ خاض شيخها الصادق بن الحاج معارك مشهورة من بينها معركة مشوش ومعركة هنقلين ،كما ساندت هذه الزاوية ثورة الزعاطشة عام 1849م ودعمتها ،وفي سنة 1859م قام الشيخ الصادق بثورة في الأوراس امتدت إلى سيدي عقبة ومنعة ودعى المرابطين إلى الانضمام إليه ،وانتهت هذه الثورة بأسر الشيخ وأبنائه وأزيد من ثمانين مجاهدا من أتباعه ،وحرق الزاوية عن آخرها من طرف الجنرال بيجو ،وتوفي الشيخ الصادق بن الحاج في سجن الحراش سنة 1869م.49

أما الزاوية الأم – الزاوية الحافظية – فقد شارك طلابها وأتباعها ومريدوها في مقاومة الزعاطشة 1849م 50،استجابة لنداء الشيخ بوزيان الذي وجهه لشيوخ الطريقة الرحمانية بمنطقة الزيبان ،حيث أعلن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الثورة على المحتل الغاشم وألف جيشا من أهل الخنقة والقرى المجاورة لها ،ونسق جهوده مع الشيخ الصادق بن الحاج من أحمر خدو ،وبعدما اجتمع لهما الأهالي من مختلف القرى والقبائل بالمنطقة زحفت هذه القوات تحت قيادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي لنصرة الزعاطشة ،فقطعوا في بداية الأمر طريق الامدادات عن القوات الاستعمارية ،ثم تحركوا لفك الحصار عن الواحة ،وقد نزل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي عند واد براز قرب سيدي عقبة وقد تزايد عدد قواته نظرا لانضمام العديد من الرجال من المناطق التي كان يمر بها جيشه إلى صفوفه حتى بلغ عددها خمسة آلاف مجاهد في سبيل الله.51

وبينما كان الشيخ عبد الحفيظ الخنقي يستعد لتقديم العون لأهل الزعاطشة إذ بقوات الاحتلال الفرنسي تحاصرهم ليلا تحت قيادة سان جرمان الذي علم بتحرك قوات الشيخ عبد الحفيظ الخنقي بعد وشاية وصلته من بن شنوف شيخ سيدي عقبة ،فحشد قواته وطلب المدد من القوات الموجودة بباتنة ،وقبل بزوغ الفجر كانت القوات الفرنسية قد أحكمت حصارها على الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وقواته. 52 ومع مطلع الفجر دخل الطرفان في اشتباكات معلنة عن بداية معركة واد براز التي استمرت حتى السادسة مساءا بعد أن أصدر الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أمره لقواته بالانسحاب إلى الجبال المجاورة مخلفا وراءه أكثر من مائتي شهيد.53

لم يكن هدف الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الدخول في معركة مع القوات الفرنسية وإنما أجبر عليها لكن هدفه الأساسي كان فك الحصار عن واحة الزعاطشة ،لذلك ما كاد يستجمع قواه حتى نسق مع الشيخين الصادق بن الحاج ومحمد الصغير بن حاج الذين اجتمعوا يوم 4 نوفمبر 1849م ،واستطاعوا جمع أزيد من ألفي مجاهد وعزموا على استرجاع بسكرة وفك الحصار عن واحة الزعاطشة .54 لكن ذلك لم يتحقق لأن الواحة سقطت في يد القوات الاستعمارية ،والشيخ عبد الحفيظ الخنقي لم يلبث أن توفي.55

وفي ختام هذا البحث ومن خلال هذه النماذج من دور الزوايا الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالجنوب الشرقي يمكننا القول أن الطرق الصوفية كان لها الدور الكبير في المقاومة الشعبية المسلحة للاحتلال الفرنسي ،فالمقاومة التي لم تشعل إحدى هذه الطرق أو الزاويا التابعة لها فتيلها تزعمها رجال تخرجوا من رحابها ،فالأمير عبد القادر أحد أقطاب الطريقة القادرية والشيخ بوزيان تخرج من الزاوية الطيبية والشريف بوبغلة ولالة فاطمة انسومر من أتباع الطريقة الرحمانية ،وكان الشيخ الحداد من الطريقة الرحمانية قد دعا إلى الثورة ضد الاحتلال والتي تزعمها المقرانيون .وكانت الزاوية الرحمانية احدى حلقات المقاومة التي تبنتها الطرق الصوفية في الجزائر ،وهي طريقة لم يكن الهدف من قيادتها للمقاومة ذاتيا أي ليس بغرض خدمة مصالحها ونشر مبادئها وإنما ثارت ضد المحتل الغاصب من أجل رده عن الجزائر ورفع الظلم عن الشعب الجزائري ،ويتضح ذلك من خلال دعمها لمقاومات قادها رجال على مبادئ الطرق الأخرى دون تعصب كدعمها لمقاومة الأمير عبد القادر والشيخ بوزيان

،والشريف محمد بن عبد الله والشريف بوشوشة والأمير محيي الدين بن الأمير عبد القادر ،وبن ناصر بن شهرة ،وأولاد سيد الشيخ وغيرهم .

كما أن الطريقة الرحمانية قاومت الاحتلال وتصدت لسياسة التجهيل التي انتهجها تجاه الشعب الجزائري ،ولكل محاولاته في طمس الهوية الوطنية أي أنها قاومت الاحتلال عسكريا وفكريا ،كما وجد فيها الشعب الجزائري الدعم الروحي والسند المعنوي للثورة ضد الاحتلال من خلال منحها إياه الرخصة الشرعية للمقاومة في ظل ارتفاع أصوات تحرم القيام ضد الحكومة الفرنسية ووجوب الرضوخ للأمر الواقع والرضى بحكم الأجنبي .

هذا المحتل الأجنبي الغاصب الذي أدرك خطورة الطرق الصوفية على وجوده في الجزائر وعلى مخططاته الاستعمارية بها فعمل على التضييق عليها ماديا من خلال أسر مشايخا وأتباعها ،ومصادرة أملاكها ،وتدميرها في الكثير من الأحيان ،والتضييق عليها معنويا من خلال اتهامها بالزندقة والخروج عن الدين الصحيح والعقيدة السليمة عن طريق أفراد من الشعب الجزائري الكثير منهم من ذوي النفوذ والجاه والمكانة العلمية والدينية في أوساط هذا الشعب ،لكن خاب الاستعمار وخابت مساعيه وخاب معاونوه ،فلا هو حقق أهدافه ولا أتباعه نالوا رضى الشعب واحترامه – بل لم ينالوا حتى رضا من عينهم ودعموه – فالمقاومة استمرت حلقاتها وظهر من الجزائريين المخلصين من أبنا ء الجنوب العزيز كما في الشمال من حملوا اللواء وتصدوا بكل قوة وحزم للاستعمار ومخططاته ومن بينهم – على سبيل المثال لا الحصر – الشيخ بيوض والشيخ آخموخ والشيخ العربي التبسي والشيخ عبد الحميد بن باديس و ميصالي الحاج ،واستمر التصدي واستمرت الجزائر ولادة إلى أن نالت استقلالها بعد ثورة نوفمبر 1954م والتي كانت آخر حلقات المقاومة الطويلة والمريرة ،ولم يكن يهمها كم تدفع من قوافل الشهداء فلأجل الوطن كل شيء يهون .

الهوامش:

1- ابن قنفد القسنطيني ،أنس الفقير وعز الحقير ،تح أدولف ثور ومحمد الفاسي ،الرباط ،1965 ؛أحمد بن أحمد الغبريني ،عنوان الدراية في من عرف من العلماء ببجاية ،تح عادل نويهض ،دار الثقافة ،بيروت ،1969 ،ص ص 22-32 ؛ابن مريم التلمساني ،البستان في التعريف بالعلماء والأولياء بتلمسان ،تح محمد بن أبي شنب ،المطبعة الثعالبية ،الجزائر ،1908 ،ص 108.

2- تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني بن إبي صالح موسى الحسني المزداد 471هـ/1079م والمتوفى ببغداد سنة 561هـ/1166م ،وهي من أقدم الطرق الصوفية ظهورا في العالم الاسلامي .توجد الزاوية الأم للطريقة ببغداد ،ويعتبر الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي أول من أسس فرعا للطريقة القادرية بالجزائر سنة 1200م .،وتعتبر القادرية الطريقة الأم لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها. ينظر: أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998 ،ص 42،43 ؛عمار هلال الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا الصحراء ،منشورات وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،1899 ،ص 109.

3- نسبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي نسبا والملياني دارا المتوفى سنة 981هـ. ينظر: ابو القاسم الحفناوي ،تعريف الخلف برجال السلف ،ج2 ،مطبعة بيير فونطانا الشرقية ،الجزائر ،1906 ،ص 234 ؛الحاج صادق ،ملينانة ووالياها سيدي أحمد بن يوسف ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1989.

4- تنسب التيجانية إلى الشيخ أحمد بن مختار بن سالم التيجاني (ت 1230هـ) الذي ولد بعين ماضي بنواحي الأغواط ،وبها تلقى تعليمه وتولى التدريس ،ثم انتقل إلى فاس ،ومنها عاد إلى بوسمغمون وأسس بها الطريقة التيجانية .عنه ينظر: الحفناوي ،تعريف الخلف ،ج2 ،ص 38 ؛جماعة من المستشرقين ،دائرة المعارف الاسلامية ،ج2 ،ترجمة ابراهيم زكي خرشي ،أحمد الشناوي وعبد الحميد يونس ،دار الشعب القاهرة ،(د.ت) ،ص 784.

5- عن هذه المقاومات ينظر: محمد العربي الزبيري ،مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1972 ؛عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج5 ،ط8 ،شركة دار الأمة ،الجزائر ،2007 ؛اسماعيل العربي ،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ،ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1982 ؛أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900 ،ج1 ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة ،الجزائر ،2009 ؛العربي منور ،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ،دار المعرفة ،الجزائر ،2006 ؛يحي بوعزيز ،ثورة 1971 (دور عائلتي المقراني والحداد) ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1975.

6- الطريقة الخلوتية هي أصل الطريقة الرحمانية ،وهي طريقة صوفية شهيرة تفرعت عن الطريقة السهروردية، الأصل فيها احترام الشيخ والخلوة أسسها الشيخ عبد القاهر ضياء الدين السهروردي ،وهي تعد من أهم الطرق في تركيا والأناضول إذ انتشرت بين الصوفية الأكراد والفرس ،والأتراك ،ثم انتشرت في مناطق عديدة من

العالم من آسيا وأوربا الشرقية وإفريقيا. ينظر في ذلك: عبد المنعم قاسمي الحسني ،الطريقة الخلوتية الرحمانية:الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى ،رسالة دكتوراه ،قسم العقائد والأديان ،كليه العلوم الاسلامية ،جامعة الجزائر1 ،2008-2009 ،ص ص 52-67.

7- القشطولي نسبة إلى عرش قشطولة بآيت اسماعيل.

8- الجرجري نسبة إلى جرجرة موطن قبيلته.

9- الزواوي نسبة إلى زواوة من قبيلة كتامة البربرية بجبال جرجرة مابين بجاية ودلس.

10- الأزهري لأنه درس بالأزهر الشريف بالقاهرة.

11- الحفناوي ،تعريف الخلف ،ج2 ،ص 470 ؛عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،ص 239.

12- O. Dupont et X. Copolani ,les confréries religieuses musulmanes ,Alger ,1897 ,p 383.

12- بعد وفاة الشيخ أحمد الصقلي الفاسي تلميذ الشيخ محمد بن سالم الحفناوي والذي كان قد كلفه شيخه بنشر الطريقة بالمغرب الأقصى ،كان الشيخ عبد الرحمن الأزهري بدارفور لنفس الغرض ،غير ان الحفناوي استدعاه لمواصلة مسيرة الصقلي في الجزائر .ينظر في ذلك: دائرة المعارف الاسلامية ،مادة رحمانية ،مج 10 ،ص 80 ؛عبد المنعم قاسمي ،المرجع ،السابق ،ص 226

O. Dupont et X. Copolani ,op.cit ,p 383.

13- اختلف المؤرخون في مدة اغتراب الشيخ الأزهري ،حيث جاء في دائرة المعارف الاسلامية أنها دامت ثلاثين سنة ،بينما يذكر أبو القاسم سعد الله –تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،501 - ،والشيخ عبد الرحمن الجيلالي - تاريخ الجزائر العام ،ج4 ،ص 42 – أنها دامت ربع قرن.

14- O. Dupont et X. Copolani ,op.cit ,p 383.

عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،ص 229.

15- يحي بوعزيز ،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1995 ،ص 143 ؛عبد المنعم قاسم ،المرجع السابق ،ص 229.

16- عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،ص 227 ،228.

17- نصب للشيخ عبد الرحمن الأزهري مجلسا للمحاكمة والنظر في الاتهامات الموجهة إليه ترأسه المفتي الحاج علي بن أمين مفتي المالكية بمدينة الجزائر ،وانتصر فيه الشيخ الأزهري على خصومه وبرئ من تهمة الزندقة التي نسبت إليه ،وأكرم الداي نزله ،واستضافه في قصره أياما يأخذ عنه ورد الطريقة بعدما تأكد من براءته. ينظر في ذلك: الحفناوي ،تعريف الخلف ،ج2 ،ص 159.

18- الحفناوي ،تعريف الخلف ،ج2 ،ص 459 ؛عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ج4 ،ص 51.

19- ترك الشيخ عبد الرحمن الأزهري العديد من الرسائل أشهرها:رسالة فتح الباب ،دفتر الدفاتر ،رسالة طي الأنفاس وشرح على الريفاوي وهو مخطوط موجود بمكتبة زاوية بن عزوز القاسمي بعين وسارة ،وزلزلة النفوس وغيرها الذي ذكره الشيخ المكي بن عزوز في رسائله التي حققها ونشرها علي رضا التونسي .ينظر في ذلك: رضا الحسني ،شيخ العلماء و المجاهدين بن عزوز البرجي نور الصحراء حياته وآثاره ،الدار الحسينية ،تونس ،2002 ،ص 131 ؛الحفناوي ،تعريف الخلف ،ج2 ،ص 260.

20- الحفناوي ،تعريف الخلف ،ج2 ،ص 459 ؛ سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،ص 509.

L. Rinn ,marabouts et khouans ,etude sur l'islam en Algérie ,Alger ,1884 ,p 456.

21- أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،ص 132.

22- صالح فركوس ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925) ،مديرية النشر لجامعة قالمة ،الجزائر ،2010 ،ص 92.

23- عبد القادر بو قرين ،جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية للجهاد ،أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية ،وزارة المجاهدين ،الجزائر ،2007 ،ص 100.

24- Augustin Bereau ,essai d'une bibliographie critique de la société de géographie et d'archéologie de la Provence d'Oran ,Oran ,p 136.

25- De Neuveu ,les khouanes ordres religieux chez les musulmans ,Jourdon ,Alger ,1913 ,p 95.

26- عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج5 ،ط8 ،دار الأمة ،الجزائر ،2007 ،ص 185.

27- Edmond Doutté ,notes sur l'islam Maghrébin les Marabouts ,1900 ,p76.

28- اسماعيل العربي ،المرجع السابق ،ص 289.

29- يحي بوعزيز ،ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ،ج1 ،ط2 ،المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،1996 ،ص ص 151-156.

30- البرجي نسبة لبلدة البرج وهي واحة صغيرة قرب طولقة ،وقد أثم الشيخ محمد بن عزوز تعليمه على يد الشيخ عبد الرحمن باش تارزي أحد طلبة الشيخ عبد الرحمن الأزهري .للمزيد ينظر: كمال عجالي ،الشيخ محمد بن عزوز البرجي ،مجلة الثقافة ،عدد 107-108 ،السنة 20 ،الجزائر ،مارس-افريل 1995 ،ص 155.

31- عن تاسيس الزاوية ودورها ،وأهم تلامذة ومريدي الشيخ محمد بن عزوز ينظر: علي رضا الحسني ،شيخ العلماء والمجاهدين محمد بن عزوز نور الصحراء حياته وآثاره ،الدار الحسينية للكتاب ،تونس ،2001 ،ص 117 ومابعدها.

32- من بين هذه الزوايا: زاوية علي بن عمر بطولقة وزاوية عبد الحفيظ الخنقي بخنقة سيدي ناجي وزاوية المختار بن خليفة بأولاد جلال وزاوية الصادق بن حاج بأحمر خدو وزاوية سيدي سالم بوادي سوف وزاوية مصطفى بن عزوز بنفطة التونسية. عنها ينظر: علي رضا الحسني ،المرجع السابق ،ص 167 ،168.

33- عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،ص 520.

34- علي رضا الحسني ،المرجع السابق ،ص 25.

35- عبد المنعم قاسمي الحسني ،المرجع السايق ،ص 521.

36- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900 ،ج1 ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة ،دار الرائد ،الجزائر ،2009 ،ص ص 116-118 ؛عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ج5 ،ص 184 ،185 ؛يحي بوعزيز ،ثورة 1870 ،ص 164 ،165.

37- عبد المنعم قاسمي الحسني ،المرجع السابق ،ص 521.

38- نفس المرجع ،ص 530.

39- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج2 ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1992 ،ص 125 وص 292 ؛عبد الحليم صيد ،أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة ،ط1 ،مطبعة سوف ،الوادي ،الجزائر ،2000 ،ص 55.

40- عبد المنعم قاسمي الحسني ،المرجع السابق ،ص 530.

41- صالح فركوس ،تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى ،دار العلوم ،الجزائر ،2005 ،ص 232 وص 271.

42- عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،ص 532.

43- أحمد توفيق المدني ،حياة كفاح ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1977 ،ص 93.

44- مستشرق فرنسي شهير ولد بمنطقة فرندة سنة 1910 عرف عنه تعلقه الشديد بالجزائر .عنه ينظر: عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،هـ 2 ص 533.

45- نفس المرجع ،ص 539.

46- نفسه ،ص 533.

47- توفي الشيخ محمد بن أبي القاسم بتاريخ 27 فيفري 1897م . ينظر: عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،ص 540.

48- أبو القاسم سعد الله ،تجارب في الأدب والرحلة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1983 ،ص 162.

49- صلاح محمد العقبي الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها،ط1 ،دار البصائر ،الجزائر ،2008 ،ص 280 .

50- عبد المنعم قاسمي ،المرجع السابق ،ص 529.

51- واد براز ينبع من مرتفعات شيليا بالأوراس ليصب بالزاب الشرقي وقد وقعت به معركة شهيرة بين المجاهدين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي و القوات الاستعمارية خريف 1849م .ينظر: الندوة الوطنية معركة واد براز 1849م في ذكراها 160 ،الجمعية الخلدونية للدراسات والأبحاث ،المتحف الجهوي بسكرة ،05 نوفمبر 2009.

52- مياسي ابراهيم ،المقاومة الشعبية ،دار مدني ،الجزائر ،2009 ،ص 65.

53- محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1972 ،ص60

54- الجمعية الناصرية ،الذكرى المئوية الرابعة لنشأة زاوية خنقة سيدي ناجي 1602-2002م ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2002 ،ص 23.

55- بومدين بوزيد ،الطرق الصوفية والاحتلال جدل الرفض والقبول ورمزية صاحب الوقت ،الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا ابان المقاومة والثورة التحريرية ،وزارة المجاهدين ،الجزائر ،2007 ،ص 127.

الموقف البريطاني من تجارة الرقيق في الخليج العربي(1820 – 1890)

د. أشرف صالح محمد سيد

جامعة ابن رشد–هولندا

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

منطقة الخليج، كانت هدفًا لسيطرة الدول الأوربية والصراع عليها منذ قرون طويلة، لما تتميز به من موقع جيوسياسي متحكم في طرق التجارة العالمية الرابطة بين الشرق والغرب، ولكونها معبرًا مهمًا نحو آسيا، وتمخض الصراع عن الهيمنة البريطانية على المنطقة، مما حدا بالمؤرخين لوصف منطقة الخليج بشبه بحيرة بريطانية، ولأن بريطانيا تسعى دائمًا لإيقاع فريستها التي تطمع في اقتناصها بنصب شراك تحت اسم معاهدات تجبرها على التوقيع عليها، فكان من تلك المعاهدات معاهدة مكافحة تجارة الرقيق التي انتشرت في مناطق الخليج العربي بكثرة. ويتناول هذا البحث أسطورة بريطانيا في مكافحة تجارة الرقيق، فقد أدعت أن محاربتها لهذا النوع من التجارة يهدف بالدرجة الأولى إلى العامل الإنساني، ولكن الواقع أنها تتخذها وسيلة لتثبيت قواعدها الاستعمارية في هذه المنطقة لتقوية اقتصادها ودعم سياستها. لقد أُعِدّ هذا البحث وفق المنهج العلمي التاريخي التحليلي الذي يقوم على أساس عرض الوقائع التاريخية، واستنباط الحقائق منها، وما يترتب عليها من استنتاجات من خلال الشرح والتفسير.

كلمات مفتاحية: مؤتمر بروكسل، الإتجار بالبشر، الاستعمار البريطاني، عرب الخليج، الجزيرة العربية

Abstract:

The Gulf region has been the target for the control of the European countries which wrestled for centuries on this site because this region control in global trade routes which link between East and West, and the conflict between European countries resulting of the British hegemony on the region, which prompted researchers to describe the Gulf region as a British lake. Britain has concluded several treaties with the rulers of the region to fight the slave trade that has spread in the Arab Gulf frequently. This research deals with the myth of Britain in the fight against the slave trade, Britain has claimed that the fight against this type of trade is aimed primarily to the human factor, but the fact it was the way to install the colonial bases in the region to strengthen its economy and support its policy. The writer uses the historical method in collecting, presenting and organizing his data depending on analytical and deductive method to reach the conclusions.

مقدمة:

شكلت التجارة نشاطًا أساسيًا في حياة سكان الخليج العربي، وكانت عصب الحياة الاقتصادية فيها، وكانت تجارة الرقيق ضمن هذه التجارة المتداولة كلها. وكان العبيد يستخدمون للعمل في النشاط الاقتصادي مثل: الزراعة وصيد الأسماك والرعي والغوص والصناعات الحرفية التقليدية، إضافة إلى خدمة المنازل؛ واختلفت دوافع تجارة الرقيق في الخليج العربي عن الغرب. وربما كانت قلة عدد السكان، وندرة الأيدي العاملة، وطبيعة الوضع الاجتماعي القبلي والعشائري السائد في المنطقة من الأسباب التي كانت وراء رواج تجارة الرقيق واستمرارها منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وكانت العادات والتقاليد السائدة في المجتمع القبلي تقبل استخدام الرقيق وبيعه وشراءه، في الوقت الذي كان الكثيرون يتأففون من العمل في بعض المجالات أو يرفضون العمل فيها، مما فسح المجال لرواج هذه التجارة.

وكانت مسقط في أوائل القرن التاسع عشر أكبر مراكز عبور (ترانزيت) لتجارة الرقيق إلى الخليج العربي، غير أن هذا المركز تقلص في النهاية عندما أخذت تنافسها مدينة "صور" الواقعة إلى الجنوب من مسقط. انتعشت تجارة الرقيق في أواخر القرن التاسع عشر عندما أعلم الفرنسيون نواخذة السفن في ميناء صور العماني بمنع بريطانيا من تعقبهم. وقد أدت هذه التجارة دورًا في اقتصاديات المنطقة ليس نتيجة استخدام الرقيق في مجالات العمل المختلفة فحسب، بل أيضًا نتيجة المردود المالي المباشر لهذه التجارة. وقدر عدد سكان زنجبار في بداية القرن التاسع عشر بـ: (200,000)، منهم (150,000) من العبيد الأرقاء؛ كما قدر عدد الرقيق الذين كانوا يصدرون إلى مسقط من (6,000) إلى (10,000) شخص سنويًا؛ وأغلبهم من الشباب والقاصرين.[1]

وقد دخلت بريطانيا عصر الاستعمار قبل غيرها من الأمم نتيجة لطبيعة التطور في المجتمع البريطاني، لذا سبقت الأمم الأخرى

بالمناداة بتحرير الرقيق ومنع المتاجرة بهم، فدخلت منطقة الخليج العربي، تحت هذه الواجهة التي تحولت إلى ذريعة من أجل السيطرة على المنطقة وطرد القوى الأخرى، نظرًا لأهمية المنطقة كممر مائي للنشاط البحري والمصالح البريطانية، فعقدت مع القوى المحلية ابتداءً من سنة 1820 وانتهاءً بنهاية القرن التاسع عشر سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات والتعهدات، من أجل مكافحة تجارة الرقيق، ومحاربة القرصنة، وملاحقة تجار ومهربي السلاح. وعلى الرغم من منع بريطانيا تجارة الرقيق، فإنها لم تعامل المتاجرين بها معاملة حازمة وقاسية، ويرجع ذلك إلى أن بريطانيا كانت تقرّ المنع لأغراض سياسية وليست تجارية، أي لغرض سيطرتها على المنطقة.

أولاً: أطماع الدول الأوربية في الخليج العربي

الخليج العربي، هذا الممر المائي الحيوي يتمتع بأهمية كبيرة كونه حلقة الوصل بين الشرق والغرب، يتحكم في الطرق التجارية المارة من الهند إلى الشرق الأوسط حتى أوربا والعكس، لذا كان هذا الجزء من الوطن العربي الإسلامي محط أنظار الطامعين منذ العصور الأولى.[2] أضف إلى ذلك؛ أن هذا الموقع مكن التجار العرب من السيطرة على تجارة المحيط الهندي، فحظيت مناطق الخليج العربي بثراء واسع، ومن ثَمَّ ازدهرت المنطقة عُمرانيًا، ونشطت حركة الصيد، فازداد سُكانها ثراءً، وسيطروا على الأسواق العالمية وخاصةً فيما يتعلق بتجارة اللؤلؤ. كما أن هناك سلع تأتي عن طريق القارة الأوربية لا يمكن الوصول إلى موردها إلا عن هذا الطريق (الخليج العربي)، كتجارة الحديد، والرصاص، والأخشاب، والورق، والأصواف، وغيرها.[3]

أمام هذه المميزات التي يحظى بها الخليج العربي كان طبيعيًا أن تهوى إليه أنظار الطامعين من الدول الأوربية، فحاول البرتغاليون منذ سنة 1503 فرض سيطرتهم على هذا الممر المائي، عندما قدم القائد البرتغالي "ألفونسو دي البوكيرك" (Afonso de Albuquerque) إلى الهند وفكر في مد النفوذ البرتغالي إلى الموانئ العربية في الخليج، وأيقن أن ذلك أن لن يتحقق إلا باحتلال الموانئ التجارية الممتدة من الهند إلى رأس الرجاء الصالح وجعلها مناطق نفوذ برتغالية.[4] وما أن حلت سنة 1507 حتى احتل "البوكيرك" جزيرة سومطرة الواقعة بين البحر الأحمر والخليج العربي، وحاول مد سلطانه حتى عدن والبحر الأحمر، ولكن محاولاته باءت بالفشل، فرأى أن الأفضل التوجه إلى الخليج العربي وموانئه الهامة، فشن هجومًا امتد من الجنوب إلى الشمال، وشمل كلاً من: قلهات، ومسقط، وقرياط، وصحار، وخورفكان، وهرمز، والبحرين، والبصرية إلى القطيف.[5]

كانت "قلهات" أول ما وقع تحت النفوذ البرتغالي سنة 1507 بعد أن سير إليها البوكيرك سبع سفن حربية ونزل بقوته بها، فبث الرعب في العُمانيين بسبب ما ارتكبه من أعمال وحشية كتدمير السفن والقتل والتعذيب، كما أرسل إلى حاكم قلهات – التي كانت آنئذ تابعة لمملكة هرمز– وفدًا يطابه بالتسليم دون أية معارضة لتكون تابعة للبرتغاليين.[6] وأمام هذه المطالبة التي تضمنت التهديد، وافق الحاكم على طلبه، وقدم له المساعدة المطلوبة، وعقد معه صلحًا.[7] وبزوغ فجر سنة 1522 سخط الأهالي على البرتغاليين بعد تعيين مجموعة من الموظفين البرتغاليين في مراكز هامة في بالجمارك مما دفع الحاكم هرمز لمهاجمتهم عن طريق البحر، فأصيب البرتغاليون بخسائر فادحة في الأرواح، لأن ذلك الهجوم كان موحدًا ومفاجئًا، استنجد البرتغاليون بالأسطول البرتغالي الموجود في الهند بقيادة دي بيزيس، وهاجم مدينة صحار ودمرها، ثم تقدم إلى هرمز وأعاد إليها النفوذ البرتغالي، وأبرمت بين الطرفين معاهدة سنة 1523. وقد فرض القائد البرتغالي بنودها على شيخ هرمز إذ جعلها تدخل تحت الحماية البرتغالية وتخضع لها خضوعًا تامًا.[8]

لقد كان الهدف الرئيس من التوسع البرتغالي في الخليج منصبًا على الوصول إلى الهند والشرق الأقصى عن طريق هذا الممر دون الحاجة إلى وساطة المسلمين لنقل تجارتهم، لأن هذه المعاهدة وما سبقها من المعاهدات مكنتهم من تأسيس حكومة برئاسة نائب الملك، وزادتهم إصرارًا على مد نفوذهم إلى شبه الجزيرة العربية وباقي مناطق الخليج.[9] وبحلول سنة 1587 بدأت القوة البرتغالية في الشرق تضمحل، يضاف إلى هذا اتجاه حاكم فارس "الشاه عباس" في ذلك الوقت إلى الانضمام لقوة أخرى غير القوة البرتغالية،

فتحالف مع الانجليز ضدهم، فكان عمله سببًا في فتح الباب أمام هولندا التي كانت ترتقب، فقدمت مساعدات لإنجلترا، وفارس، كما أن العقيدة البروتستنتية كانت سببًا آخر في الاتحاد بين الهولنديين والانجليز، على خلاف البرتغاليين الذين يدينون بالكاثوليكية.

وما أن رحل البرتغاليون من هرمز سنة 1623م حتى سارع الإنجليز في إقامة وكالة لشركة الهند الشرقية في ميناء بندر عباس، لكن التجارة الإنجليزية في هذا الميناء تعثرت مما جعل المسئولين يفكرون في تصفية أعمالها، فدارات مناقشات حول هذا الموضوع أسفرت عن انشقاقهم إلى مؤيد ومعارض. وقد استند المعارضون على ما قدموه من مساعدات لكل من فارس وهولندا ضد البرتغال، لذا كانوا يرون ضرورة إعفاء البضائع الإنجليزية من الضرائب أو دفع رسوم مخفضة أسوة بالهولنديين. وفي نهاية الأمر، اتفق الطرفان على إبقاء الشركة في بندر عباس خوفًا من تزايد النفوذ الهولندي وتحوله من نفوذ تجاري إلى نفوذ عسكري.[10]

وفي سنة 1645م هددت حملة بحرية هولندية ميناء بندر عباس، متعللة بما حصلت عليه حكومة فارس من رسوم جمركية لا ترى لها حقًا فيها، وقد كاد قائد الحملة أن يستولى على جزيرة قشم إلا أنه فشل، لكنه نجح في الحصول على إعفاء تام من الرسوم الجمركية التي فُرضت على استيراد الحرير. وقد أثبت الهولنديون في منتصف القرن السابع عشر الميلادي تفوقهم التجاري، واحتفظوا بذلك طوال تلك المدة.[11] وفي بداية القرن الثامن عشر الميلادي انتكس الوضع، حيث بدأت بوادر الأمل تشرق أمام الإنجليز بعد أن ضمت مدينة بومباي للشركة الإنجليزية سنة 1687م وأصبح هذا الميناء يتحكم في أعمال الشركة غربي المحيط الهندي، ويشمل هذا ضمنًا الخليج العربي. يضاف إلى ذلك؛ ضعف القوة الهولندية في تلك المنطقة، وميل الشاه حسين – آخر الحكام الصفويين– مع الإنجليز وتنصله عن الهولنديين، لأن حُكام الصفويين كانوا دائمًا يميلون مع ميزان القوى الراجح.[12]

ثانيًا: تجارة الرقيق في الخليج العربي

مَارس بعض عرب الخليج كغيرهم من الشعوب تجارة الرقيق، وإن كانت على نطاق ضيق مقارنةً بغيرهم من الأوربيين، وقد لعب العمانيون الدور الرئيس في هذا المجال. فقد كان العمانيون من العناصر الخليجية النشطة في تجارة الرقيق نظرًا لخبرتهم الواسعة والعريقة في ارتياد البحار والمحيطات، ولذلك فقد كانوا لا يكتفون بالوقوف عند ساحل أفريقيا لمجيء الرقيق إليهم بواسطة النخاسين الأفارقة كما كان يفعل الأوربيون، وإنما كانوا يتوغلون إلى داخل القارة وبالذات داخل شرق أفريقيا. ومرجع هذا إلى أن الأوربيين كانوا غير مرغوب فيهم من قبل الأفارقة نظرًا لمعاملتهم القاسية ضد الأهالي، حيث كانوا يستخدمون البنادق في قنص الأفراد، ولذلك نرى الأوربيون يطلقون على السواحل الأفريقية أسماء لها معنى مثل: (ساحل العبيد، وساحل الزنج، وساحل الذهب، وساحل العاج... إلخ). بينما اتصفت معاملة المسلمين للرقيق الأفريقي بالرحمة والمودة، هذه المعاملة الحسنة جعلت من سلاطين عمان سادة لأفريقيا الشرقية وحماتها.[13]

وقد بدأت عمان اتصالاتها مع شرق أفريقيا منذ زمن بعيد إلى ما قبل سنة 1498، وساعدت عمان الأهالي هناك بعد سنة 1650على طرد البرتغاليين، وتمكنت من حمل الزنج على الاعتراف بالولاء الفعال لها، وبدفع الجزية مقابل حمايتها لهم من التدخل الأوربي في شؤونهم، وأصبح سلطان عمان (سعيد بن تيمور) سيدًا على زنجبار، ومباسا، وغيرهما من المناطق في شرق أفريقيا، بل يمكن القول أن سلطان عمان أصبح بعد سنة 1840 يبسط نفوذه على طول الساحل الشرقي لأفريقيا الممتد من موزمبيق إلى الصومال، فضلاً عن عمان وبعض الموانئ في بلاد فارس، وبلوخستان.[14]

وقد ازدهرت تجارة الرقيق في الخليج العربي منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وذلك بسبب حاجة أهالي المنطقة لليد العاملة في صيد الأسماك، واستخراج اللؤلؤ،[15] وفي الزراعة والأعمال الأخرى، بالإضافة إلى أن هذه التجارة كانت تدر على التجار أرباحًا طائلة. وقد فرض سلطان عمان منذ سنة 1722 ضريبة على كل عبد يتم تصديره إلى المستعمرات الفرنسية من أملاكه الأفريقية، وقد قدرت وزارة الخارجية البريطانية دخل السلطان من المكوس عن هذه التجارة خلال ذلك العام (1722) بنحو عشرين ألف جنيه

استرليني، وأن هذا الرقم ارتفع في السنوات التالية إلى أكثر من خمسين ألف جنيه استرليني.[16]

وكانت مسقط، وصحار، وصور في عمان من المناطق التي اشتهرت بأسواق الرقيق، ومنها كان يتم توزيعهم إلى إمارات الخليج والجزيرة العربية، والعراق، وفارس، والهند، والصين. وكانت زنجبار من أكبر المراكز في شرق أفريقيا لبيع الرقيق، حيث كان يتم جلب هؤلاء إليها من المناطق المجاورة لها، ومن أقصى الغرب في ضفاف بحيرتي نياسا، وتنجانيقا. وكانت السفن الخليجية تبدأ بالوصول إلى زنجبار لنقل هؤلاء في شهر نوفمبر وتغادرها في شهر أبريل ومايو، وذلك قبل أن يصل موسم الرياح الشمالية الغربية إلى أقصى حدته على الساحل الغربي للمحيط الهندي.[17]

وكان سكان شرق أفريقيا من الزنوج الوثنين عرضة للأسر من قبل النخاسين الأفارقة والعرب العمانيين، أما الصوماليين، فقد كان يحرم استرقاقهم بفضل إسلامهم، حيث أن الإسلام لا يجيز استرقاق المسلم، وإن كانت هناك بعض التجاوزات من بعض التجار لاسترقاق بعض الصوماليين.[18] وكان العبد الحبشي يباع بأسعار أعلى من مثيله من الأفارقة لا يزيد عن خمسين ريالاً، وذلك نظرًا إلى ما كان يتميز به من الذكاء وحسن المظهر. وكان ميناء "بربرا" الصومالي، وميناء "مصوع" الحبشي من موانئ تصدير الأحباش إلى الخليج العربي.[19]

ويذكر "كيلي" نقلاً عن أحد رجال البعثة التبشيرية العاملة في الحبشة، أنه شحن خلال سنة 1810 أكثر من ألفين من الرقيق الحبشي من ميناء "مصوع" وحده، وكان معظمهم من الإناث والأطفال. ويذكر المقيم السياسي البريطاني في الخليج في تقريره السنوي لحكومته، أن عدد العبيد الذين وصلوا إلى ميناء مسقط خلال سنة 1831 – ومعظمهم من شرق أفريقيا– بلغ (30,000) شخص.[20] وكانت الهند في مقدمة الدول المستوردة للرقيق من التجار العمانيين والقواسم، وبأثمان تربو على ما قد تدفعه فارس أو بلاد العرب. وكان التجار الخليجيين يقومون بشراء الأدوات المنزلية الهندية والأقمشة، ويبيعونها في بلاد الزنج بأسعار عالية، وذلك نظرًا لإقبال الأهالي هناك على هذه المنتجات.[21]

ثالثًا: النفوذ البريطاني في الخليج العربي

يرتبط الاستعمار في العصر الحديث بالخليج بصلة وثيقة بالإمبراطورية البريطانية في الهند. ويعتبر مورس أشلي، المتخصص في التاريخ الإنجليزي، القرن السابع عشر هو القرن الذهبي في التاريخ البريطاني والأوربي، إذ تغيرت في هذه السنوات روح وشخصية الشعب الإنجليزي والشعوب الأوربية، وبدأت إنجلترا وأوربا ترث السيادة في العالم، التي كانت يومًا من نصيب العرب والدولة العثمانية.[22]

كان النفوذ العثماني متغلل في المنطقة الإسلامية عمومًا والخليج العربي على وجه الخصوص، منذ إخضاع العراق للحكم العثماني سنة 1524م وكانت غالبية الدول الإسلامية في الخليج أو غيره خاضعة لهذا النفوذ.[23] أما بريطانيا فقد انتهزت ضعف وتدهور النفوذ الهولندي وأخذت في مد نفوذها على بعض مناطق الخليج العربي، فسعت إلى إقصاء كل قوة تفكر في أن يكون لها نفوذ في الخليج العربي ما عدا الدولة العثمانية التي كانت لها السيطرة الإسمية فقط، وهذا لا ضير بريطانيا في شيء لأنها كانت تحظى بالهيمنة التامة عليه.[24] وكانت أول مظاهر هذه الهيمنة البريطانية تتمثل في تقييد حُكام الخليج بمعاهدات تحقق السيطرة التامة لبريطانيا على هذه المناطق دون أي منازع، فعقدت أول معاهدة مع سلطان عمان سنة 1798م، وكان من بنود تلك المعاهدة عدم السماح لأي شركة أخرى غير إنجليزية بإنشاء وكالة تجارية أو إنزال حاميات في ميناء بندر عباس، ومنذ ذلك التاريخ بدأت بريطانيا تنشر قواعدها الاستعمارية في المنطقة دون أن يقف في وجهها أي حاكم من حُكام الخليج.

أما الدولة العثمانية فلم تحرك ساكنًا أمام التغلغل الاستعماري، فيما عدا حُكام رأس الخيمة من القواسم الذين تربطهم صلة قوية بالدولة السعودية الأولى، إذ حاولوا بما لديهم من قوة بحرية الوقوف في وجه هذا التقدم البريطاني في المنطقة، مما حدا ببريطانيا إلى

تدميرهم بعد أن سخرت سياستها لاستحداث طرق شبه سلمية استطاعت من خلالها تدمير تلك القوة العربية والخلاص من نفوذها بعد أن ألصقت بهم تهمة القرصنة في مياه الخليج العربي وشنت عليهم حملات أدت إلى تدمير قوتهم.[25]

عندما كانت بريطانيا تسعى لفرض نفوذها على الخليج العربي في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، كان العثمانيون يعدون العدة لضرب الدولة السعودية الأولى التي أثبتت وجودها خلال سنوات قلائل، واستطاعت أن تمد سلطانها حتى وصلت إلى الحرمين الشرفيين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) غربًا، وإلى بعض دول الخليج العربي شرقًا، فاعتبرت الدولة العثمانية هذا العمل تعدٍ على نفوذها وأخذت في التخطيط لتدمير الدولة السعودية الأولى، فأصدر الباب العالي أمره إلى واليه في مصر محمد علي باشا للقيام بهذه المهمة.

كانت بريطانيا ترقب الموقف بحذر دون تدخل لأن سياستها تقضي بعدم التدخل في الشئون الداخلية لأي بلد، وكان اهتمامها منصب على الساحل، لكن هذا لا يمنع قلقها والتحفز لما سيحدث من جراء تقدم جيوش محمد علي، لذا أخذت بريطانيا تكبل مشايخ الخليج العربي بمعاهدات حماية لمواجهة هذا الخطر الجديد القادم من مصر، وكانت في ظاهرها تهدف لمحاربة القرصنة، لكن حقيقتها تنطوي على التوسع الاستعماري. وبحلول سنة 1839 أقنعت بريطانيا شيوخ الخليج العربي بتوقيع هدنة بحرية تنص في بادئ الأمر على عدم المساس بالتجارة البريطانية، فكانت تلك الهدنة البذرة الأولى لفرض سلطان بريطانيا على منطقة الخليج.

رابعًا: مكافحة تجارة الرقيق في الخليج العربي

كانت بريطانيا تتحكم في طرق المواصلات بين الهند والخليج العربي منذ سنة 1799م، إلا أنها لم تحاول تطبيق قانون حظر تجارة الرقيق في منطقة الخليج مباشرةً، ذلك القانون الذي أصدره البرلمان البريطاني سنة 1811م،[26] ولكنها في الواقع جعلت سفنها تراقب ساحل أفريقيا الشرقي لضبط السفن التي تعمل في تجارة الرقيق منذ صدور قانون الحظر.[27] وقد بدأت حكومة الهند البريطانية منذ سنة 1812م اتصالاتها مع زعماء الخليج لبحث وقف هذه التجارة، وبالذات في شهر مارس من هذا العام عندما بعث حاكم عموم الهند برسالة إلى سلطان عمان يدعوه فيها إلى التعاون مع بريطانيا للقضاء على تجارة الرقيق.[28]

وقد جاء هذا الطلب البريطاني بعد تزايد عملية تصدير الرقيق إلى الهند من قبل العمانيين والقواسم، لكن سلطان عمان لم يرد على الطلب البريطاني حينذاك، على اعتبار أن ذلك تدخلاً في شئون بلاده الداخلية.[29] وفي صيف سنة 1816م، أوقفت احدى الطرادات البريطانية، احدى السفن العمانية أثناء ابحارها في مياه الخليج في طريقها إلى البصرة، وكان على ظهرها عدد من العبيد لبيعهم هناك، وتم إرسالها ومَنْ عليها إلى بومباي لمحاكمة بحارتهم أمام المحكمة البحرية هناك.[30]

1/4- معاهدة حظر تجارة الرقيق مع القواسم 1820

كان بعض التجار من القواسم يقومون بجلب الرقيق من شرق أفريقيا وبيعه في الخليج والجزيرة العربية والعراق، وفارس، والهند. وقُدر عدد هؤلاء الأرقاء الذي نقلتهم سفن القواسم خلال سنة 1811م بـ (200) ألف. وتجدر الإشارة إلى؛ أن موسم تجارة الرقيق في الخليج كان يتوافق عادةً مع موسم حصاد البلح في البصرة، والذي يبدأ من شهر يوليو فصاعدًا، حيث كان التجار القواسم يقومون ببيع ما عندهم من عبيد في البصرة، ويشترون بثمنهم بلحًا لبيعه في إمارات الخليج العربي.[31] وبعد تزايد نشاط القواسم في شرق أفريقيا، رأت الحكومة البريطانية أنه لابد من وضع حد لنشاطهم هذا، وذلك باتخاذ خطوات فعالة للقضاء على هذه التجارة في شرق أفريقيا، وتكون الخطوة الأولى في سبيل تحقيق هذا الهدف، التوقيع على معاهدات مع شيوخ القواسم ورؤساء القبائل في الساحل المتصالح، وكذلك مع سلطان عمان. وفي الخطوة الثانية، اللجوء إلى استخدام القوة المسلحة ضد المخالفين لقانون حظر تجارة الرقيق.

وتنفيذًا لهذه الخطة، تمكن قائد القوات البحرية البريطانية في الخليج العربي من إلزام شيوخ الساحل المتصالح التوقيع على معاهدة حظر تجارة الرقيق في 8 يناير 1820، وقد احتوت المعاهدة على أحد عشر بندًا، جاء في المادة التاسعة منها: (إن حمل الأرقاء من الرجال، والنساء، والأطفال من سواحل أفريقيا أو سواها يعتبر نهبًا وقرصنة). كما تعهد شيوخ الساحل بعدم نقل الرقيق بسفنهم، وأن تكون كل سفينة حاملة ترخيصًا باسمها، وبعدد العاملين عليها، والميناء المتجه إليه،[32] وبمعاقبة كل مَنْ يخالف قانون الحظر من رعاياهم. ومن الملاحظ؛ أن نص هذه المعاهدة لا يشير صراحةً إلى حظر تجارة الرقيق، أو شراء وبيع الرقيق بالتعامل التجاري العادي، أو نقلهم بعد إتمام صفقات شرائهم، كما أن الحكومة البريطانية لم تحدد عقوبة ما ضد منتهكي الحظر الذي ورد في البند التاسع.[33] وقد جددت المعاهدة مرة أخرى مع زعماء الساحل في سنة 1838م.[34]

2/4– معاهدة حظر تجارة الرقيق مع سلطان عمان 1822

كان نجاح بريطانيا في التوقيع على معاهدة حظر تجارة الرقيق مع القواسم دافعًا لمحاولة إقناع سلطان عمان للتوقيع على معاهدة مماثلة، ولكنها اتبعت خطوات تمهيدية لتحقيق ذلك. في شهر أغسطس 1821م، تقدمت بطلب لسلطان عمان تدعوه إلى الإقلاع عن بيع الرقيق في الموانئ التابعة له في شرق أفريقيا للأوربيين، وذلك بإصدار تعليمات بهذا الأمر إلى ولاته في تلك الأماكن، وتسليم رعايا بريطانيا الذين يزاولون هذه التجارة في ممتلكاته إلى أقرب سلطة بريطانية. وفي هذه الرسالة اعتذر حاكم عموم الهند لسلطان عمان إزاء قيام الطراد البريطاني باحتجاز السفينة العمانية وبحارتها سنة 1816م عندما كانت تبحر في مياه الخليج، قائلاً: "إن ربان الطراد لم يتصرف وفقًا للتعليمات المخولة له"، وتم إطلاق السفينة وبحارتها المحتجزين.

وفي هذه المرة تجاوب السلطان مع المطالب البريطانية فقام لإبلاغ المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، بأنه قد أصدر أوامره إلى ولاته في شرق أفريقيا بالامتناع عن بيع الرقيق للشعوب الأوربية، وبمنع رعايا بريطانيا من العمل بهذه التجارة. في الوقت نفسه، أكد السلطان للمقيم البريطاني في الخليج أنه سوف يخسر من وراء هذا المنع من الأموال ما يزيد عن خمسين ألف ريال. وعلى الرغم من هذا التجاوب الذي أبداه سلطان عمان مع المطالب البريطانية، فإن حاكم عموم الهند رأى أن غير كاف، وأنه لابد من ربط السلطان بمعاهدة رسمية كالتي وقعت مع زعماء الساحل.

وبعد عدة اتصالات بين السلطة البريطانية في الهند وبين سلطان عمان، وقعت يوم (4 سبتمبر 1822م) معاهدة بين البلدين خاصة بحظر تجارة الرقيق، تعهد السلطان بموجبها بالامتناع عن مزاولة هذه التجارة في ممتلكاته الأفريقية، وبتحريم بيع الرقيق لأبناء الدول المسيحية، أو نقل هؤلاء بالسفن التابعة له أو لرعاياه إلى المستعمرات الأوربية.[35] وقد أعطى سلطان مسقط، الطرادات البريطانية، الصلاحية الكاملة في تفتيش ومصادرة السفن العمانية في المنطقة الممتدة من رأس دلجار، على الساحل الشرقي لأفريقيا إلى شرق جزيرة سقطرة، وينتهي هذا الخط عند ميناء "ديو" الهندي، ما لم تكن قد دفعت بها الرياح إلى تلك المناطق.[36]

ومن الملاحظ؛ أن هذه المعاهدة اقتصرت على منع بيع الرقيق للدول المسيحية في حين أبقت هذه التجارة للاشتغال بها في الممتلكات العمانية، طالما أنها لم تتعد الحدود التي رسمتها المعاهدة. كما أن بريطانيا لجأت إلى سياسة التدرج لمنع هذه التجارة في الخليج، لأنها كانت تعلم أن دخل سلطان عمان السنوي كان يزيد على مائة ألف ريال، وأن دخل رعيته كان مرتبطًا بهذه التجارة أشد الارتباط، وأن منعها بصورة سريعة سوف يلحق بالأهالي أضرارًا اقتصادية جسيمة.[37] وقد لاحظ جون ماكوليد (John MacLeod)، المقيم البريطاني في الخليج، في مستهل سنة 1823م، بعد رحلته للخليج والجزيرة العربية،

أن تجارة الرقيق في منطقة الخليج لازالت رائجة رغم معاهدة الحظر، وأكد على هذا أحد قادة السفن البريطانية في الخليج، زاعمًا أنه عثر في السنة نفسها (1823م) على أدلة هامة عن استمرار تجارة الرقيق فيما بين ممتلكات سلطان عمان الأفريقية، ومستعمرة موزمبيق البرتغالية، وهي المناطق التي شملتها معاهدة 1822م مع سلطان مسقط.(38)

وكانت نتيجة توقيع سلطان مسقط على معاهدة حظر تجارة الرقيق، أن ثارت ولاية ممباسا ضد السلطات العمانية هناك، وطلبت الحماية البريطانية التي قبلت ذلك دون تردد، حيث قام قائد القوات البحرية البريطانية في شرق أفريقيا بضم ممباسا والمناطق المجاورة إلى الممتلكات البريطانية، كما قام بتوجيه إنذار في شهر فبراير 1824 إلى والي عمان، على زنجبار، بأنه في حالة عدم موافقة سيده سلطان عمان وزنجبار في وقف الإتجار بالرقيق بالموانئ التابعة له، فإنه سيفقد جميع ممتلكاته في أفريقيا. غير أن شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي كانت تتزعم مكافحة تجارة الرقيق حينذاك، رأت أن سلطان عمان وزنجبار قد قدم تنازلات هامة، وأن وقف هذه التجارة في الموانئ التابعة له في شرق أفريقيا لن يتم القضاء عليها نهائيًا إلا بعد وقت طويل، ورأت أنه لابد من وقف الضغوط على السلطان، وسحب القوات البريطانية من ممباسا ومن المناطق التي كانت تابعة لسلطان عمان، وتم انتزاعها منه. وبالفعل خرجت القوات البريطانية من ممباسا وغيرها، وأُعيدت مرة أخرى في أكتوبر 1827م إلى حظيرة السلطان سعيد، سلطان عمان وزنجبار

3/4– معاهدة حظر تجارة الرقيق مع شيوخ إمارات الساحل المتصالح 1838

أوصد باب المناقشة بشأن تجارة الرقيق مع السلطان العماني حتى 1835، عندما جددت بريطانيا مطالبتها لسلطان مسقط تجديد المعاهدة السابقة. وقد جاء هذا الطلب بواسطة المقيم السياسي البريطاني، ولكنه رأى عدم إثارة هذا الموضوع مع سلطان مسقط في هذه الآونة، بسبب توتر الوضع في الجزيرة العربية والخليج، لأن محمد علي والي مصر (1805 – 1848) كان يقوم حينذاك بعمليات توسع داخل الجزيرة العربية ويسعى للوصول إلى الخليج، وفي الوقت نفسه كان شاه إيران يقوم بالاستعداد للهجوم على منطقة الحيرة العراقية. ولهذا كله ظلت القضية مجمدة حتى 1838، حينما قام المقيم السياسي البريطاني في الخليج بزيارة للشارقة يوم 17 أبريل وإجراء مباحثات مع حاكمها، تركزت حول الشكوى التي تلقاها المقيم من أحد شيوخ الصومال ويدعى عبد الله بن عوض، والتي زعم فيها أن القواسم اختطفوا (233) فتاة صومالية من مدينة بربرة الصومالية، في الأول من شهر أبريل 1838، وقاموا ببيعهن في منطقة الخليج.

وقد أنكر شيخ الشارقة أن يكون أحد من أتباعه قد قام بهذا العمل، لأنهم يعلمون أن الصوماليين مسلمون، وأن الإسلام لا يجيز استرقاق المسلم. وبعد أن قام المقيم البريطاني بالتحري عن هذه المسألة، توصل إلى معلومات مفادها أن البنات الصوماليات قد تم بيعهن من قبل بعض القبائل الصومالية إلى بعض تجار الرقيق، وذلك على أثر قتل نشب في منطقة بربرة بين بعض القبائل هناك، حيث كان من عادة القبائل في تلك المنطقة بيع الأسرى الذين يقعون في أيديهم أثناء الحرب. وقد وقع المقيم البريطاني أثناء زيارته هذه للشارقة، معاهدة حظر تجارة الرقيق 1838، والتي أعطت الطرادات البريطانية الصلاحية الكاملة في مصادرة السفن التابعة للقواسم في حالة ضبطها وهي تحمل رقيقًا للبيع، وقد وقع على هذه المعاهدة جميع شيوخ إمارات الساحل المتصالح.(39)

4/4– الجهود البريطانية في الخليج لوقف تجارة الرقيق 1839 – 1849

عقب توقيع شيوخ الساحل المتصالح على معاهدة 1838، وافق سلطان عمان على توسيع معاهدة 1822 السابقة، وقد تضمنت المعاهدة الجديدة التي وقع عليها السلطان والمقيم البريطاني يوم 17 ديسمبر 1839 فقرة جديدة هي المادة

(15) التي أصبح بموجبها قيام الطرادات البريطانية بتفتيش السفن العمانية ومصادرتها في حالة القبض عليها وهي تحمل رقيقًا بقصد البيع. لكن على الرغم من هذه المعاهدات، فإن التقارير التي كُتبت في تلك الفترة كانت تؤكد أن هذه التجارة لم تتوقف، ولذلك نرى بعد خروج محمد علي والي مصر من شبه الجزيرة العربية سنة 1840، يصدر وزير الخارجية البريطانية في 8 يونيو 1841 تعليماته إلى حاكم عموم الهند، بشأن القيام بإبلاغ زعماء الخليج بأنه لم يعد في مقدور الحكومة البريطانية الامتناع عن استخدام القوة المسلحة ضدهم لوقف تجارة الرقيق في المنطقة.

في الوقت نفسه، اظهر وزير الخارجية البريطانية استعداد حكومته لتقديم مساعدة مالية إلى سلطان عمان، بواقع (2000) جنيه استرليني سنويًا تعويضًا له عن الضرائب التي كان يتقاضاها من تجار الرقيق. وهو في الواقع يُعَدّ مبلغ رمزي عما سبق أن ذكرناه، من أن السلطان كان يحصل على مائة ألف ريال، وهو ما يزيد عن (50000) جنيه استرليني حينذاك من ضريبة المكوس على هذه التجارة. أما بخصوص شيوخ الساحل المهادن، فإن الوزير لم يعدهم بأية مساعدة مالية. ولكن حاكم عام الهند، لم يؤيد قرار الوزير البريطاني، بالتهديد باستخدام القوة ضد زعماء الخليج، واقترح بدلاً من ذلك، عقد معاهدات صداقة، على أن تتضمن تعويض المتضررين من وقف هذه التجارة.

وقد شددت بريطانيا عقب معاهدة 1839، قبضتها على الملاحة العربية عن طريق مراقبة السفن الخليجية وتفتيشها، ومصادرة السفن المخالفة، وفرض الغرامات على المخالفين للحظر. ومنذ سبتمبر 1842، انتقلت مسئولية مكافحة الرقيق من حكومة بومباي إلى حكومة لندن مباشرةً، وأصبحت حكومة لندن أكثر حزمًا مع زعماء الخليج في مسألة تجارة الرقيق، إذ نرى وزير خارجيتها الجديد يقوم بإبلاغ سلطان مسقط في رسالة بعثها إليه في شهر يونيو 1843 هدد فيها باستخدام القوة ضده في حالة عدم منع رعاياه من مزاولة تجارة الرقيق.

وعلى أثر تلقي السلطان هذا التهديد، بعث فورًا وفدًا رسميًا إلى لندن، وكان الوفد يحمل رسالة إلى وزير الخارجية البريطانية، أعرب فيها السلطان عن تقديره للحكومة البريطانية إزاء ما تبذله من جهود لوقف هذه التجارة، ولكنه أكد أن وقفها في ممتلكاته سيؤدي حتمًا إلى انهيار الأوضاع الاقتصادية في شطري السلطنة (عمان وزنجبار)، وأنه لن يتبقى لديه مورد مالي آخر لمواجهة أعباء الحكم، ولكن إذا كانت بريطانيا جادة في وقف هذه التجارة، فإنه يجب عليها تعويضه عن خسائره المالية التي سوف سيتكبدها أو على الأقل بجزء منها. غير أن الجانب البريطاني رفض مسألة التعويض، وأبلغ الوزير البريطاني رئيس الوفد العماني أن يبلغ سيده بأن عليه الالتزام بحظر هذه التجارة، والبحث عن مورد آخر للرزق كالتجارة المشروعة.

ومع أن سلطان عمان وزنجبار اضطر إلى منح الطرادات البريطانية حق تفتيش سفنه وسفن رعاياه، إلا أنه كان في الواقع مستاء في قرارة نفسه نتيجة ذلك، على اعتبار أن في هذا إهدار لمركزه الاجتماعي بين رعاياه. وكان يرى أن بريطانيا تهدف من وراء مكافحة تجارة الرقيق تحقيق أهداف سياسية محضة في المنطقة، بدليل أنها رفضت إشراك الدولة العثمانية معها في إجراءات المكافحة.[40] فقد اعترضت الحكومة البريطانية على الدولة العثمانية التي أصدرت سنة 1847 فرمان يسمح لوالي بغداد بإرسال السفن الحربية التركية إلى مياه الخليج لمشاركة الطرادات البريطانية في أعمال التفتيش على المراكب التي يشتبه في أنها تحمل رقيقًا للبيع.[41] وأعلن المقيم البريطاني في الخليج على أثر صدور ذلك الفرمان، أن الهدف الحقيق لتركيا هو توطيد نفوذها أكثر في منطقة الخليج والجزيرة العربية، أكثر من العمل على قمع تلك التجارة.

وفي الوقت الذي نرى فيه الحكومة البريطانية تمارس كل وسائل الضغط بما في ذلك التهديد باستخدام القوة المسلحة ضد زعماء الخليج لمنع رعاياهم من مزاولة تجارة الرقيق، يتقدم أحد رعاياها وهو الكابتن "كوجان" الذي اعتزل الخدمة في الأسطول البريطاني، بطلب إلى بعض التجار في المنطقة لمده بعدد من الرقيق للعمل في مزرعة قصب السكر التي أنشأها في

زنجبار سنة 1843. وكانت الشركات البريطانية للبترول العاملة في الخليج تقوم باستئجار هؤلاء الأرقاء من ساداتهم، وتدفع الأجور إلى أسيادهم على مرأى الحكومة البريطانية وعلمها، وهو ما يعتبر تناقضًا مع ما تقوم به بريطانيا ضد أهالي الخليج إزاء هذه التجارة.

وفي 2 أكتوبر 1845، وقعت معاهدة جديدة بين الحكومة البريطانية وبين سلطان عمان، تعهد الأخير فيها بالالتزام بحظر تجارة الرقيق، كما خول الصلاحية الكاملة لسفن المراقبة البريطانية في اتخاذ الإجراءات المناسبة ضد سفن رعاياه التي تخالف قانون الحظر، على أن يبدأ تنفيذ هذه المعاهدة في الأول من يناير 1847.[42]

وفي شهر أغسطس 1846 بعث وزير الخارجية البريطاني بتعليماته إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج لكي يحذر زعماء المنطقة من أن الشعوب الأوربية قد عقدت العزم على وضع حد لتجارة الرقيق الأفريقي، وبأن العناية الإلهية قد اختارت بريطانيا العظمى لتنفيذ هذه المهمة، وفي ضوء ذلك فإنه يجب على زعماء الخليج التجاوب مع المطالب البريطانية بشأن هذه القضية. ولتحقيق هذه الغاية، وصل المبعوث البريطاني "الميجور هنيل" في 30 أبريل 1847 إلى إمارة الشارقة، وعقد فور وصوله اجتماعًا مع حاكمها، وخلال هذا الاجتماع تم توقيع اتفاقية جديدة بين الطرفين خاصة بحظر تجارة الرقيق الأفريقي، ووقع عليها كذلك بقية شيوخ الساحل المتصالح، وتعهدوا بموجبها بتحريم نقل الرقيق من مكان إلى آخر، كما قبلوا بمبدأ تفتيش سفنهم وسفن رعاياهم، ومصادرة أي سفينة يتم ضبطها وهي تحمل رقيقًا للبيع، على أن تكون هذه الاتفاقية سارية المفعول اعتبارًا من 10 ديسمبر 1847م.[43] وقد جُددت هذه المعاهدة معهم في مايو 1856،[44] وأيضًا في سنة 1883.

ولكن على الرغم من معاهدات حظر تجارة الرقيق، فإن التجار لم يلتزموا بها، فقد ضبطت الطرادات البريطانية خلال سنة 1847 أكثر من (12) سفينة تابعة لمسقط أثناء إبحارها في مياه الخليج وهي تحمل عددًا كبيرًا من الرقيق الحبشي بقصد بيعهم في البصرة، وتم احتجازها مع بحارتها في ميناء بوشهر، وعند استجواب ملاحي هذه السفن عن سبب انتهاكهم للحظر، قالوا إنهم كانوا يعتقدون أن الحظر لا يشمل الأحباش. وعند بحث هذه المسألة مع حكومة الهند، وجد المدعي العام في الهند أن معاهدة 1845 مع سلطان عمان لا تتضمن أي بند بمحاكمة قباطنة السفن المخالفة للحظر، ومن ثَمَّ أفرج عن السفن المحتجزة وبحارتها، وتم إطلاق حرية مَنْ بداخلها من الأرقاء. ولكن المدعي العام في الهند أوصى حكومته بضرورة تعديل معاهدة 1845، بحيث تُجيز للمحاكم البريطانية اتخاذ اللازم في مثل هذه القضايا.

وبعد أن أصبحت ولاية صحار التي كانت مستقلة عن مسقط تنافس العاصمة مسقط على تجارة الرقيق، وقع المقيم السياسي البريطاني في الخليج مع حاكمها السيد سيف بن حمود، اتفاقية مشابهة لتلك التي وقعت مع سلطان مسقط وشيوخ الساحل، وقد وقعت هذه الاتفاقية يوم 22 مايو 1849، وبموجبها قبل حاكم صحار الامتناع عن استيراد الرقيق الأفريقي، والسماح لسفن المراقبة البريطانية بحق تفتيش السفن التابعة له ولرعاياه، وبمصادرتها في حالة القبض عليها وهي تحمل رقيقًا للبيع، ومعاقبة القائمين على هذه التجارة من قبل السلطات البريطانية.

خامسًا: الإتجار بالبشر في الخليج (1850 – 1884)

ذكرنا أن الحكومة البريطانية رفضت طلبًا عثمانيًا في المشاركة بأعمال التفتيش في الخليج، وقد حذا محمد شاه قاجار (1808 – 1848) حذو السلطان العثماني في يونيو 1848 بإصداره رسالة توصية إلى رئيس الوزراء الفارسي الحاج المرزا آغاسي، نصت على موافقة الشاه على منع تجارة الرقيق في الخليج العربي، ومهدت السبيل أمام الطرفين إلى إبرام اتفاقية

أغسطس 1851 بين الرائد شل (Shell) الوزير البريطاني المفوض في طهران، والحكومة الفارسية، نص على حق السفن البريطانية والهولندية في تفتيش السفن التي تحمل العلم الفارسي، على أن يتم التفتيش بحضور مندوب عن الحكومة الفارسية، ويسلم الرقيق في حالة العثور عليهم إلى السلطات البريطانية للتصرف بهم، وشرع الطرفان في تنفيذ هذه الاتفاقية، وأمدها اثنى عشر عامًا في مطلع سنة 1852.

بعد تزايد عملية تهريب الأفارقة من قبل تجار الرقيق الخليجيين في القرن التاسع عشر، رأت الحكومة البريطانية أنه لابد من اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وحزمًا ضد المخالفين لقانون الحظر، فعينت في أوائل سنة 1855، أحد ضباط البحرية البريطانية ويدعى "ترونسون" للقيام بمهمة مكافحة هذه التجارة في الخليج، لكن هذا الرجل رأى بعد فترة من وجوده في المنطقة أن سفن المراقبة التي تعمل في شرق أفريقيا والخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي، غير كافية، ولذلك اقترح على حكومته ضرورة إنشاء أسطول بحري من السفن التجارية المجهزة بالتجهيزات اللازمة لتحقيق المهمة لمنع سفن التهريب وضبطها. ووفقًا لهذا الاقتراح قامت الحكومة البريطانية في سنة 1856 بإدخال الطرادات الحديثة في الخدمة البحرية لمكافحة تجارة الرقيق في الخليج.

الجدير بالذكر؛ أن عملية جلب الرقيق زادت بعد وفاة سلطان عمان وزنجبار "السيد سعيد" سنة 1856، وعجز السلطان الجديد على زنجبار "السيد ماجد بن سعيد" عن السيطرة على الموقف في البلاد، فقد قدر المعتمد البريطاني في زنجبار عدد الرقيق الذين تم شحنهم من زنجبار وممباسا إلى الخليج قبل سنة 1861 بما يزيد عن عشرة آلاف شخص. في الحقيقة؛ إنه على الرغم من الإجراءات البريطانية من أجل كبح هذه التجارة أو الحد منها، وإحلال تجارة البضائع والسلع الأخرى محلها طيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر، فإن وتائر تصدير الرقيق شهدت تزايدًا واضحًا، فقد دلت الكشوف الجمركية في "كلوة" على زيادة في أعداد الرقيق المصدرين منها في سنوات (1862 – 1863)، (1867 – 1868) بلغت (203, 97) شخص، صُدر منهم (703, 67) شخص إلى زنجبار، وهي مركز إعادة التصدر الرئيس إلى شبه الجزيرة والخليج العربي، و(500, 20) رأس من الرقيق إلى الجزيرة الخضراء، فيما صُدر من مراكز أفريقيا الأخرى بين 10 آلاف، و11 ألف رأس إلى مختلف الجهات القريبة من مراكز التصدير في الحبشة وجنوب السودان، ولم يزد ما استولى عليه الأسطول البريطاني على (500 – 600) رأس،[45] مما يدل بوضوح على عدم قدرة الأسطول البريطاني على تأدية الدور الذي أُنيط به بشكل دقيق.

وفي سنة 1869 أرسلت السلطات البريطانية في الهند عددًا من السفن المسلحة إلى سواحل البحر الأحمر وشرق أفريقيا لمنع تدفق العمانيين على زنجبار، هؤلاء الساخطين على السلطان ماجد الذي استولى على الحكم في عمان. وقدر أرسلت السفن إلى تلك الجهات لإحباط أية محاولة لخطف المزيد من الأفارقة انتقامًا من السيد ماجد. وفي نهاية سنة 1869 قدم وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانية تقريرًا إلى حكومته حمل فيه القنصل البريطاني في زنجبار المسئولية الكاملة عن تهريب الرقيق من شرق أفريقيا، كما اقترح اقتسام نفقات مكافحة تجارة الرقيق بين الخزانة الإمبراطورية والخزانة الهندية.

وقد تمكنت الطرادات البريطانية خلال (1869 – 1870) من اعتراض وتفتيش أكثر من (400) سفينة تابعة لعرب الخليج، وتدمير (13) سفينة، والإفراج عن (2000) من الأفارقة ممَنْ كانوا على ظهر سفن التجار. والواقع أن هذا الرقم ضئيل حسب أقوال بعض المؤرخين ولا يمثل سوى العشر مما تم تهريبهم إلى الخليج في تلك الفترة. وكان يتم محاكمة المخالفين لقانون الحظر أمام أقرب محكمة بريطانية، وكانت عدن، والرأس الأخضر، وبمباي، من أهم الأماكن التي كان يُحاكم فيها المخالفين، ثم أصبحت زنجبار بعد سنة 1870 من بين المناطق التي يُحاكم فيها المتهمون بمخالفة قانون حظر تجارة الرقيق.

وقد وصلت بعثة بريطانية في 12 يناير 1873 إلى زنجبار لتوقيع معاهدة جديدة تحل محل معاهدة 1845، وقابلت

البعثة في اليوم التالي من وصولها السلطان "برغش"، وعرضت عليه اقتراحًا بتوقيع معاهدة يلتزم بموجبها بإلغاء تجارة الرقيق في ممتلكاته التي استقل بها عن سلطان مسقط، والقيام بحماية الذين يتم تحريرهم من إعادتهم إلى العبودية، ولكن حدث ما لم يكن متوقعًا، فقد رفض السلطان التوقيع على مثل هذه المعاهدة. ويعود اخفاق مهمة البعثة في زنجبار إلى عدم تعهد رئيس البعثة لسلطان زنجبار بتعويضه عن الأموال التي كان يحصل عليها من تجارة الرقيق، بالإضافة إلى تعهد فرنسا للسلطان "برغش"، بوقوفها إلى جانبه ضد أي تهديد بريطاني يستهدف استقلاله.[46]

واضطرت البعثة إلى مغادرة البلاد يوم 15 فبراير 1873 إلى مسقط في محاولة أخرى لإقناع سلطانها بالتوقيع على معاهدة تنهي تجارة الرقيق في ممتلكاته. ونجحت البعثة في إقناع السلطان "تركي بن سعيد" في التوقيع على معاهدة جديدة يوم 14 أبريل 1873، حلت محل معاهدة 1845. وقد تعهد السلطان بمنع استيراد الرقيق إلى السلطنة، وإغلاق جميع أسواق الرقيق في ممتلكاته، وأعطى سفن المراقبة التابعة للبحرية البريطانية الحق في تفتيش ومصادرة أي سفينة يُقبض عليها وهي تحمل رقيقًا للبيع، وكذلك محاكمة بحارتها. وقد نجحت البعثة في مهمتها في مسقط، نتيجة تعهد رئيس البعثة للسلطان، بدفع حكومته التعويضات التي كان يحصل عليها من وراء تجارة الرقيق.[47]

وقد استقبلت الحكومة البريطانية نبأ توقيع سلطان مسقط على معاهدة 1873 بالارتياح، في حين استقبلت نبأ رفض سلطان زنجبار التوقيع على المعاهدة بالغضب، وهددت بواسطة قنصلها هناك، بأنها ستفرض على بلاده حصارًا بحريًا في حالة إصراره على رفض التوقيع على المعاهدة المعروضة عليه. وقد حاول السلطان "برغش" شرح أسباب رفضه للجانب البريطاني، وبأنه في حالة توقيعه على منع هذه التجارة فإن شعبه سوف يثور عليه، وذلك لأن الزراعة والأعمال الأخرى في البلاد قائمة على هؤلاء الأرقاء، وأن وقف هذه التجارة سيؤدي إلى تعطل الأمور الحياتية في البلاد نظرًا لقلة اليد العاملة. ولكن هذه المسوغات لم تقنع الجانب البريطاني، وأصرت الحكومة البريطانية على موقفها، وهنا لم يجد السلطان بدًا من التوقيع على المعاهدة في 5 يونيو 1873، وقد تعهد بغلق أسواق الرقيق في ممتلكاته، وحماية الأرقاء المعتوقين، ومحاكمة كل مَنْ يُقبض عليه وتثبت إدانته بالعمل بتجارة الرقيق، وذلك أمام المحاكم البريطانية.[48]

وفور إبرام بريطانيا هذه المعاهدة مع كل من سلطان مسقط وزنجبار، كثفت سفنها دورياتها في موانئ إفريقيا والخليج، كما كلفت سفينة الحراسة "لندن" بالبقاء في ميناء زنجبار، لمراقبة السفن القادمة والذاهبة من وإلى الميناء. وهذا ما جعل التجار العمانيين يلجئون إلى نقل رقيقهم سرًا من شرق أفريقيا مرورًا بالصومال إلى خليج عدن، ومنها إلى حضرموت ثم ينقلون برًا إلى داخل عمان، ومنها كان يتم توزيعهم داخل بقية إمارات الخليج العربي. كما أن ربابنة السفن العُمانية، استطاعوا إيهام سفن المراقبة بان شحناتهم من الزنوج لا تتكون من عبيد، وإنما من رجال يقومون بإدارة المجاذيف.[49] وقد قدر القنصل البريطاني في ممباسا عدد الرقيق الذين هُربوا على هذا السبيل سنة 1876 بحوالي (18) ألف رأس.[50]

أما بشأن الدولة العثمانية والحكومة الفارسية، فقد ارتبطتا بمعاهدتين في سنة 1881 تعهدتا فيهما بعدم استيراد الرقيق الأفارقة إلى أي جزء من بلديهما، وأباحتا لها حق تفتيش سفنهما التجارية في الخليج العربي والبحر الأحمر وساحل أفريقيا الشرقي بحثًا عن الرقيق. ودخلت المعاهدتان طور التنفيذ في سنة 1882، وذلك بعد منافسة عثمانية – بريطانية شديدة للسيطرة على البحرين والساحل الشرقي للخليج العربي امتدت طيلة الربع الأخير من القرن التاسع عشر،[51] ومنافسة فارسية بريطانية للسيطرة على هذه الجزيرة البالغة الأهمية كانت متزامنة تمامًا مع المنافسة العثمانية البريطانية.[52]

في سنة 1884 تم ضبط عصابة من البلوش[53] في ساحل الباطنة في عمان، وهي تقم ببيع الرقيق (البلوشي – المكراني) إلى أهل عمان، وقد تم محاكمة أفراد هذه العصابة من قبل السلطة البريطانية، ومعاقبتهم وإطلاق حرية الأفراد الذين

كانوا بحوزة رجال العصابة. وكانت ولاية "صور" تعتبر المحطة الرئيسة لاستقبال الرقيق البلوشي المكراني، ومنها كان يتم نقلهم إلى منطقة الباطنة، وبالتالي يتم توزيعهم داخل ولايات عمان وإمارات الساحل المتصالح، ثم يُنقل بعض منهم عن طريق البحر إلى بقية إمارات الخليج والبصرة، وكان الحاكم العسكري لصحار من أكبر المستوردين للرقيق المكراني.(54)

سادسًا: تجارة الرقيق في مؤتمر بروكسل 1890

كانت تعهدات إلغاء تجارة الرقيق، ومحاربة القرصنة، وتهريب السلاح في الخليج العربي، التي فرضتها بريطانيا على كل الأطراف في المنطقة، كان إحدى ضرورات تنامي المصالح البريطانية ومبررًا للوجود البريطاني فيها. وعلى الرغم من الجانب الإنساني الكبير الذي تحمله، كانت في الوقت نفسه أسلوبًا لمواجهة المنافسة الدولية في هذه المنطقة، لاسيما الفرنسية منها. فكلما زاد خوفها من استشراء النفوذ الفرنسي، شددت من دعواتها بمكافحة الرقيق أو متابعة القراصنة، تلك التي تنتهي عادةً بفرض تعهد جديد على هذا الحاكم أو ذاك. وتصل إلى حد التغاضي التام في بعض الأحيان عن هذه التجارة، إذا أمنت المنافسة الأجنبية في المنطقة، عندها توجه اعداد الرقيق إلى ممتلكاتها التي استحوذت عليها في أفريقيا.(55)

لذا لم تختف هذه التجارة بعد سنة 1873 كما كان مؤملاً، بل ارتفع عدد السفن العربية المتاجرة بهم، تلك التي كانت ترفع العلم الفرنسي لتأمين الحماية من ملاحقة سفن الأسطول البريطاني، إلى نحو (70) سفينة.(56) وفي سنة 1890 عُقد مؤتمر في العاصمة البلجيكية بروكسل، لبحث تجارة الرقيق الأفريقي، حيث أظهر الفرنسيون تحفظهم حول قضية المكافحة، وفي نهاية الاجتماع أصدر المؤتمرون قانونًا يحرم تجارة الرقيق، وتضمنت المادة (27) منه أن أي عبد يلجأ إلى أي سفينة أو قنصلية من قناصل الدول الموقعة على هذا القانون وجب عليها تحريره في الحال. أما المادة (28) منه، فقد أوجبت تحرير العبد، ويكون ذلك بواسطة قيام أحد ممثلي البلدان الموقعة بالتوسط لدى سيده. والدول الموقعة هي: (بريطانيا – فرنسا – تركيا) وهي الدول ذات النفوذ حينذاك في منطقة الخليج.(57)

الجدير بالذكر؛ أن عددًا من العبيد في منطقة الخليج العربي، بعد إعلان قانون مؤتمر بروكسل، لجأوا إلى السفن الإنجليزية الراسية في الموانئ الخليجية، أو إلى المفوضيات في المنطقة، طالبين التحرر، وكان يتم تحريرهم بعد أن تتوسط السلطات البريطانية لدى أسيادهم. كما ألزمت بريطانيا زعماء المنطقة بعدم استرقاق مَنْ تم تحريره مرة أخرى. وقد سعى المقيم البريطاني في الخليج، لدى أهالي المنطقة إلى تحرير عبيد المنازل، لكن هذا المطلب لاقى معارضة من الأهالي، بدعوى أنهم لا يستطيعون الاستغناء عن خدماتهم.(58) وقد استمرت شحنات الرقيق تصل إلى مدينة "صور" تحت العلم الفرنسي خلال تسعينيات القرن التاسع عشر، ومن هناك يتم توزيعهم إلى كافة مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية، وتحولت هذه المنطقة إلى مركز التوزيع الرئيس بسبب سريان حظر هذه التجارة في الأماكن الأخرى حتى مطلع القرن العشرين، ولم تجد نفعًا معاهدة 1891 بين بريطانيا وعمان التي حلت محل معاهدة 1839 بين الطرفين، والتي عوّلت عليها بريطانيا كثيرًا لتركيز نفوذها وتأصيل تغلغلها في المنطقة.

خاتمة:

ومع إطلالة القرن العشرين لم تنقطع تمامًا هذه التجارة، وإنما بقيت تزاول في نقاط متباعدة ولاسيما في الخليج والجزيرة، فقد نشرت جريدة (Daily news) البريطانية في 5 تشرين الثاني 1926 أن الحكومة البريطانية وقعت ميثاقًا مع (30) حكومة في جنيف في شهر أيلول من تلك السنة حول قطع دابر هذه التجارة إلى الأبد، وذلك بعد أن وردتها أنباء تفيد بأن هذه التجارة كانت تزاول بين الحجاج القادمين إلى مكة والعائدين منها، فقد يعود الحاج إلى بلده مصطحبًا معه عدد من

الرقيق، حيث ظل البحر الأحمر وكينيا والحبشة بمثابة مراكز إعادة تصدير إلى مكة والخليج العربي. وأخيرًا تجدر الإشارة إلى؛ أن بريطانيا حاربت تجارة الرق الدولية ونقلهم من أفريقيا إلى مختلف جهات العالم طيلة القرن التاسع عشر في الخليج وفي غيره من الأماكن، في حين لم تلتفت إلى تحرير الرق المحلي المتأصل في منطقة الخليج والجزيرة العربية، أو تأهيلهم بعد تسريحهم من العمل في سفن الغوص بعد انهيار صيد اللؤلؤ في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث وجد هؤلاء المتاعيس أنفسهم بلا عائلات تأويهم وبلا عمل ينتظرهم، في حين بقي الرق مستشريًا في المنطقة إلى ستينيات القرن العشرين.

ويتضح من هذا العرض التاريخي:

أولاً: الهيمنة البريطانية على الخليج العربي في مرحلة الاستعمار البريطاني لم تكن بحاجة فقط لأسطول عسكري ضخم وقادة وسياسيين متمرسين ومنظومة معرفية وإدارية عميقة، بل كانت بحاجة لمبررات وشعارات تسوّغ السياسات وتؤطرها في إطار يكون أكثر قبولاً، ومن أبرز نماذج ذلك شعار محاربة تجارة الرقيق في الخليج العربي.

ثانيًا: كَيَّفَ الإنجليز نظامهم الاستعماري بما يتناسب مع ظروف منطقة الخليج العربي، فاستخدموا حججًا وذرائع جديدة كمكافحة تجارة الرقيق، واستطاعت بريطانيا تثبيت التوغل الإنجليزي في المنطقة بشكل رسمي من خلال معاهدات جائرة قامت بفرضها على الشيوخ الذين تحولوا إلى ألعوبة بيدي المقيم البريطاني، الذي أصبح ملك الخليج غير المتوج.[59]

ثالثًا: رغم أن محاربة الرقيق تُعَدّ عملاً أخلاقيًا ومحمودًا، إلا أن السلطات البريطانية حين رفعت هذا الشعار فإنها حقّقت من خلاله الكثير من المكاسب المهمة، الأمر الذي ساهم في تركيز نفوذها في الخليج العربي. فقد سمحت سياسة محاربة تجارة الرقيق لبريطانيا بإلزام حكام الخليج بالتوقيع على معاهدات واتفاقيات توفّر لبريطانيا الغطاء لمواجهة السفن التابعة للقوى المحلية تحت ذريعة ملاحقة تجار الرقيق، كما وفّرت لها الغطاء للتدخل في بعض القضايا الداخلية تحت الذريعة نفسها.

رابعًا: على الرغم من كثرة المعاهدات التي فرضها البريطانيون على حكام وشيوخ المنطقة، فإن زيادة وتائرها كشف عن عدم جديتهم في إنهاء تجارة الرقيق التي تمثل لهم مصدرًا مهمًا من مصادر الفوائض المالية التي توفرها من خلال ضرائب المرور (الترانزيت) المفروضة على نقل الرقيق، أو العوائد المالية من جراء فروق الأسعار عند نقل هؤلاء المتاعيس من منطقة لأخرى، أو ما يرتبط بهم من نشاط اقتصادي (رعوي – زراعي) لاستخدامهم في السقي أو الحراثة أو في أعمال الغوص وصيد اللؤلؤ، أو رعي الحيوانات لأسيادهم، أو تزويد فرقهم المقاتلة بدماء جديدة، فقد كان الأفارقة القوة الضاربة في الأسطول العماني.[60]

خامسًا: كان وضع حدٍ لتجارة الرقيق أحد أهم المسوّغات التي استخدمها البريطانيون لبسط سيطرتهم على المياه الإقليمية حول شبه الجزيرة العربية بما فيها الخليج، وبالنسبة للمسئولين البريطانيين، كان نقل الرقيق عبر البحار جزءًا من الطبيعة غير المتحضرة لسكان المنطقة، وساعد فرض عقوبات على القرصنة واستئصال تجارة الرقيق على بسط النظام في هذه المنطقة، ومن ثَمَّ سلامة سفن بريطانيا وطرق التجارة من المحيط الهندي الغربي إلى الهند.

سادسًا: لقد ساهمت سياسة محاربة تجارة الرقيق في بسط النفوذ البريطاني في الخليج، وكذلك ساهمت في إبراز بريطانيا كقوة متحضرة في مقابل «الطبيعة غير المتحضرة لسكان المنطقة»، في رأي المسئولين البريطانيين،[61] فمحاربة الرقيق قدمت بريطانيا في صورة قيمية عالية، ووفّرت لها عنصرًا مهمًا من عناصر تكوين الثقافة المبررة للاستعمار.

سابعًا: لم تكن بريطانيا جادة تمامًا في كبح هذه التجارة المقيتة، وذلك لضآلة التعويضات الممنوحة لهؤلاء الحُكام أو عدمها، فضلاً عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء مكافحة هذه التجارة في منطقة شحيحة الموارد، وقلة أعداد السفن (سبع سفن) المناط بها متابعة هذه التجارة والقضاء عليها في منطقة هائلة الامتداد بين شواطئ أفريقيا الشرقية وشواطئ شبه القارة

الهندية الغربية، بما فيها من خلجان وأرخبيلات وأخوار. ومن ناحية أخرى؛ إذا كانت الإمارات الصغيرة قد وافقت على إجراءات التفتيش البريطانية واستسلمت لها، فإن الدول الكبيرة نسبيًا مثل فارس والدولة العثمانية قاومت التدخل البريطاني لما ينطوي عليه من انتهاك لسيادتها.

ثامنًا: المفارقة التي كشفت عن حقيقة شعار محاربة تجارة الرقيق، هي أن السلطات البريطانية في الوقت الذي كانت تنادي فيه بتحرير الرقيق، كانت تحكم من سيطرتها أكثر وأكثر على سكان الدول التي تقع تحت هيمنتها، فهي تنادي بحرية العبيد لكنها في الوقت نفسه، تستعمر وتحتل وتقيد من حريات العبيد والأحرار في مستعمراتها. هذه المفارقة ربما تدل على حالة الاستغلال لشعار محاربة تجارة الرقيق في السياسة البريطانية الاستعمارية، فالمعيار هو المصالح البريطانية الكبرى وليس الشعارات والمبررات التي قد تسوغها. فإذا استلزمت مراعاة المصالح البريطانية محاربة تجارة الرقيق تلجأ السلطات البريطانية لذلك، وإذا استلزمت المصالح البريطانية استعمار واحتلال دول أخرى تلجأ لذلك أيضًا. في الأصل، لم تأت بريطانيا إلى الخليج لتحرير العبيد فيه، وإنما لتحقيق مصالحها وبسط نفوذها،[62] وبالتالي فإن أية سياسة تتبعها يجب أن تقود للأصل الذي جاء بها إلى الخليج.

الهوامش

(1) محمد حسن العيدروس، "التاريخ الاقتصادي للخليج العربي والجزيرة العربية في العصر الحديث (1513 – 1914)".- مجلة التاريخ العربي (جمعية المؤرخين المغاربة).- ع(42) 2007.

(2) راجع: عبد العليم عبد الرحمن خضر، "الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي في التراث الجغرافي للعلماء المسلمين".- مجلة آفاق الثقافة والتراث (مركز جمعة الماجد).- ع25- 26 يوليو 1999. ص 112 – 117.

(3) نوال حمزة يوسف الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1983. ص 51 – 52.

(4) Miles, Samuel Barrett, The countries and tribes of the Persian Gulf.- London: Frank Cass, 1966. P.143.

(5) لوريمر، ج.ج.، دليل الخليج.- الدوحة: مطابع علي بن علي، 1975. (ج1؛ ص 12 – 13).

(6) حياة محمد البسام، "النفوذ البريطاني في الخليج العربي وموقف الدولة العثمانية منه".- مجلة المؤرخ المصري (جامعة القاهرة).- ع15 يوليو 1995. ص 110.

(7) Miles, Samuel Barrett, The countries and tribes of the Persian Gulf.- London: Frank Cass, 1966. P.140.

(8) لوريمر، دليل الخليج، (ج1؛ ص 14 – 15).

(9) حياة البسام، "النفوذ البريطاني"، ص 111.

(10) صلاح الدين العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي.- القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1982. ص 16 – 17.

(11) محمود علي الداوود، الخليج العربي والعلاقات الدولية (1890 – 1914).- القاهرة: معهد الدراسات العربية، (د.ت). ص 51.

(12) فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.- الكويت: ذات السلاسل، 1981. ص 27 – 27.

(13) شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980. ص 42.

(14) دونالد ويدنر، تاريخ أفريقيا: جنوب الصحراء/ ترجمة: راشد البراوي.- القاهرة: مكتبة الوعي العربي، 1962. ص 147 – 150.

(15) عبد السلام الترمانيني، الرّق: ماضيه وحاضره.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979. ص 86. (سلسلة عالم المعرفة؛ 23)

(16) فؤاد العابد، سياسة بريطانيا، ص 91.

(17) جون ب. كيلي، بريطانيا والخليج (1795 – 1870)/ ترجمة: محمد أمين عبد الله.- عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1979. (ج2؛ ص 7 – 9).

(18) جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا (1741 – 1861).- القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1968. ص 244 – 245.

(19) عبد القادر حمود القحطاني، "تجارة الرقيق في الخليج العربي في التاريخ الحديث".- مجلة المؤرخ المصري (جامعة القاهرة).- ع15 يوليو 1995. ص 202.

(20) كيلي، بريطانيا والخليج، (ج2؛ ص 9 – 17).

(21) عبد القادر القحطاني، "تجارة الرقيق"، ص 203.

(22) محمد مرسي عبد الله، "الاستعمار البريطاني في الخليج العربي".- مجلة التاريخ العربي (جمعية المؤرخين المغاربة).- ع(28). ص 115.

(23) منيرة عبد الله العريان، علاقات نجد بالقوى المحيطة (1319 - 1332هـ / 1902 - 1914م).- مكة: جامعة أم القرى (أطروحة دكتوراه)، 1987. ص 11

(24) أرنولد ويلسون، تاريخ الخليج/ ترجمة: محمد أمين عبد الله.- سلطنة عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1981. ص 163.

(25) محمد مرسي عبد الله، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى (1793- 1818).- القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1978. ص 117.

(26) ظهرت في بريطانيا منذ سنة 1673م أصوات تنادي بمنع تجارة الرقيق، إلا أن هذه الأصوات جوبهت بالمعارضة من قبل المنتفعين بهذه التجارة، وكان وزير المستعمرات البريطاني اللورد دارتوث (Dar Touth) في مقدمة المعارضين لوقفها. وقد وصف عمدة بريستول تجارة الرقيق في سنة 1713م بأنها عماد الشعب البريطاني، ومن أسباب عظمة بريطانيا وقوتها فيما وراء البحار. وعلى الرغم من ذلك استطاعت الجمعيات الخيرية التي تألف في بريطانيا منذ سنة 1783 الحصول على موافقة البرلمان في سنة 1811م بإلغاء الرق داخل بريطانيا، لكن لم يصدر قرار رسمي بتحريم هذه التجارة في أنحاء الكومنولث البريطاني إلا في سنة 1833م. راجع:
زاهر رياض، استعمار افريقية.- القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965. ص 80 – 81.
Macmillan, W. M., Africa Emergent.- London: Penguin, 1949. P. 15 – 16.

(27) دونالد ويدنر، تاريخ أفريقيا: جنوب الصحراء/ ترجمة: راشد البراوي.- القاهرة: مكتبة الوعي العربي، 1962. ص 148 – 149.

(28) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا: دراسة وثائقية.- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1982. ص 228.

(29) John Gray, History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856.- London: Oxford University Press, 1962. P. 227.

(30) جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا (1741 – 1861).- القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1968. ص 245.

(31) فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.- الكويت: ذات السلاسل، 1981. ص 91.

(32) عبد العزيز محمد المنصور، التطور السياسي لقطر (1868 - 1916).- الكويت: منشورات ذات السلاسل، 1980. ص 64 – 65.

(33) J.C. Hurwitz, Diplomacy in Near and Middle East, (1535 -1914).- New York: Columbia Univ. Press, 1972. (Vol. I, P.88 – 89)

(34) اتحاد المؤرخين العرب، البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية.- الدوحة: لجنة تدوين تاريخ قطر، 1976. (ج2، ص 821)

(35) جون ب. كيلي، بريطانيا والخليج (1795 – 1870)/ ترجمة: محمد أمين عبد الله.- عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1979. (ج2؛ ص 26 – 32).

(36) *See*: J. Marlow, The Arabian Gulf in Twentieth Century.- London: The Cresset Press, 1962. P. 14.

(37) جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق إفريقيا (1741 – 1861).- القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1968. ص 274 – 248.

(38) كيلي، بريطانيا والخليج، (ج2؛ ص 31 – 35).

(39) صلاح العقاد، جمال قاسم، زنجبار.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1959. ص 97.

(40) محمد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (1840 - 1909).- القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1970. ص 162.

(41) جمال زكريا قاسم، "النزاع العثماني في الخليج العربي قبل نشوب الحرب العالمية الأولى".- المجلة التاريخية المغربية.- السنة العاشرة، العدد (29) يوليو 1983. ص 360.

(42) رودولف سعيد روث، السيد سعيد بن سلطان (1791 – 1856): سيرته ودوره في تاريخ عمان وزنجبار/ ترجمة: عبد المجيد حبيب القيسي.- بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988. ص 166

(43) يذكر أن الشيوخ جميعًا وقعوا على هذه الإتفاقية دون اقتناع منهم ولكن إرضاء للحكومة البريطانية، راجع:
J.B. Kelly, Britain and the Persian Gulf, 1795–1880.- Oxford: Clarendon Press, 1968, 1968. P.589.

(44) *See*: Frauke Heard-Bey, From Trucial States to United Arab Emirates.- London: Longman, 1982. P. 290.

(45) صلاح العقاد، جمال قاسم، زنجبار، ص 156.

(46) بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر.- الكويت: ذات السلاسل، 1988. (ج2، ص 45).

(47) دليل الخليج، ج6، ص 3580.

(48) زاهر رياض، استعمار افريقية، ص 88 – 90. عبد العزيز محمد المنصور، التطور السياسي، ص 67. وانظر أيضًا:
Coupland, Reginald, East Africa and its Invaders from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856.- Oxford: Clarendon Press, 1961. Pp.200 – 201.

(49) كيلي، بريطانيا والخليج، ص 388 – 397. صلاح العقاد، التيارات السياسية، ص 165.

(50) صلاح العقاد، جمال قاسم، زنجبار، ص 161.

(51) راجع: حسين محمد القهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي (1869 – 1914).- بغداد: مطبعة الإرشاد، 1980. ص 105 – 197.

(52) راجع: جمال زكريا قاسم، "الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي: أصول المشكلة وتطورها التاريخي".- المجلة التاريخية المصرية، مجلد (20)، القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1973. ص 201.

(53) بلوچ أو البلوش: أحد الأعراق التي تسكن ما بين باكستان وإيران وجزء بسيط من أفغانستان وقد هاجر الكثير منهم إلى سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة والبحرين والكويت وغيرها من دول الخليج منذ وقت طويل، ويتميزون بلغتهم الخاصة وهي مزيج بين عدة لغات منها العربية والهندية والفارسية، كما يتميزون بعادات وتقاليد خاصة بهم، ويدينون بالمذهب السني.

(54) عبد القادر القحطاني، "تجارة الرقيق"، ص 222.

(55) M.V. Seton-Williams, Britain and the Arab States: a survey of Anglo-Arab relations, 1920- 1948.- London: Luzac, 1948. P.205.

(56) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني: دراسة في العلاقات التعاهدية.- بغداد: مطبعة الارشاد، 1978. ص 432 – 436.

(57) رودولف سعيد روث، السيد سعيد، ص 166. جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد، ص 205.

(58) دليل الخليج، ج6، ص 3581 – 3595، ص 3626 – 3629.

(59) نتاليا نيكولايفنا تومانوفتيش، الدول الأوربية في الخليج العربي من القرن 16 إلى القرن 19/ ترجمة: سمير نجم الدين سطاس.- دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2006. ص 254. (السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج؛ 4)

(60) Donald Hawley, The Trucial States.- London: George Allen and Unwin, 1970. Pp. 136-137.

(61) حسن سعيد، "بريطانيا وهي تواجه تجارة الرقيق في الخليج: ماذا كانت تخفي؟".- صحيفة الوسط البحرينية: (يومية، سياسية، مستقلة).- ع4544 بتاريخ 15 فبراير 2015.

(62) ولكن على الرغم من أن البريطانيين قد استخدموا محاربة تجارة الرقيق لتحقيق أهدافهم السياسية من فرض سيطرتهم على المحيط الهندي والخليج، وتحطيم الملاحة والتجارة العربية في هذه المنطقة، بالرغم من كل هذا تبرز حقيقة واضحة، وهي أن للبريطانيين فضلاً كبيرًا في وضع حد لهذه التجارة في منطقة الخليج. ولعل أحد أسباب نجاح البريطانيين في منع هذه التجارة بالرغم من ضيق الأهالي بها هو أن منع تجارة الرقيق وتحريمه أصل من المبادئ الإسلامية التي عمل الإسلام على تحقيقها. وكان انتعاش تجارة الرقيق لا يتمشى أبدًا مع التعاليم الإسلامية. وتثبت هذه القضية أن اتصال البلاد الإسلامية مع الغرب، وتأثر هذه البلاد بكثير من عناصر الحضارة الأوروبية الحديثة لم يكن بالضرورة شرًا كله أو منافيًا كله لتعاليم الإسلام. ونحن نرى في موضوع الرقيق كيف أن البريطانيين قد ساعدوا المسلمين بمنعهم هذه التجارة على تحقيق مبدأ من الأصول الإسلامية التي غفلوا عنها لظروف تاريخية. راجع: محمد مرسي عبد الله، "بريطانيا وتجارة الرقيق في الخليج".- مجلة التاريخ العربي (جمعية المؤرخين المغاربة).- ع(7) صيف 1998. ص 77 – 90.

عبادة الإله آمون والإلهة تانيت ببلاد المغرب القديم– بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي –

أ. بن سالم الصالح
بجامعة سطيف 02

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص :

لقد اختار سكان بلاد المغرب القديم كغيرهم من الشعوب ديانة يسيرون على شريعتها والمتمثلة في الديانة الوثنية والتي تنوعت بين عبادة مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والحجارة والماء .. وبين العبادة الطوطمية (الحيوانات والنباتات) والعبادة الروحانية (الأنيميات)، وبين هذا وذاك برز للمغاربة مجموعة من الآلهة والتي كانت بمثابة الملهم لهم فتمسكوا بها ودافعوا عنها، حتى أن الديانات السماوية التي جاءت بعد ذلك في شاكلة المسيحية مع (الرومان) والإسلام مع (العرب الفاتحين) وجدت صعوبات جمة في اختراق هذه المعتقدات، بل أنها لم تستطع أن تمحيها ولو جزئيا من مخيلتهم ومن ممارساتهم اليومية، ومن بين هاته الآلهة نجد كل من الإله آمون إله الشمس والإلهة تانيت إلهة القمر .

الكلمات المفتاحية :الديانة، الوثنية، آمون، تانيت، المغرب القديم، قرطاجة، الإغريق، الرومان، مصر

Abstract:

the population of Greater Maghreb or Northwest Africa were pagans and varied between worshiping nature (the sun , the moon ,the stars, stones and the water) and others worship totems suh as animals and plants and some others has spirituality worship (physes) and between this and that it has emerged to Maghrebins set of gods which served as inspiring them clung to them defended them,with the coming of monotheistic religions as the judaism and christianity (Romman era and before it) and after the coming of Islam with arabs conquerors found great difficulty in penetrating in the souls of population and it had faced a struggles and so many difficulties to erase the ancient beliefs from daily practices and among these as we find the god amun god of sun and tanit god of the moon which still has an impact in and Collective Epidiascope especially to illiterate people

مقدمة :

عندما أطل الإنسان لأول مرة على هذا العالم ورأى عظمة السماء، من سطوع الشمس وضياء القمر وعلو الجبال وسعة الأرض فأدهشه ذلك، ونتيجة لسذاجة عقله فانه لم يستطع الوصول إلى حقيقة الخالق فشعر أنه ضعيف وعاجز أمام هذه المظاهر فخر ساجدا لها في اعتقاده أن الخضوع لها حماية وقوة والابتعاد عنها خوفا وحيرة 1 هذا الحس الداخلي يسمى تدينا فالغريزة الدينية مشتركة بين الأجناس البشرية حتى أشدها همجية، ورغم وجود بعض الجماعات الإنسانية البدائية من دون حضارة وعلوم ومع ذلك فلها ديانة 2، فالدين هو مجموعة من الوقائع التي تشمل العقائد والطقوس، وهو مؤسسة اجتماعية لها ركنين الأول روحي مكون من العقائد والثاني مادي متمثلا في الطقوس3، وهناك فرق جوهري بين الدين والفكر والمعتقد فالفكر هو اجتهاد إنساني عقلي قد يصيب ويخطأ، أما الدين فهو منسوب إلى الإله يجب إتباعه وتطبيق شرائعه من دون البحث عن مدى صحته وخطأه، وصولا إلى المعتقد الذي هو مجموعة من الأفكار التي تشكل منهجا معينا يتبناه مجموعة من البشر ويسعون إلى تطبيقه عن طريق مجموعة من الطقوس وهو جزءا من الدين4.

كانت الديانة الوثنية تعتبر العالم حلبة روحانية واسعة 5 بما فيها الشمس والقمر والأنهار والرياح ويتزعم هذه النظرية في العصر الحديث الفيلسوف تايلور، الذي يرى أن الديانات قامت على أساس عبادة الأرواح وأن الإنسان عبارة عن جسد وروح، وينسب إلى هذه الأخيرة كل النجاح والفشل6 وقد أنجبت المخيلة المغاربية إلهين مهمين شكلا زوج مقدس وهما آمون وتانيت .

ان محاولات الدراسات التاريخية المشرقية والمغربية والغربية في شكل مدح واحتواء وافتراء لكل من الاله آمون والالهة تانيت كان سببا في اختيارنا لهذا البحث للغوص فيه ، فضلا عن رغبتنا في إثراء معارفنا حول هذا الجانب – الدين والمعتقد – في حياة سكان بلاد المغرب القديم ، ولعل من بين أهم الإشكالات التي طمح البحث لمناقشتها واقتراح إجابات لها : ماهو أصل عبادة الإله آمون والإلهة تانيت ؟ وكيف تمكن المغاربة من تطوير فكرهم والوصول به إلى معتقد في حياتهم الدينية ؟ هل هذه المقدمات كافية لإنشاء دين أو معتقد مغاربي؟ وكيف نفسر علاقة التأثر والتأثير بين المعتقدات المحلية والوافدة على بلاد

المغرب القديم ؟ وما هو السر وراء محافظة المغاربة على معتقدهم الديني رغم كل المؤثرات الخارجية ؟ وهل تمكنت الديانات السماوية المسيحية والإسلام في القضاء على هذه المعتقدات ؟

موضوع البحث :

1/- عبادة الإله آمون : يعتبر من أكبر الآلهة المختلف في أصولها بين المنادي بأصله المحلي المغاربي، وبين الذي يعتبره أجنبي عن بلاد المغرب القديم (مصري، قرطاجي، إغريقي، روماني) وسنحاول في هذا البحث إثبات هويته من خلال بعض الأدلة الأثرية .

يقول المؤرخ هنري بآسيه : " كان آمون إلها كبيرا عند البربر... "7، فمن ناحية اللغة يرى أصحاب الاختصاص أن حرف الميم هو مصدريا عند المغاربة، فالماء اسمه آمان، والأم إيمان 8، كما أن وجود مجموعة من النقوش الصخرية للإله آمون في كل من معبد الحفرة بقسنطينة حيث وجد به حوالي (281) نصب لآمون، ووجدت له نقوش أخرى في كل من (هيبون، دلس، شرشال، تيبازة)، وكل هذه المناطق تنتمي إلى المملكة النوميدية، دليل آخر على مغاربيته9، وكان الإله آمون عند المغاربة يعتبر إله الخير وخلود الروح والشمس10، أما المؤرخ ديودور الصقلي فيرى بأن آمون كان ملكا ليبيا أسطوريا صار إله فيما بعد11.

مقابل ذلك نجد المراجع المصرية تنسب الإله آمون إلى مصر، وتقول أنه كان يعبد بمدينة طيبة، وقبل ذلك يجب الإقرار أن آمون كان إلها لواحة سيوة12 الليبية قبل أن تصبح مصرية منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد13 وهيرودوت يلحقها في خريطته بليبيا14، ثم غير اسمه من آمون إلى آمون طيبة وأصبح رئيسا للآلهة المصرية، وتنافس الفراعنة على تشييد المعابد له وإقامة الحفلات والأعياد تحت شرفه15، وقد حيكت حول وجوده عدة أساطير16، لكن تمييز هيرودوت في كلامه بين زيوس آمون المغاربي وزيوس المصري يدمغ الموقف المصري، زيادة على ذلك فان آمون المغاربي كان إلها للنبوؤات بالدرجة الأولى17، أما آمون المصري فكان إله للزراعة والحصاد، قبل أن يصبح سيد الآلهة18، وقام الكهنة المصريون بدمج الإله رع معبود منفيس بالدولة القديمة مع الإله آمون معبود طيبة بالدولة الوسطى ليصبح " آمون رع "19.

وهناك من المؤرخين من يرجع أصله إلى قرطاجة باسم بعل حمون – سيد الموقد بالفينيقية – الذي تخرج منه الحجارة، ويقابل الشمس في السماء20 وقد تأثر سكان قرطاجة بهذا الإله الذي جلب لهم الانتصارات في المعارك21، فشيدت له العديد من المعابد أهمها قرطاجة وسوسة 22، لكن السؤال المطروح ما هو سبب الانتشار السريع والواسع لعبادة بعل حمون بالمغرب؟ والجواب عند خبير اللغة البونية جيمس فيفري بأن جذوره المغاربية قبل المجيء الفينيقي هو سبب هذا الانتشار السريع، أما المصادر الأجنبية فترى أن السبب يعود إلى سرعة تأثير الديانة القرطاجية في أي مكان حلت به هذا من جهة وقابلية المغاربة لكل ما هو آت من الخارج من جهة ثانية 23 .

والدليل على أن بعل حمون القرطاجي هو نفسه آمون المغاربي نذكر : أن رمز بعل حمون هو الكبش وكذلك آمون المغاربي، كما أن الإله بعل حمون هو إله شمسي وأيضا آمون المغاربي، ويضيف خبراء اللغة بأن صعوبة اللغة البونية تجد صعوبة في التفريق بين أحرف الألف، الهاء، الحاء (بعل آمون ، بعل هامون، بعل حامون)24

وعند مجيء الإغريق إلى برقة وقورينة خلال القرن السادس قبل الميلاد زادت شهرة آمون، خاصة بعد مزجه مع الإله الإغريقي الشهير زيوس ليصبح زيوس آمون 25، وأصبح الإله زيوس آمون مقصد للإغريق لطلب التنبؤ بالمستقبل، خاصة بعد زيارة الإسكندر المقدوني له26، وكان الإغريق بقورينة يزورون معبده، ويطوفون حوله حاملين تمثاله – الكبش – ويرتلون بعض التعاويذ الليبية قصد استرضائه ويقوم على خدمته مجموعة من الرجال والنساء العذارى27.

تجسيد الإله آمون : لقد جسد الإله آمون في أشكال ورموز متعددة، حيث جسد على شكل شيخ يجلس على العرش ويمسك بكبش وصورة أخرى لإنسان على رأسه قرص الشمس يقف بمدخل المعبد وكأنه سيد للمعبد28، أو على شكل كبش على قرنيه قرص الشمس وهو الرمز الشائع29 ، وتظهر مكانة آمون عند النوميد من خلال صك عملة بوعد من الرومان سنة 49 ق م ، نقش على الوجه الأول صورة للملك يوبا الأول مكافأة لمساعدته قوات بومبي ضد قيصر، والوجه الثاني صورة للإله آمون الكبش وبين قرنيه قرص للشمس30، كما أن الإمبراطور كركلا قام بتشييد معبد للإلهة مينيرفا بتبسة نقش عليه صورة للكبش آمون، وهذه إشارة على وفاء الإمبراطور لديانة أجداده31، لكن أشهر الأشكال المجسدة للإله آمون نجد كل من قرص الشمس وحيوان الكبش .

أ/– الشمس : أجمعت المصادر القديمة على أن أولى عبادات المغاربة كانت الشمس وهذا ما ذهب إليه هيرودوت32 وهذا لفائدتها – الدفء والإنارة33 – باستثناء قبائل الأترانتس بالصحراء الذين كانوا يلعنونها لأشعتها الحارقة 34، عكس الليبيون في الشمال الذين يقدمون لها الأضاحي35 وقبائل النسامون المستقرون حول بحيرة تريتون الليبية36، وأطلق المغاربة على الشمس عدة ألقاب منها الإله الأكبر، الأعلى، الملك، إله السماء الأقوى37 كما لقبوها بالإله جرزيل وكان تمثاله على شكل ثور بين قرنيه قرص شمس واستمرت عبادته حتى القرن 11م حسب رواية البكري بقبائل هوارة 38، ويرى هيرودوت أن الليبيون كانوا يقدمون القرابين للشمس بقطع آذان الضحية ويرمونها فوق المسكن ثم يقتلون هذا الحيوان بلي رقبته39 ومازال المغاربة لحد الآن يمارسون بعض السلوكات التي ترمز إلى عبادة الشمس40.

ولعل أهم دليل على تجذر هذه العبادة في أوساط المغاربة ما قاله ماسينيسا عند استقباله لشيبون الاميلي (أتوجه إليك أيتها الشمس العالية ، وإليك يا آلهة السماء جميعا بأن تجعليني أرى في مملكتي سيبيون...)41، حتى أن يوبا الثاني كانت زوجته تسمى كليوباترا سيليني وتعني الشمس42.

ب/– الكبش : يؤكد الباحثون أنه لا توجد شواهد كتابية تدل على عبادة المغاربة للكبش باستثناء النقوش والرسوم الصخرية التي وجدت على شكل كبش بين قرنيه قرص يدل على الشمس وفي رقبته قلائد وتمائم وزوائد صوفية تضفي عليها هالة تعبدية بجبال الأطلس التي تعود إلى العصر النيوليتي القديم،كما وجدت رسوم صخرية للكبش في كل من : آفلو، خنقة الحجار،وعين الناقة والصافي بورنان – الجلفة – كما وجدت نقوش له في جنوب غرب وهران، وكان يسمى (بوعلام زناقة 43(

وقد لقب المغاربة كبشهم بـ (أ – م – و– ن) أي الاله آمون، وقد استمرت عبادة الكبش في القرن 11م حسب رواية البكري الذي يذكر بأن إحدى القبائل في جنوب المغرب الأقصى كانت تقدس الكبش.

وفي الأخير يمكن القول بأن الإله آمون مغاربي الأصل متعدد التسميات، فالمصريون أطلقوا عليه آمون رع، والقرطاجيون بعل حمون، والإغريق زيوس آمون، والرومان ساتورن 44

2/– عبادة الإلهة تانيت : كانت الإلهة تانيت تشكل زوج إلهي مقدس مع قرينها آمون لدى المغاربة، وكانت رمزا للأمومة والخصوبة 45، ويعود تمسك المغاربة بإلهة أنثى إلى قيمة المرأة في المجتمع القبلي واتخاذها رمزا للخصوبة 46 .

أما أصل هذه الإلهة فهو محل اختلاف أيضا بين الأصل القرطاجي والأصل المغاربي، فإذا أخذنا برأي المتخصصين في اللغات فإن اللغة الأمازيغية هي الوحيدة التي تفتتح اسم المؤنث بحرف التاء وتختم بنفس الحرف – تانيت –47، والذين يرجعونها للأصل الفينيقي استدلوا بالنقوش التي وجدت حديثا بلبنان ترمز إلى تانيث وتعود إلى القرن السادس قبل الميلاد48، وبرأي علماء اللغة فان اسم تانيت مشتق من الكلمة الفينيقية "إيتن" أي العطاء وكانت مختصة بمنح الذرية والغنى49، ويعود تاريخ انتشار عبادتها ببلاد المغرب إلى القرن الخامس قبل الميلاد50، حيث قام الفينيقيون باحتوائها ونشر عبادتها على شكل

دمى جميلة تهدى للأطفال المغاربة51، إلا أن المؤرخ المشرقي خزعل الماجدي يقر بأن أصل هذه الإلهة بربريا تبناها القرطاجيون 52، ويقابلها عند الفينيق إلهة الخصوبة عشترت53 .

تجسيد الإلهة تانيت :

لقد جسدت الإلهة تانيت في رموز وأشكال متعددة منها مثلث يعلوه خط مستقيم يمثل الذراعين تتوسطها نقطة مستديرة تمثل الرأس54، والنخلة والحمامة والرمانة التي تدل على الخصوبة 55، كما وجدت على شكل امرأة تضع ابنها على ركبتيها56 ، والهلال والقرص الذي يرمز إلى القمر57، وتقابل حسب هيرودوت إله الشمس أمون58 ، كما جسدت في شكل الصولجان الذي يتكون من غصن الزيتون وبأعلاه جناحين وتلتف حوله أفاعي59، والسنابل والسمكة التي ترمز للأمومة60 ، كما عثر علماء الآثار سنة 1940م على حوالي 158 قطعة نقدية من الرصاص والبرونز بحي باب الجزيرة – الجزائر العاصمة – تعود إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد تحمل على وجهها صورة لإمرأة على رأسها تاج وأمامها رمز النصر وهي الإلهة تانيت61، كما وجد ضريح ضخم بصبراتة 62 منقوش عليها شكل تانيت رمز المثلث 63، وقد عثر بمعبدها في قرطاجة على عدة جرار فخارية بها عظام أطفال وهي دلالة على تقديم الأضاحي البشرية للإلهة تانيت64 ، كما وجد لها أزيد من أربعة آلاف نقش مع قرينها آمون65 .

يمكن القول في خاتمة عبادة الالهة تانيت بأن تمسك المغاربة برمزها إلى يومنا هذا من خلال الإبزيم الفضي الذي تستخدمه المرأة في لباسها، والوشم على الجبهة هو خير دليل على جذورها المغاربية66 .

خاتمة البحث :

من خلال ما تم تقديمه في هذا البحث المتواضع يمكن القول بأن وجود آثار لعبادة آمون وتانيت لوقتنا الحالي في بعض مناطق الجزائر والمغرب العربي أكبر دليل على أصلية مغاربيتهما، فرغم أن الاسلام هو دين الشعب والدولة بمنطقة المغرب العربي بنسبة تفوق 98 بالمائة الا أن بعض السلوكات والأفعال الناجمة عن بعض الأشخاص والتي توارثوها أبا عن جد خير دليل بأن آمون وتانيت أكبر من مجرد رمزين من رموز الهوية الأمازيغية وإليكم بعض الأمثلة عن هذه السلوكات :

- وضع العجائز في الكثير من مناطق الجزائر ابزيم من أجل شد ثيابهن (وهذا الابزيم هو رمز من رموز الالهة تانيت، على شكل مثلث يعلوه خط مستقيم ودائرة) .
- مازال مربوا الماشية بالجزائر عند جز صوف الكباش يتركون شكل دائرة على ظهر الكبش وهي من أقوى صور ورموز الاله آمون المغاربي .
- مازال الطفل الصغير بالجزائر عند نزع ضرسه يرميه باتجاه الشمس ويقول : (أعطيتك ضرس حمار فاعطيني ضرس غزال) وهي من المقولات الخالدة للقبائل المغاربية القديمة نحو الاله آمون .
- الكثير من الجزائريين يضعون عجلات سيارات على منازلهم اعتقادا منهم بأنها تحمي منازلهم من العين الحاسدة، والدائرة هي رمز من رموز الاله آمون اله الشمس قديما .
- الكثير من الفلاحين بالجزائر أثناء حرث الأرض يرمي حبات من فاكهة الرمان على المحراث اعتقادا منه بأن هذا الفعل سيجعل السنبلة ممتلئة مثل حبة الرمان، وللعلم فان حبة الرمان هي من رموز وأشكال الالهة تانيت

ملاحق البحث :

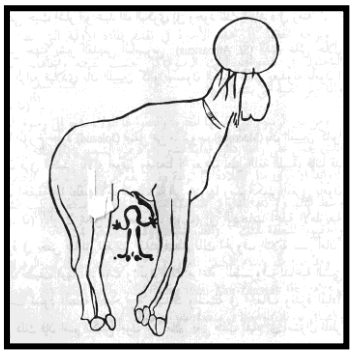

الاله آمون مجسد في شكل كبش وعلى رأسه قرص الشمس

الإلهة تانيت مجسدة في شكل امرأة تحمل طفل

الإله آمون المحتوى في الاله القرطاجي بعل حمون

الاله آمون المحتوى في الاله الروماني جوبيتر

الهوامش :

– عبد الحميد خطاب : الوضع العقائدي ومجيء الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 ، ص11

2– عبد القادر بخوش : تاريخ الأديان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009 ، ص9

3– سوسن بيطار : " فلسفة الدين " ، الموسوعة العربية ، ج9 ، ط1 ، دمشق ، 2006 ، ص563

4– عبد القادر بخوش : المرجع السابق ، ص11

5– فراس السواح : موسوعة تاريخ الأديان – الكتاب الأول ، الشعوب البدائية والعصر الحجري ، ط2 ، منشورات علاء الدين ، سورية ، 2007 ، ص228

6– عبد القادر بخوش : المرجع السابق ، ص24

7– ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة : عبد الرحمان بدوي ، ط3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص57

8– أحمد بوساحة : أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2004 ، ص56 – 60

9– محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص87 – 88

10– محمد العربي عقون : الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2008 ، ص212

11– البرغوثي عبد اللطيف محمود : التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي ، ج1 ، ص138

12– واحة سيوة : هي واحة تقع غرب النيل ألحقها هيرودوت في خريطته بليبيا وتمتد حتى الحدود الليبية غربا ، كان متنازع فيها بين المصريين والليبيين ، أنظر : محمد صغير غانم : المرجع السابق ، ص78

13– عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص138

14– محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص78

15– إبراهيم العيد بشي : تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديم ، دار هومة ، الجزائر، 2007 ، ص121

16– أساطير آمون : قيل أنه كان راعيا فأهدى عددا من المواشي الى الإله ديونسيبون فكافاه هذا الأمير بان رفعه الى منزلة الآلهة وأخرى تقول أن الإله ديونيسيون كان عابرا للصحراء فأشار به العطش فاستغاث بابيه زيوس فأرسل له كبش آمون وله منبع الماء ، أنظر : عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص138

17– محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص218

18– عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص139

19- محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم – السياسي والحضاري – منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992 ، ص146 ؛ محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص78 ؛ محمد الهادي حارش : "حول أصول عبادة بعل حمون في قرطاجة"، مجلة الدراسات التاريخية، ع3 ، معهد التاريخ ، الجزائر ، ص111

20- محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص86

21- عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص142

22- عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005 ، ص153

23- محمد الهادي حارش : "حول أصول عبادة بعل حمون"... ، ص109

24- محمد الهادي حارش : "حول أصول عبادة بعل حمون"... ، ص110 – 111

25- محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص 215 ؛ محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم... ، ص146

26- عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص140 ؛ محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص218

27- عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص140

28- محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص87 – 88

29- عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص141 ؛ رشيد الناظوري : المغرب الكبير – العصور القديمة – ، ج1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص211

30- محمد الصغير غانم : " علاقة نوميديا بالرومان " ، مجلة التراث ، ع03 ، مطبعة الشهاب ، الجزائر ، 1988 ، ص24

31- مها عيساوي : " مدينة تبسة في العصور القديمة " ، مجلة التراث ، ع09 ، مطبعة الشهاب ، الجزائر ، 1997 ، ص41

32- عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص136 ؛ محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم – السياسي والحضاري – منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 ، ص145

33- محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة... ، ص22

34- عبد الحميد عمران : الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر (305 . 411 م) ، رسالة ماجستير، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005 ، ص37

35 *Stephen Gsell : Hérodote dexte relatifs Lhistoir de Lafriqùe dù nord , edjordane Lerux , Alger , paris , 1916 , p185*

36- محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة... ، ص22

37- محمد الصغير غانم : المرجع نفسه ، ص22

38- عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع السابق ، ص136

39- عبد اللطيف محمود البرغوثي : المرجع نفسه ، ص136

40- إذا نزع الطفل ضرسه يرميه اتجاه الشمس ، ويقول أعطيتك فضة أعطيني ذهبا ، أنظر : مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج1 ، دار النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 2007 ، ص75 ، ومازال المغاربة يضعون عجلات السيارة على المنازل لحمايتهم من العين ؛ أنظر : عثمان الكعاك : موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2003 ، ص32

41 – محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص213 . 42 *Mahfoud Kaddache : L'algerie dans l'antiquité, société Nationale d'éditions et diffusions zirout Yousef, ALGER, 1982 , P72*

43- محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة... ، ص52

44- محمد الصغير غانم : المملكة النوميدية والحضارة البونية ، ط1 ، دار الأمة ، الجزائر، 1998 ، ص206

45- محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص212

46- رشيد الناظوري : المرجع السابق ، ص209

47 *Mhomed fântar : CAR TAGE , la prestigious cite d'el lissa Maison , tunisienne de l'Edition , Tunis , 1970 , p 158 – 159*

48- محمد الصغير غانم : المملكة النوميدية... ، ص207 ؛ محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة ، ص92 – 93

49 *Mhomed fântar : CAR TAGE .... , p 158 – 159*

50- محمد الصغير غانم : المملكة النوميدية... ، ص207 .

51- عبد العزيز الثعالبي : مقالات في التاريخ القديم . تاريخ شمال إفريقيا . ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص17

52- خزعل الماجدي : المعتقدات الكنعانية ، ط1 ، دار الشروق ، الأردن ، ص 155 ؛ أندري أيمار، جانين أبواييه : تاريخ الحضارات العام – روما وإمبراطوريتها – ، تعريب : داغر أسعد و فريد أبو ريحانة ، ط6 ، منشورات عديدات ، بيروت – باريس ، 2006 ، ص60 – 61

53- عزت زكي حامد القادوس : آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني– القسم الإفريقي– ، مطبعة الحضري ، الإسكندرية ، 2005 ، ص194

54- محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة... ، ص91 ؛ عزت زكي حامد القادوس : المرجع السابق ، ص57

55- محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص215

56- محمد الصغير غانم : الملامح الباكرة... ، ص91

57- شال أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، ج1 ، تعريب محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1978 ، ص119

58- محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم... ، ص145

59- خزعل الماجدي : المرجع السابق ، ص82 - 85

60- خزعل الماجدي : المرجع نفسه ، ص82 - 85

61- علي عبد القادر حليمي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 ، ط1 ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 ، ص142

62- صبراتة : مدينة تقع على الساحل الليبي، أسسها الفينيقيون في القرن السادس قبل الميلاد، أما اسمها فهو اغريقي يعني سوق الحبوب ، أنظر : عزت زكي حامد القادوس : المرجع السابق ، ص57

63- عزت زكي حامد القادوس : المرجع نفسه ، ص57

64- محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، دار الهدى ، الجزائر، 2003 ، ص57

65- مادلين هورس ميادان : تاريخ قرطاجة ،ترجمة : إبراهيم بالش،ط1 ، منشورات عويدات، بيروت - باريس،1981 ، ص68

66- محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص215

تطور المصالح الصحية في الولاية الرابعة التاريخية خلال الثورة التحريرية (1956– 1962)

مظاهر ومشاكل

د.جيلالي تكران

جامعة الشلف

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé :

Après les opérations menées par les forces du ALN au premier novembre 1954 à la zone 4 , beaucoup de pertes humaines ont été révélées dans déférents endroits.

Cette affaire a poussé la direction politico- militaire à jeter les bases d'un service sanitaire , recruter les cadres et s'approvisionner en médicaments , les moyens médicales afin de prendre en charge les malades et les blessés parmi les militaires et les civils .

Cette opération était caractérisée tout d'abord par l'initiative, le volontariat durant la période 1954-1956 sans oublier les lois restrictives de l'administration coloniale sur la circulation des produits pharmaceutiques et les moyens médicaux ce qui a entravé le bon approvisionnement régulier et progressif de cette matière vitale .

Avec l'intensification des opérations Françaises et l'évolution de la Révolution Algérienne entre 1956-1962 ; la concrétisation d'un système sanitaire devint une crise inévitable en considération avec les résolutions du congrès de la Soummam 20-08-1956 qui donnait la santé une dimension stratégique , en travaillant d'avantage pour intégrer les éléments nouveaux arrivés à l'organigramme sanitaire comme médecin ; infermier(e) , ou fournisseur .

L' organisme médicale restait ciblé dans la wilaya 4 qui subit des coups destructifs durant 1957-1962 par l'embargo , le plan Challe pratiqué sauvagement par les forces françaises dans la w 4 , ce qui a doublé les pertes chez les militaires et la population Algérienne , dépassant les Droits de l'hommes souvent prétendus et réclamés par les pays occidentaux

لم يرافق اندلا ع الثورة التحريرية تنظيما صحيا يواسي الحصيلة البشرية إلا من بعض المتمرسين ذوو التكوين البدائي الذين التحقوا بالجبال اثر الإضراب الطلابي العام في 19-05-1956 حيث بدؤوا في تشكيل النواة الأولى للصحة في الثورة وعكفوا على تقديم الإسعافات الأولية الضرورية للجرحى من الثوار لتنتقل الى السكان في القرى و المداشر ثم أخذت العملية في التوسع والانتشار لتشمل كل مناطق الوطن .

لقد اكتسى الواقع الصحي في المنطقة الرابعة للفترة 1954-1956 طابعا ذاتيا يخص اكتفاء كل ناحية أو قطاع بإمكانيتها المحلية، فكان استعمال الوسائل المادية العارضة و المؤقتة هي السلوك الشائع بين الثوار. أما عن الجانب البشري فتمثل في أعوان قليلي الخبرة و ذوو معرفة محدودة بأمور التمريض التي اكتسبوها لدى ممارستهم للنشاط الكشفي أو عن طريق التدريبات السريعة.1

إن الوضع العام المحلي و الخارجي الذي انفجرت الثورة التحريرية العمل ،جعل قادتها يسابقون الزمن بالتركيز على التنظيم و الهيكلة البشرية و المادية من أسلحة و متفجرات و قنابل جعلهم لا يولون وسائل التمريض الأهمية الكبرى إلا بعد أن لاحت مظاهر الخسائر البشرية من جرحى و مرضى جراء العمليات العسكرية الأولى في نواحي المنطقة ، إذ طلت برأسها مشاكل جديدة رافقت تطور الكفاح المسلح تخص مستلزمات العناية الصحية كالأدوية و الضمادات و وسائل الجراحة البسيطة و كيفية التكفل بالجرحى و

المرضى و طرق نقلهم و علاجهم و إيوائهم في ظل الافتقاد الكلي للأطباء إلا من بضعة ممرضين و ممرضات و مسعفات2.

أمام هذا الواقع الصحي المتردي، باشرت قيادة المنطقة الرابعة الاتصال بأطباء و ممرضين متطوعين للذهاب إلى الجبال سرا لمعالجة عناصر جيش التحرير الوطني ثم يعودون إلى أماكن عملهم خوفا من اكتشاف السلطات الاستعمارية أمرهم3. و في بعض الأحيان يحولون بيوت المناضلين الذين ليست لهم سوابق عدلية مع الشرطة أو الجيش الفرنسي الى مصحات لمداواة هؤلاء العناصر4

وباتساع النطاق الجغرافي للثورة، أقدمت الإدارة الاستعمارية على اتخاذ إجراءات لمراقبة المواد الصيدلانية لحرمان المجاهدين من العلاج الضروري والكافي5 اذ جاءت تلك الإجراءات في شكل مراسيم وقعها الحاكم العام في الجزائر جاك سوستال6 يوم 24 أكتوبر 1955 تؤكد على تحديد الأدوية المسموح بها مع وجوب التصريح شهريا بالكميات التي بحوزتهم في الصيدليات و تبرير الحصة التي تم بيعها في الشهر السابق و من هذه الأدوية المسموح بها :

(Acide nitrique, Nitrates, Acide picrique, Chlorate. Permanganate de potassium, Soluté de peroxyde d'hydrogène , iode, glycérine, charbon activé, charbon animal purifié ou non).

ثم دعم المرسوم الأول بمرسوم آخر مكمل له في 21 نوفمبر 1955 أكثر صرامة مؤكدا في مادته الثانية يمنع الملكية أو البيع أو النقل أو التجارة بالأدوية المذكورة في الجدول التالي7:

Antibiotiques	**Sérums**	**Homo Statiques**
Pénicilline	Sérum Antitétanique	Adrénaline titracaine
Auréomycine	Sérum Anti-gangreneux	Arhémapectine
Extencilline	Hémopasma	Adrénaxil 1500
Erythromycine	Plasma gel	Bu Fox 2 injectables
Flocilline	Subtosan	Coal gan médical
Revamycine	/	Hémocoagulène
Terramycine	/	Hémostatiques ERCE
Typhomycine	/	K/trombyl injectable
Tétracycline	/	Trombase 100/500

لقد منع عن الجريح و المريض الجزائري دواء الالتهاب و الإثير و الكحول و الحقن المضادة للكزاز الا بعد أن يقدم للصيدلي المعلومات الشخصية عن المريض والمرافق له ، و آليا حكمت عليه القوة الاستعمارية أن يكابد نزاع الموت المرعب، فكم من أسر شهدت المجاهدين الجرحى يموتون بالكزاز موتا فظيعا.8

في ظل الضغط العسكري الفرنسي المتواصل و التضييق على التموين بالأدوية ومضايقة الصيادلة و الأطباء في المنطقة الرابعة، بدأ المتعاطفون مع جبهة التحرير الوطني في استقبال الشبان و الشابات بشكل سري للغاية كعمال في قاعات العلاج لديهم و تدريبهم بشكل سريع و مركز على أسس تقديم الإسعافات الأولية و وضع الضمادات و الحقن في العضلة و الأوعية9، و البعض الآخر تلقوا تكوينهم في مدارس التمريض بالعاصمة ثم التحقوا بالثورة10 بحيث شكلوا نواة التنظيم الصحي في المنطقة الرابعة منذ 1955 و اتخذت العملية شكلا سريعا نظرا لظروف الحرب و الحاجة الملحة لأفراد السلك الطبي و بمعدات بسيطة لكن ما لبث أن تطور شكل التكوين و مضمونه لتصبح أكثر دقة و تنظيما11.

ونظرا لنقص الأدوية جراء القوانين الصارمة على الصيدليات، بدأ الجزائريون في المدن يعهدون بمشترياتهم من الأدوية إلى أحد الأوروبيين لاقتنائها تفاديا للشبهة إذ لم يعد العلم في خدمة الإنسانية في المستعمرة الفرنسية !.

لئن كانت غريزة البقاء أقوى من ضغينة الفناء هي ما جعلت حرمان الجزائري من 100 غرام من القطن المعقم أن يلجأ إلى تضميد الجروح بالماء الدافئ و ممارسة البتر دون إثير12 و في الغالب لجأ معظمهم إلى الطب الشعبي13 أملا في الشفاء في تحد لا يقوى على صبره إلا الصادقون في الكفاح حيث صرح فرحات عباس سنة 1958 قائلا :" نفضل أن نكون 10 مليون جثة على أن نكون 10 مليون خاضع "14 وهي الإرادة التي برهن عليها الثوار في ترتيب مؤتمر تنظيمي سيمكن الثورة من مؤسسات وهياكل وقوانين تتخطى بموجبها الحالة المزرية .

بانجلاء الالتباس الذي رافق اندلا ع الثورة ، وخروج هذه الأخيرة من عقدة الإخفاق الى تحقيق إنجازات عسكرية وسياسية في الداخل والخارج مكنتها من الشمولية والشعبية عندها بدأ استيعاب مختلف شرائح المجتمع في مصالح جبهة وجيش التحرير الوطني تماشيا مع تطبيق قرارات مؤتمر الصومام اذ عملت قيادة الولاية الرابعة على إدماج المثقفين الوطنيين من طلبة وطالبات في مهام خاصة لإعطاء مردود أحسن في الصحة15 بل شدد

على تنظيم الخدمات الصحية بشريا وماديا من جراحين و أطباء و صيادلة بالتنسيق مع المستشفيات و مراكز العلاج و توفير الأدوية و الضمادات و علاج الجرحى و المرضى من عسكريين ومدنيين16

ولأهمية القطاع الصحي في تعزيز العمل الثوري ، فإنه وضع تحت إشراف قائد الولاية مباشرة باعتباره مسؤولا سياسيا عسكريا إلى جانب مصلحة الدعاية والإعلام و مصلحة الاتصال17 ، و جعل من مهام المسبل التموين بالأدوية و الاعتناء بالجرحى18 ، و تكليف المحافظ السياسي بجمع الأدوية و وسائل الجراحة19، مما اكسب القطاع الصحي اهتماما شاملا و وحيويا في هرم الولاية في قسمها العسكري و المدني و إلحاقه بكل صنف من الهيئات لطبيعته الإنسانية و الأخلاقية لأمة مكافحة ومتحضرة .

وفي سياق أخر دعا المؤتمر المجالس الشعبية العاملة في الأرياف إلى تسيير شؤون السكان من إحصاء ، جمع الاشتراكات ، البحث عن ينابيع الماء ، تأمين وسائل معيشة الشعب و السهر على صحتهم ، بإيفاد الممرضين والممرضات إلى كل منزل في البادية و توزيع الأدوية ومعالجة الأمراض20 كما خصص المؤتمر لإطارات المصالح الصحية رواتب بناء على الرتب العسكرية في التوصيف على النحو التالي:

أ – الأطباء راتبهم مثل الضابط الأول : 4500 فرنك فرنسي قديم (ف.ف.ق).

ب- مساعدو الأطباء مثل الملازم : 2500 ف. ف . ق .

ج- الممرضون والممرضات مثل العريف :1500 ف . ف . ق21 .

كما تم تقسيم المصالح الصحية الى فرق وتكليفها بمهام دقيقة ومهمة كما يلي:

-فريق الممرضين يتكفل بمداواة الجرحى –فريق مكلف بنقل المستلزمات الطبية على البغال والحمير-فريق مكلف بالاسترجاع وإسعاف الجرحى الذين يعانون خطر مضاعفات الجروح على حياتهم والعمل على استعادة الأسلحة والذخيرة والوثائق الموجودة بحوزة الشهداء جراء الجروح القاتلة أو قتلوا في اشتباكات مع العدو22.

وبهذا التنظيم المادي والبشري والتشريعي سارعت الولاية الرابعة الى التكفل الجاد بالخدمة الصحية في مواقع عديدة بين الثوار والسكان في ظروف حرب إبادة لا يقوى على تحمل ألامها الطاقم الصحي بمعزل عن بقية الهياكل الثورية الأخرى .

ولأهمية القطاع الصحي الإستراتيجية في الثورة لم تدخر الولاية الرابعة جهدا في تنظيمه و هيكلته ، موكلة هذه المهمة لطلبة الطب الذين التحقوا بالثورة اثر إضراب الطلبة الجامعيين والثانويين العام 19-05-1956 و إلى مجموعة الأطباء في العاصمة ، البليدة ، المدية و شرشال و الأصنام ، وسيتدعم أكثر بعد إضراب الثمانية أيام في جانفي 1957 .[23]

و لهذا الغرض نظم ملتقى بعد مؤتمر الصومام بجبل الزبربر في المنطقة الأولى ، ضم إطارات السلك الطبي على مستوى الولاية الرابعة لوضع تنظيمات صحية تتماشى و قرارات المؤتمر وإمكانيات الولاية ، إذ صار لكل منطقة مركزها الصحي و طبيبها الخاص و لكل ناحية و كتيبة ممرضها الخاص :

*- المنطقة الأولى : يشرف عليها الطبيب سعيد حرموش ، سنة رابعة طب .

*- المنطقة الثانية : يشرف عليها الطبيب إسماعيل دهلوك محفوظ ، سنة خامسة طب .

*- المنطقة الثالثة : يشرف عليها الطبيب يوسف الخطيب[24] ، سنة ثانية طب .

بفضل هذه الإطارات تكونت المراكز الصحية كمركز أولاد بني عصمان في جبل الزبربر و مركز تمزقيدة بين موزاية و العفرون[25]، كما أقيمت بعض المراكز داخل المدن أو قريبة منها لتسهيل عملية تزويدها بالأدوية و تنقل الأطباء و الممرضين إليها مثل ما قام به الطبيب زميرلي و بيار شولي[26] في مركز بن ونيش في برج الكيفان ، رفقة الممرضة مريم بن محمد[27]

لقد شهدت شبكة النظام الصحي تنظيما محكما ومرنا قبل 1957 لأن الشعب كان موجودا في كل مكان ووسائل الاتصال و التموين متوفرة و تصل في وقتها و بكمية لا باس بها سواء من الصيدليات أو المصحات أو من عند الأطباء زيادة على الأغذية و التبرعات التي يسديها المواطنون دعما للثورة التحريرية[28]

والأكيد أن التضامن الفعال بين الشعب و المجاهدين هو الذي أفشل مخطط فرنسا في القضاء على الثورة مما دفع بالقيادة السياسية والعسكرية الفرنسية الى شن الحرب على المدنيين الذين أصبحوا ضمن نطاق العمليات ودائرة الحرب ، فقد أرسل بيار منديس فرانس رسالة إلى الحاكم العام قي مولي بتاريخ 23-05-1956 يشير فيه الى خطر التضامن بين الجماهير و المتمردين ولا بد أن تقوم العمليات العسكرية بقتل التمرد في النفوس[29].

بناء على ذلك سارعت الإدارة الاستعمارية إلى تكثيف عمليات التفتيش و المراقبة داخل المدن و خارجها فقام جيش التحرير الوطني بنقل المصحات إلى المخابئ الآمنة في الجبال سنة 1957 و تكفل طلبة الطب بالإشراف على المراكز الصحية و الإشراف على الممرضين و المسعفين للقيام بالعمليات الجراحية للمجاهدين30، حيث قام يوسف الخطيب (سي حسان) بتولي تلك المهام في مناطق و نواحي الولاية الرابعة بين 1956- 1958 31.و نفس الشيء قام به أطباء أجانب متعاطفين مع الثورة كالطبيب شولي (فرنسي مسيحي تقدمي) الذي عالج جرحى جبهة و جيش التحرير الوطنيين32 .

ان الطبيب الجزائري الذي كان ينظر إليه قبل المعركة الوطنية على انه سفير المحتل ، يعود الآن و يندمج في الجماعة الوطنية بصفته مسؤول في المصلحة الصحية و عضو هام في الجهاز الثوري و يصبح قطعة من اللحم الجزائري و لم يعد يوصف بالطبيب فقط و إنما طبيب"نا " و خبير"نا "33 لما يتركه من الأثر السيكولوجي الايجابي في نفسية المجاهدين ، فشعور هؤلاء بأنهم محاطين بجهاز طبي متماسك يزيدهم ثقة و صمودا أثناء قيامهم بالعمليات العسكرية34 ،وفزع الاستعمار الفرنسي من انضمام الطبيب إلى صفوف المجاهدين واعتبره نكسة لمشروعه التعليمي و الحضاري35 في الجزائر فعمد إلى توظيف أسلوب الفاشلين باستخدام العنف إلى أبعد حد .

لقد انسجم الرد العسكري الفرنسي مع مواقف المسؤولين السياسيين و العسكريين بمختلف مؤسساتهم و رتبهم و تناغم مع عويل المعمرين و تهويل الصحف المتطرفة مثل Le Journal d'Alger و ذهب إلى أبعد من القمع بل استئصال و دفن التمرد حيث يولد، و ما توحي به هذه العزائم هو الإسراع في التعبئة و توفير إمكانياتها المادية و البشرية و تنظيمها و تكييفها حسب الوضع المناسب لها لاستئصال وحدات جيش التحرير و ردع السكان. و نالت المنطقة الرابعة الحصة الأكبر من الأجهزة القمعية لتحقيق الهدف :مثل الفروع الإدارية المختصة36، الفروع الإدارية الحضرية37، أجهزة الحماية الحضرية38، مصالح التربيع و العمل البسيكولوجي للمكتب الخامس39، المفرزة العملياتية للحماية40، مكتب الدراسات و الاتصالات41 وبدأت هذه الأجهزة عملها مبكرا 1955 و هي مراكز للضغط النفسي و الاستنطاق و الاستعلام و التعذيب تحت قيادة جنرالات أمثال جاك سوستال، سالان42 و شال ، مست الريف و المدينة وكلا الجنسين و من جميع الفئات . ووضع عمل هذه الأجهزة القمعية تحت الأوامر و المراسيم الحكومية لسلطة الاحتلال في ظل تعميم

حالة الطوارئ على كامل التراب الوطني 30أوت 1955 و تخويل القوات الأمنية و العسكرية كامل الصلاحيات لتسليط القتل و العقاب الجماعي في نقاط التوتر.

لقد اتبعت أجهزة القمع أساليب لا إنسانية في تعذيب المناضلين و المجاهدين و المدنيين بغرض الضغط النفسي(انتهاك أعراض النساء و التعدي على شرف المناضلين) لاستخلاص المعلومات أو تجنيدهم ضمن حركات مناوئة ضد جبهة التحرير. ومن طرق إبادة الجزائريين"يجب أن تكون عملية التعذيب (إنسانية) أي يجب أن تنتهي حالما يصرح الشخص المعذب بما يطلب منه و ألا تترك العملية أي أثر بالجسد و هذا لا يتحقق إلا باستعمال الماء و الكهرباء اللذين لابد منهما في كل عملية تعذيب " ومن الطرق الشائعة ما يلي ذكره :

- التعذيب بالملاقط المستطيلة و المسننة كفك التمساح توضع إحداها في طرف الأذن و الأخرى في أصبع اليد اليسرى .
- وضع الملقط في العضو التناسلي و تسليط الكهرباء عليه.
- استئصال الأظافر و هشم الأسنان وقطع اللحم بالملقاط و شق الأرجل بالسكاكين .
- وضع الملقط في فم المعذب وسد فمه ثم يشعلون آلة كهربائية بقوة حتى تتقلص عضلات وجهه و تتشنج.
- دق المسامير و سلخ الجلود و وضع الملح في مكان الجرح.
- حشد المعتقلين و إلقائهم في الآبار.
- ربط الموقوف عاريا فوق كرسي معدني يسري فيه تيار كهربائي حتى يتصلب جسده .
- الغطس في الماء البارد و الساخن الممزوج بالصابون تناسبيا مع فصلي الشتاء و الصيف43 .

و أغلب مراكز التعذيب والتجميع حجتها "عسكرية صرفة " فضلا عن حوادث الاختفاء و الإعدام دون محاكمة التي تبرر بالادعاء الكاذب " محاولة الفرار "44

ومما سبق ذكره فإن الأزمة الإنسانية تعمقت و الواقع الصحي تدهور و فقد دوره في مدة قصيرة إذ لم يمض على إرساء الشبكة الصحية سوى بضعة أشهر مما جعل جيش التحرير الوطني و السكان على السواء يكابدون الأ لم لفترة طويلة وصعبة لكن فرار العديد من الإطارات من مدينة الجزائر قد وفر للقطاع الصحي كوادر بشرية مهمة لتنظيم مصالحه جاؤوا من نقاط مختلفة من المدن و من طبقات اجتماعية متباينة و دخول النساء إلى الجبال45 و استخدامهن في التمريض و التموين واستمر الصراع بين القوات الاستعمارية و جيش

التحرير قويا على احتلال المواقع في المدينة لإدارة المعارك لتتحول السلاسل الجبلية في الولاية الرابعة إلى منازلة بين الطرفين عبر مخطط شال مما ضاعف من متاعب الطاقم الصحي وإمكانياته الطبية .

لقد أعد شال تعزيزات بشرية ومادية كبيرة بلغ عددها 40الف جندي واللواء العاشر لماسو46 ، طائرات مطاردة و مقنبلة (B29, B26) ، الطائرات العمودية و الاستكشافية ، وتنفيذ عملية التطويق بإنشاء مراكز عسكرية جديدة و شق الطرق للولوج إلى المناطق الوعرة كجبال الونشريس ، المدية ، الأطلس البليدي و الظهرة و تجميع السكان في المحتشدات و القضاء على الذين بقوا منهم في المناطق المحرمة و ترك فرقة من الجنود الفرنسيين أو كومندو الملاحقة أو المطاردة لحراسة تلك المناطق47 و دعم السدود المكهربة على الحدود الشرقية و الغربية و أضيف سدا باسمه إلى خط موريس48 لقطع التموين عن الداخل من سلاح و أغذية و أدوية و جعل المعركة في مجال مغلق افرزت مظاهر صحية مقلقة .

*- تقوية الحصار حول المخابئ و إرساء نقاط المراقبة في المناطق الحساسة و عزل السكان في محتشدات و منح كومندو الملاحقة صلاحية الإشراف عليها ، مما خنق التمون بالأغذية والأدوية و استفحال مظاهر الجروح و المرض للمجاهدين و المدنيين على السواء .

*- استخدام القصف الجوي بالقنابل المحرمة دوليا " النابالم " لمدة 15 يوما دون توقف49، و التي أصابت الكثير منهم بالموت أو التشوهات لحد الساعة مثل المجاهد الحاج بلقا سم عبدوس من الشلف الذي لازال يعاني من آثارها .

*- تسليط التعذيب على كل أسير من جيش التحرير أو مختطف من السكان مما عرض أجسادهم إلى عاهات و أثار مستديمة وفقدان توازنهم النفسي جراء الممارسات التي فاقت الحدود .

*- القضاء على المنظمة المدنية لجبهة التحرير وحرمان المجاهدين من قاعدة لوجستية في الصمود اذ تم :

1- استشهاد 3000 جندي 1959 بعدما كان عددهم 9000 و منهم سي أحمد بوقرة .

2- صعوبة الاتصال بين المجاهدين و الشعب50 و بالتالي حرمان أولئك من المؤونة و زادهم الجوع و العطش و التعب إنهاكا و وهنا و تدنى المستوى الصحي بشكل فظيع بسبب تدمير خمسة مخابئ هامة للأدوية وثلاث مصحات51

3-لجوء العدو إلى إبادة المدنيين و تدمير قراهم و تهجير هم إلى المحتشدات[52] بمناطق موحشة ، مما سمح ببروز الوفيات بين الأطفال و الأمراض المزمنة بين الشيوخ .

4-استشهاد الكثير من الممرضين و الممرضات و اكتشاف العديد من المراكز الصحية[53] و استشهاد الطبيب آيت ايدير و أصيب الطبيب بن سونة برصاصة في عينه و هو يعالج أحد الجرحى ونقل على إثرها إلى المغرب للعلاج[54] .

5-استشهاد العديد من الجرحى و المرضى إذ تم الإجهاز بدم بارد على ثلاثين جريح رفقة ممرضهم في باب البكوش في ماي 1958 [55]،و فقدت الولاية الرابعة جراء هذه العمليات ما يعادل في مجموعه 45 بالمائة من قوة الولاية بشريا[56].

6-خروج بعض طلبة الطب لإتمام دراساتهم سنة 1958 : جيلالي رحموني ، مولاي بن سونة ، حرموش ارزقي ماعدا يوسف الخطيب الذي كلف بتسيير مصحة في الونشريس لمدة طويلة[57]

7- تعاظم عدد الجرحى و ندرة الدواء بفعل المراقبة و التفتيش و ملاحقة الأطباء الأوربيين المتعاطفين مع الثورة .

8-وقوع الطبيب إسماعيل دهلوك في الأسر[58] قد حرم الولاية من كادر بشري مهم سيترك أثره في الميدان .

و كان ذلك القمع المستهدف للمواقع والإطارات الصحية انتهاكا صارخا للقانون الدولي و الإنساني و يتعارض في بنوده مع نص لائحة لاهاي لسنة 1907 و اتفاقيات جنيف لسنة 1949 و ما بعدها "[59].

لقد كثفت المنظمة العسكرية السرية OAS من عملياتها الإجرامية عقب فشل الانقلاب العسكري على شارل ديغول 22-04-1961، متخذة من وهران قاعدة خلفية و من العاصمة ميدانا لعملياتها ، خاصة في الفترة التي أشرفت المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني و الحكومة الفرنسية على نهايتها ومن جرائمها في الولاية الرابعة ضد المدنيين و العسكريين و الإطارات و المراكز الصحية و المؤسسات الجامعية مايلي :

* شهر مارس 1960 : الجرحى 501 و الموتى 110 .

* شهر افريل 1960 : الجرحى 417 و الموتى 230 .

* شهر ماي 1960 : الجرحى 1379 و الموتى 350 .

وكان شهر مارس 1962 شهرا حافلا بالعمليات العسكرية من اغتيالات و تفجيرات مست الجزائريين المدنيين و نخبتهم الأدبية و العلمية ، إذ قتل مولود فرعون و جزائريين اثنين و ثلاثة أوربيين ، و دفع شاحنة معبأة بالبنزين من أعالي العاصمة نحو القصبة محدثة خسائر مادية فادحة وتفجير 130 قنبلة في العاصمة يوم 4و 5 مارس 1962، وامتدت عنجهيتهم إلى مستشفى مصطفى باشا ، بتخريب المخبر و ثلاث قاعات للعمليات الجراحية و مدرجين و إصابة 43 شخص بجروح وحرق 600الف كتاب بالمكتبة الجامعية في 07-06-1962 .60

لقد انتهكت حرمة المنازل و قدسية المراكز الاجتماعية و الإنسانية ، ففي يوم 3و 4 افريل 1962 قامت عناصر فرقة "دالتا " باقتحام عيادة خاصة في حي بوفريزي و أطلقت النار على المرضى في أسرتهم و على الأطباء و الزوار ووضعت قنبلة في البناية لنسفها أسفرت عن قتل 10 أشخاص و جرح ثلاثة آخرين ، وفي سجن البليدة استطاع بعض زبانية المنظمة التنكر بلباس حراس السجن والدخول بفعل التواطؤ مع إدارته و قتل طبيب الولاية الرابعة يحي فارس ،كما تم إطلاق قذائف الهاون على الأحياء السكنية في باب الواد و القصبة.61

لقد بذل قادة الثورة جهودا كبيرة في توفير المستلزمات الصحية لتعضيد العمل التحرري وسط تحديات عسكرية قوية مكنت فئات الشعب الجزائري والثوار من التداوي وعلاج بعض الإصابات والأمراض رغم مراسيم الحظر والملاحقة للوسائل الطبية وإطاراتها التي أدخلت نطاق الحرب إلا أنها وفرت الحدود الدنيا التكفل الصحي والإنساني للجرح والمرضى ورسمت مشهدا يدين الحضارة الغربية في الصحف والمحافل الدولية وأيقظت الضمير الإنساني بدعوته الى تسليط الضوء على حرب الإبادة الدائرة في الجزائر التي تقودها دولة تزعم أنها هي أول من رفع شعار" الأخوة- الحرية-المساواة " في العالم كما أعطت دفعا للعمل الدبلوماسي في تعزيز موقف الجزائر بين الدول والمنظمات غير الحكومية لإدانة تلك الجرائم العدوانية وإحراجها في المحافل الدولية .

الهـوامـــش:

1المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954 ، ملتقى حول كفاح المرأة الجزائرية في مجال الصحة أثناء الثورة التحريرية ، جيجل ، 1998، ص04.

2MOHAMED GUANTARI , LES SERVICES DE LA SANTE DE L'ARMEE DE LIBERATION NATIONALE PENDANT LA REVOLUTION ALGERIENNE (1954-1962),DEA,S/LA DIRECTION DU PROFESSEUR ANDRE MARTEL, UNIVERSITE PAUL VALERY, MONTPELLIER, JUIN 1985, P10.

3 المنظمة الوطنية للمجاهدين ، تقرير الملتقى الولاية الرابعة، 1959-1962، التقرير السياسي الجزء الأول، (بدون تاريخ)، ص 57.

4 أمحمد بوحموم ، التنظيم السياسي و العسكري في الولاية الرابعة62/56، رسالة ماجيستير جامعة الجزائر، معهد التاريخ 2005 إشراف د: يحياوي مسعودة ، ص144.

5 FAROUK BENATIA , OP CIT , P 47 .

6جاك سوستال : ولد في مونبولييه يوم 03-02-1912 ، درس الآداب و الفلسفة ، له شهادة عليا في الانطولوجيا 1930 ، انضم إلى قوات فرنسا الحرة 1940 في لندن ، كلف بإدارة المصالح السرية لفرنسا الحرة في المكتب المركزي للاستعلام و العمل **BCRA** ثم رئيسا للمديرية العامة للمصالح السرية في الجزائر العاصمة ، عين حاكما عاما في الجزائر 1955-1956 من طرف منديس فرانس ، أنشأ 1959 التجمع من أجل الجزائر الفرنسية ، انضم إلى **OAS** وعفي عنه **1968** ، توفي 06-08-1990 .

7 HOCINE BOUZAHER , ALGERIE 1954-1962, LA GUERRE D'INDEPENDANCE AU JOUR LE JOUR, EDITION HOUMA, ALGER, 2004 , P359.

8 فرانز فانون، مرجع سابق، ص 151.

9 1H1645

10 MOHAMED GUANTARI , LES SERVICES , OP CIT ; P 23

11المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، ملتقى حول كفاح المرأة....، مرجع سابق ، ص 08.

12 فرانز فانون: مرجع سابق، ص 151.

13مجلة الجيش: العدد 376، سنة 1994، ص33.

14HOCINE BOUZAHER , OP CIT, P165.

15 M'HAMED YOUCEFI , L'ALGERIE EN MARCHE, TOME 2, ENAL, ALGER ,1985, P 248 .

16 BENYOUCEF BENKHEDDA , ABANE-BEN M'HIDI : LEUR APPORT A LA REVOLUTION ALGERIENNE,EDITION DAHLEB, ALGER, 2000 , P 143.

17 MOSTEFA KHIATI , HISTOIRE DE LA MEDECINE EN ALGERIE , DE L'ANTIQUITE A NOS JOURS , ANEP , 2000, P 211. **18** ازغيدي محمد لحسن : مرجع سابق ، ص 138 .

19 MOHAMEDTEGUIA,L'ALGÉRIE EN GUERRE,OPU,ALGER,1988 , P 154 .

20 ازغيدي محمد لحسن ، أزغيدي محمد لحسن : مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989، ص 141

21 نفسه ، ص 154 .

22 1H1645

23 مجلة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية ، القطاع الصحي في الولاية الرابعة ، العدد الثاني ، سنة 2005 ، ص 07 .

24 يوسف الخطيب (سي حسان) : ولد بمينة الشلف 19-11-1932 ، تلقى تعليمه الابتدائي بالشلف (الأصنام سابقا) ثم بثانوية الأمير عبد القادر شعبة العلوم الطبيعية ، تحصل على البكالوريا 1953 وسجل بقسم الطب بجامعة الجزائر . إنخرط في خلية الطلبة التابعة لجبهة التحرير الوطني 1955 وكان يشرف عليها الدكتور نقاش ، هدفها تأطير الطلبة و تعبئتهم للثورة . التحق بصفوف الثورة إثر إضراب الطلبة 19-05-1956 ، متوجها الى المدية التي كان يوجد بها الدكتور بوضربة ، تمثل دوره في تقديم الدعم الطبي للثورة و الإسعافات الأولية للمجاهدين و معالجة السكان المدنيين في الأرياف والإشراف على تكوين الممرضين و الخلايا الصحية في مناطق الولاية الرابعة . عين قائدا للمنطقة الثالثة 1959 التي تزامنت مع انطلاق عملية شال العسكرية في دائرة إشرافه (الشلف و الونشريس) .بعد قضية الايليزي 1960 عين عضوا في مجلس الولاية ، وباستشهاد سي محمد بونعامة 08-08-1961 عين خلفا له على الولاية الرابعة . أنظر : امحمد بوحموم : مرجع سابق ، ص 49 .وأنظر أيضا : المركز الوطني للدراسات و البحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 : تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، قرص مضغوط .

25عبد القادر ماجن : النظام الصحي بالولاية الرابعة ، مجلة أول نوفمبر : العدد 103 ، السنة 1989 ، ص 38 .

26 مجلة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية ، القطاع الصحي ، مرجع سابق ، ص 07 .

27DANIEL DJAMILA MINNE :DES FEMMES DANS LA GUERRE, KARTHALA , ALGER ,2004, P 44.

28عبد القادر ماجن : مرجع سابق ، ص 39 .

29HOCINE BOUZAHER :OP CIT , P 141 .

30 المنظمة الوطنية للمجاهدين : التقرير السياسي للولاية الرابعة ، الجزء الأول 1959-1962 ، ص 76 .

31امحمد بوحموم : مرجع سابق ، ص 49 .

32 MOHAMED TEGUIA , L' ARMEE DE LIBERATION NATIONALE EN WILAYA 4, EDITION CASBAH, ALGER, 2002 , P 25.

33 فرانز فانون : مرجع سابق ، ص 152 .

34محمد صايكي ، شهادة ثائر من قلب الجزائر ، مذكرات النقيب محمد صايكي ،الجزائر ، دار الأمة ، 2003 ص 159 .

35رابح المغيرية : مساهمة السلك الطبي في ثورة التحرير ، مجلة أول نوفمبر ، العدد 140-141 ، السنة 1992، ص 30 .

36 SECTIONS ADMINISTRATIVES SPECIALES(SAS)

37 SECTIONS ADMINISTRATIVES URBAINES (SAU)

38DISPOSITIFS DE PROTECTION URBAINE (DPU)

39LES SERVICES DE QUADRILLAGE ET D'ACTION PSYCHOLOGIQUE DU 5EME BUREAU

40DETACHEMENTS OPERATIONNELS DE PROTECTION (DOP)

41 BUREAU D'ETUDES ET LIAISONS (BEL)

42MOHAMED TEGUIA :L'ALN OP CIT, P104.

43محمد الصالح الصديق :مفاخر الجزائر و مخازي فرنسا ، مجلة العصر ، ملف خاص بإحياء الذكرى الخمسين للثورة، العدد 10، نوفمبر 2004 ، ص 15.

44محمد بجاوي : الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961 ، ترجمة علي الخش ،دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2005 ، ص 281 .

45 SAAD DAHLEB , MISSION ACCOMPLIE , DAHLEB, ALGER , P 74 .

46جاك ماسو : ولد 1908 بفرنسا ، عسكري محترف ، شارك في تحرير فرنسا من القوات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية و شارك في الفرقة العاشرة للمظليين في حرب الهند الصينية و من المشاركين في العدوان الثلاثي على مصر 1956 . أرسل الى الجزائر بعد انطلاق معركة العاصمة لحفظ النظام وتفكيك النظام الفدائي. دبر انقلاب 13-05-1958 قائدا للقوات المسلحة أنظر : المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 54 ، تاريخ الجزائر 1830-1962 ، مرجع سابق ، قرص مضغوط .

47حمد صايكي ، مصدر سابق ، ص 276 .

48جمال قندل ، مرجع سابق ، ص 87 .

49 MOHAMED TEGUIA , ALN OP CIT ,P 120.

50 شهادة مطبوعة للسيد يوسف الخطيب ، في الذكرى 45 لاستشهاد سي محمد بونعامة ، يوم 5و 6 أوت 2006 ببرج بونعامة ولاية تيسمسيلت .

51عبد الحميد زوزو ، محطات في تاريخ الجزائر ، دراسات في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية ، مطبعة هومة ، الجزائر ، 2004، ص542 .

52محمد صايكي ، مصدر سابق ، ص 284 .

53 مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية ، القطاع الصحي ، مرجع سابق ، ص 08 .

54محمد صايكي ، مصدر سابق ، ص 160 .

55 نفسه، ص 160 .

56 MOHAMED TEGUIA , ALN OP. CIT , P 69 .

57مجلة ذاكرة الولاية الرابعة :القطاع الصحي ، مرجع سابق ، ص 08 .

58 عبد الحميد زوزو ، مرجع سابق ، 542 .

59عبد القادر حميد ، الاستعمار بين الحقيقية التاريخية والجدل السياسي ، جريدة الخبر ، العدد 4745 ، يوم 03-07-2006 ،ص 02 .

60الرائد عمار ملاح ، المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس الى سبتمبر 1962 ، عين مليلة الجزائر ، شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، 2005، ص 279 .

61 أحمد بوحوم : مرجع سابق ، ص 20.

الحب المقدّس وأخلاق السعادة عند القدّيس أوغسطين:

أ.كحول سعيدي

جامعة قالمة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

توجد حقيقة واقعية أسمى أو حقيقة متعالية، وهي الله الذي هو في نهاية المطاف المحبة الجوهرية، والحب الأزلي، والخير الأسمى، ومبدأ النظام الأخلاقي، والعلّة النهائية لكل مشيئة مخلوقة. الكائن من أجل التفكير، ولكن التفكير نفسه سيكون عبثا وباطلا وغير كاف إن لم ينبسط بالحب.إن دراسة النظام الأخلاقي أو نظام المحبة، ذاك الذي ينبغي أن يتحقق في الحياة الإنسانية، يجب أن يتلقّى النور باستمرار بواسطة تأمل المصدر الإلهي للحب.

الكلمات المفتاحية: القانون الإلهي، الفضيلة، الخير الأسمى، الخطيئة، أصل الشر.

***Resumé*:**

Réalité souveraine et vérité transcendante, dieu est en fin charité subsistante, amour éternel, bien supreme, principe de l'ordre moral, cause finale de tout vouloir crée. L'être est pour la pensée, mais la pensée elle-meme serait vaine et insatisfaite si elle ne s'épanouissait pas en amour.

L'étude de l'ordre moral ou de l'ordre de la charité, tel qu'il doit etre réalisé dans la vie humaine, doit s'éclairer constamment par la contemplation de la source divine de l'amour.

مقدمة:

يقدم القديس أوغسطين(354-430م) الأخلاق المسيحية ويدافع عنها في أعماله الفلسفية واللاهوتية، باحثا عن السعادة القصوى الكامنة في اتباع طريق الله والإنجيل. مع ردّه الشديد على الخصوم وخاصة المانوية والرواقية، فوضع الأسس الطبيعية للأخلاق وتأسيسها على رسائل المسيح عليه السلام، الراسخة في الضمير الإنساني. ومن هنا كانت الأخلاق الأوغسطينية في طابعها العام، أخلاق مسيحية، لأنّ القانون الأخلاقي عنده يعتمد أساسا على القانون الإلهي، ولأنّ النفس الإنسانية ترغب في الله فتنزع نحوه.

فماهو الخير عند أوغسطين وما أصل الشّر في نظره ؟ وما هو السبيل لتحقيق السعادة الكاملة؟

أ- طبيعة الخير:

من الطبيعي أن نبحث عمّا هو أسمى من الإنسان، رغم أنّ ذلك أمر صعب للغاية بدون شك، وهنا لا يستدعي الأمر تعريف الإنسان في حد ذاته، لأنّ جميع الناس يدركون أننا نتركب من الجسم والنفس معا، إذ لا يسمى أحدهما إنسانا في غياب الآخر، فلا الجسم وحده هو الإنسان في غياب النفس، ولا النفس وحدها هي الإنسان إن لم تحيا في الجسم. فليس الإنسان شيئا آخر غير النفس في صلتها مع الجسم الذي تحركه، وذلك كالفارس الذي هو ذلك الإنسان، لكن في صلته مع الخيل الذي يتحرك بفضله. ومنه نصل إلى أنّ الخير الأسمى للإنسان ليس الخير الأسمى للجسم. فما هو الخير الأسمى للجسم، وما هو الخير الأسمى للنفس؟

يؤكد أوغسطين أنّه لا شيء أسمى وأقوى من النفس، لذا فالخير الأسمى للجسم ليس في اللّذة (*Le plaisir*)، ولا في غياب الألم (*Le douleur*)، ولا في الجمال، ولا في الخفة والرشاقة، ولا في أي شيء ممّا نعتبره بالعادة من بين خيرات الجسم. لكنه – دون ريب– لا يكون إلا في النفس، لأنّ هذه الخيرات التي أحصيناها لا تقوم إلاّ بتفويض من النفس التي هي الخير الأسمى للجسم الإنساني. وبهذا المنطق يجب علينا أن نبحث عن إمكانية وجود الخير الأسمى المجاوز للنفس. فما هو الخير الأسمى والأعلى من النفس الإنسانية؟ لا شك أنّه هو الله تعالى الذي يجعلنا نحيا الخير في ذاته، وهذا الكلام موجه في نظر أوغسطين إلى المؤمنين بوجود الله، وباللّطف أو العناية الإلهية (*La providence*)1.

ومعنى ذلك أنّ الخير الأسمى والحقيقي لا يمكنه أن يكون أدنى من الإنسان، ولا شيئا من طبيعته، بل إنه أكثر سموا وامتيازا منه، وهو المرغوب فيه بالتأكيد، فهو ليس غير الله. يقول أوغسطين حول هذه الفكرة: " فأنسى آلامي وأعانقك يا خيري الأوحد" 2.

يرى أوغسطين أنّ الله هو الخير الأسمى، لأنّ النفس ذاتها لا تصبح خيّرة إلاّ بمقدار نزوعها نحو الله، فالإنسان بطبعه لا يحب إلاّ ما هو خيّر بوصفه خيّرا. فهذه الأرض التي تتشكل من الجبال والهضاب والأنهار حسنة، وهذا المنزل الواسع، وهذه الحيوانات التي هي أجسام حية، وهذا الفضاء الجميل، وهذه الصحّة الخالية من الآلام، وهذا القلب المخلص لصديقه، وهذا الإنسان العادل، وهذه السماء الحاملة للشمس والقمر والنجوم، وهذه الثروات الكثيرة حسنة، نعم كل ذلك حسن. لكن هل هو الخير ذاته؟ إنّ المتأمل جيدا وبرجوعه إلى باطنه سيشعر بوجود الخير ذاته (خير كل خير)، وذلك انطلاقا من القاعدة القائلة بوجود خير أسمى من آخر، وحسب تفضيلنا لخير ما عن خير آخر. والخير ذاته هو الله الذي يجب أن نحبه، وليس هذا الخير أو ذاك. ومنه فلا وجود لخيرات متغيرة في غياب الخير الثابت (*Le bien immuable*)، لأنّ الخيرات الأولى لا تكون خيّرة إلاّ بواسطة المشاركة (*La participation*) في الخير والتعلق به والاتصال به بواسطة الحب (*L'ammour*) الذي يجعل الإنسان من خلاله يتذوق طعم السعادة 3. هذا هو حقيقة الخير في معناه الدقيق والبسيط عند القدّيس أوغسطين، والذي هو ليس شيئا آخر سوى الخير ذاته، أي الخير الأسمى والأقصى، أي الخير الثابت والمطلق الذي لا يتحول ولا يزيد ولا ينقص، فهو خير بذاته لا بغيره، وذلك عكس الخيرات الجزئية الأخرى التي ليست خيّرة بذاتها بل بغيرها. وبالتالي فإنّ النفس الإنسانية العاقلة لن ترى هذا الخير إلاّ بإرادتها المتطلعة نحو حب الخير نفسه الذي ليس إلاّ الله، أعلى كل الخيرات.

يجب أن نُقرّ في نظر أوغسطين بموجود أعلى، كامل، سرمدي، أي الخير الأعظم وهو سعادتنا الكاملة والدائمة. فكما أنّ حياة الجسد هي النفس، فكذلك حياة النفس هي الله، ونحن حين ننزع إلى الخير الكامل أو السعادة، ننزع في الحقيقة إلى الله نزوعا طبيعيا تلقائيا 4.

إنّ الخير عند أوغسطين بالمعنى الدقيق ليس شيئا آخر سوى الله ذاته، وحب الخير هو حب الله. فالله هو الخير المطلق (*Le bien Absolu*) والكامل، ومن حيث المبدأ فهو معيار كل الخيرات الأخرى. إنّه الموضوع النهائي لكل صورة من صور الحب، طالما أنّه هو الحب نفسه، فالله هو الخير الأسمى والمتحرك وغاية كل فعل خيّر. وبشكل عام فإن الخير هو مبدأ النظام 5. أمّا حب الخير، فهو حب ما هو جدير بالحب، أي حب ما يقودنا إلى حب الله. صحيح أننا إذا اعتبرنا الخيرات المادية مثل الخيرات الجديرة بهذا الإسم، طالما أنّ الحب من أجل هذه الخيرات لا يتعارض مع حب الله، لكن كل حب يجب أن يكون موجها نحو الحب الأسمى، وكل حب مهما يكن فإنّه قيّم وضروري مادام أنّه عمل من أجل الخير الأسمى 6.

الخير الأسمى إذن حسب أوغسطين والأعلى من كل شيء هو الله، وبوصفه خير ثابت، فهو أزلي (*éternel*)، وخالد غير فان (*Immortel*). وكل الخيرات الأخرى لا تكون إلاّ بواسطته، لكنّها ليست منه، لأنّ ما هو منه هو ما هو ذاته، لكن الأشياء التي هو خالقها ليست هي ما هو. فإذا كان هو الثابت فحسب، فكل الأشياء الأخرى متغيرة (*Muables*)، لأنّه خلقها من اللاشيء. حيث أنّه كلي القدرة هو قادر حتى على إحداث العدم (*Le néant*)، أي ما هو غير كائن اطلاقا. لقد خلق الأشياء الخيرة، الكبيرة منها والصغيرة، والسماوية، الأرضية، الروحية والجسمانية، ولكن، ولأنّه عادل، فلا يُعادَل بما هو مُحدَث من الأشياء التي خلقها من العدم. ومنه فكل الخيرات الكبيرة والصغيرة وما بينها (الحسن درجات) لا تكون إلاّ بواسطة الله. وكل طبيعة (*Nature*) بوصفها طبيعة فإنّها خير، ولا وجود لطبيعة ما إلاّ بواسطة الأسمى أو الله الحقيقي (*Le vrai Dieu*). وفي هذه الحالة ينبغي أن نفهم بأنّ كل طبيعة هي فكر أو جسم، فهي خير بالطبع 7. يقول

القدّيس أوغسطين: " بما أنّ كل الخيرات، بما فيها غير السامية فإنّها قريبة من الخير الأسمى، وكل الخيرات الأخرى بما فيها الأكثر صغر، والتي هي بعيدة عنه، لا يمكنها أن تكون إلاّ بواسطة الخير الأسمى ذاته" 8.

إذ كانت الأشياء التي خلقها الله كلها خيّرة أو حسنة فهي عند أوغسطين ليست على درجة واحدة من الحسن أو الخيرية، فهناك ما هو خير، لكن هناك ما هو أفضل منه. ولكن إذا كان هناك الأحسن والأفضل فإنّ هناك أيضا الأقل حسنا، والأقل خيرية. فإذا كانت المادة ذاتها خيرا، فإنّ كل شيء يمكن أن يوصف بالتالي بأنّه خيرا، لأنّه ليس من الضروري أن يكون خيرا في ذاته، بل حتى ولو كانت أقل خيرية فإنّ ذلك لازم للكمال الأعظم الذي يوصف به الكل. رغم أنها من الناحية الميتافيزيقية ملازمة وكامنة في داخل الشيء المخلوق. إنّ الأشياء قد خُلقت من العدم، ولأنها خلقت فهي موجودة، وبما أنّها موجودة فهي خيّرة، ولكن لأنّها صادرة من العدم فهي بالضرورة متغيرة أو قابلة للتغير، ومن ثمة فلا بد لنا أن نعرف تماما أنّ إمكانية التغير هي ضرورة لم يعف الله مخلوقاته منها، لأنّ واقعة الوجود المخلوق ذاتها هي الجذر النهائي لتلك الإمكانية، فالموجودات – لأنّها قابلة لعدم الوجود– تميل إلى العدم، وتتسم بالتالي بإمكانية الدمار، الميل إلى هدم نفسها، ومنه حدوث الشر 9.

ب ـ مشكلة الشر:

لقد طرح القدّيس أوغسطين عدة تساؤلات حول أصل الشّر (*Le mal*)، فاعتبر هذه المشكلة غامضة لديه ومستعصية، أيّا كان مصدر الشر. وقد قام بأبحاثه واثقا من ضلال تعليم المانويين في أثناء تحرّيهم عن مصدر الشر، منتفخين خبثا، ميّالين إلى الاعتقاد أنّ الذات الإلهية أكثر قابلية لتحمل الشر، منهم إلى إرتكابه. لكن وبما أنّ الله صالح فإنّه لم يبدع سوى مخلوقات صالحة، وهو الذي يملأها ويشملها بعطفه. فأين هو الشر إذا؟ ومن أين يأتي؟ وكيف تسرّب؟ وما هو أصله؟ إن لم يكن موجودا، فلم إذا نخاف ونحذر ممّا لا وجود له؟ ولكن، إن كنّا نخشاه ولا مبرر لخوفنا فهذا شر حقيقي يعذّب قلبنا دون مبرر. وعليه إمّا أن نخاف من شر موجود وإمّا أن يكون خوفنا نفسه شرا. ومن أين يأتي الشر طالما أن الله نفسه صالح؟ إنّ الخير الأسمى (الله) قد خلق حقا ما هو أقل صلاحا منه، ومع ذلك فالخالق والمخلوق كلاهما صالح. هل يأتي الشر من المادة التي نظمها وكونها وصورها؟ لكن لله القدرة على تحويلها حيثما لا يظل فيها أثر للشر؟ إنّه لا يليق بالصالح أن يخلق إلاّ ما هو صالح. فالله خيّر وعادل يرعى البشرية بعنايته لا يمكنه أن يكون مصدرا للشر 10.

حاول إذا أوغسطين أن يجيب عن سؤال: ما هو أصل الشر؟ من أين يأتي الشر؟ الإجابة الأوغسطينية ضاربة جذورها في التراث اليوناني بتأثير من أفلوطين. فلماذا لا نقول أنّ المادة هي مبدأ الشر؟ بما أنّ الوجود هو الخير، فإنّ عكس الوجود هو بالضرورة الشر، والمادة هي بمعنى ما لا وجود أو ليست تقريبا شيئا. وهو ما سمح لأفلوطين أن يقول في آن معا أنّ المادة لا وجود، وهي مع ذلك المبدأ الحقيقي للشر. إنّها الفكرة التي تأثر بها أوغسطين في البداية لأنّها الطريقة البسيطة لتفسير جميع النقائص الضرورية في العالم. لكن جواب أفلوطين عن هذه المشكلة يتسق مع مذهبه الذي لا يعتبر الله خالقا بالمعنى الذي نجده في الكتاب المقدس11. وعلى الرغم من أنّ أفلوطين يذهب إلى أنّ الشر يظهر لنا في الحرمان من كل خير، وبأنّ الأفضل أي الخير هو المثال، بينما الشر فهو ما دونه أي حرمان من الخير، فإنّه يعتبر المادة مصدرا للشر، وفي هذا يقول: " أمّا الشر فمن الأصل القديم يعني الهيولى بكونها محلاّ معدّا لقبول الأشياء ولما ينظم... بأنّ الهيولى هي الشر. ذلك لأنّ ما تفعله الصفة وهي مسبوكة في الهيولى، لا تفعله وهي مفارقة قائمة بذاتها..."12. فكل طبيعة مخلوقة سواء طبيعة مادية أو طبيعة فكرية هي خيّرة وليست شرا في ذاتها. وهذا ما عالجناه في مسألة الخير عند أوغسطين، فالقول إذن بأنّ المادة مخلوقة وشريرة معا يؤدي إلى تناقض صريح في التخطيط المسيحي، لذا فالمادة عند أوغسطين ليست شرا حتى وإن كانت مبدءاً بسيطا للاتعيين واللامكان والإضطراب، فإنّها ليست مسؤولة عن وجود الشر. فما هو أصل الشر عند أوغسطين يا ترى؟

ينفي القدّيس أوغسطين في البداية أن يكون الله مصدرا للشر، فيقول: " الله مصدر الخير وليس مصدرا للشر، هل يعقل أن يكون الرب الإله مصدرا للشر ... يا مبدع الأشياء الطبيعية ومنظمها، ماعدا الخطيئة، طبعا، فأنت لها ضابط لا مبدع 13".

ويذكر أنّ الخير هو الوجود أمّا الشر فهو العدم، يقول: " وبالنسبة إليك، لا شرّ، ولا أقول بالنسبة إليك وحسب بل إلى كل ما خلقت لأنّه خارجا عن هذه الخليقة، لا شيء يستطيع أن يستولي على النظام الذي وضعته لها ويعكّره، عن تنافر أعضائها ينجم الشر، وعن تناسق هذه العناصر فيما بينها وبين سواها ينتج الخير... مالا خير فيه لا كيان له، وكل كائن يثبت في الكينونة بمعزل عن الفساد أفضل من غيره لأنّه باق بلا فساد... إذن يتساوى الحرمان من الخير مع العدم "14. الله هو الوجود المحض والأسمى عند أوغسطين، فليس له من نقيض إلا ما ليس بموجود، وكل ما يوجد في الكون فهو خير، وكل طبيعة خير، وكل خير مصدره هو الله. لذلك فإن اللاّوجود أو العدم هو الشر.

فمعنى الشر عند أوغسطين بالتعبير الأنطولوجي هو إعدام الخير أو نقص في الوجود، وعندما يتعلق بالشر الفيزيائي فيعني غياب التوافق بين بعض عناصر الخلق وبعضها الآخر، على أنّ كل عناصر هذا الخلق خيّرة في ذاتها، ويجب علينا تقبل الطبيعة كما هي كائنة، لأنّ الله خلق كل شيء خيّرا. لكنه قد تتوجه الإرادة إلى أشياء أدنى بدلا من توجهها إلى الله، وهنا ينتج الشر. فالشر ليس له أي وجود، فما هو إلاّ إعدام وسلب للخير 15.

يضيف القدّيس أوغسطين أنّ الله قد خلق التناسب أو الكيف (*Le mode*)، والصورة (*La forme*)، والنظام (*L'ordre*)، وأنّ الكائنات التي تتضمن هذه الكمالات أفضل من غيرها، وهي بمثابة الخيرات العامة لهذه الكائنات التي خلقها الله، سواء الروحية أو المادية. وهذا نفسه دليل على أنّ الله أسمى وأعلى وأعظم، لأنّه يتضمن التناسب كلّه، والصورة كلّها، والنظام كله. وفي هذه الحالة كلما كانت هذه الكمالات أكبر، كانت الخيرات كبيرة، وكلما كانت أصغر، كانت الخيرات صغيرة، وإذا انعدمت انعدم معها الخير. وينجم عن ذلك أنّ حضور هذه الصفات هو حضور الطبيعة حضورا كبيرا، وعلى العكس من ذلك فإن غيابها وانعدامها هو زوال لكل طبيعة، لذلك فإنّ كل طبيعة هي خير 16. وحول هذه الفكرة يقول أوغسطين: " ما الشر إلاّ فساد في تناسب، أو صورة، أو نظام الطبيعة.كذلك نسمي طبيعة ما سيئة تلك القابلة للفساد، طالما أنّ الطبيعة غير الفاسدة هي خيّرة حقا. لكن الطبيعة الفاسدة بوصفها طبيعة فهي خيّرة، وبوصفها فاسدة فهي سيئة "17. يلزم عن ذلك أنه كلما فقد الشيء كمال من الكمالات السابقة أو أكثر قلت خيريته، إلى أن تنعدم فيُسلب الخير ويفسد، وذلك هو معنى الشر. وبهذا نستطيع التمييز بين الأشياء القيّمة أكثر والأشياء الأقل قيمة.

للموجودات إذن في نظر أوغسطين ثلاثة كمالات (التناسب، الصورة، النظام)، وبحسب نصيبها من هذه الكمالات، سواء أكانت كائنات جسمانية أم روحية، تكون مرتبتها في الخير. أمّا الشر فهو فساد واحدة من هذه الكمالات أو فسادها كلّها. إنّه عدم كمال من هذه الكمالات. والشر إمّا طبيعي أو أخلاقي. وفيما يتصل بالشر الطبيعي، يلاحظ أنّ الأشياء لو نظر إليها في ذاتها فإنّها خيّرة. فإن قيل: إنّ العالم مسرح للخراب والدمار بفعل العوامل الطبيعية كالزلازل والبراكين والعواصف، فالرّد على هذا هو أنّ الأشياء التي تهدّمت هي في ذواتها خيّرة، ولا بأس أن تحل بعض الأشياء محل بعض، وأنّه لجميل منظر التغير الذي تحدثه هذه العوامل الهدّامة. أمّا الشر الأخلاقي فإنّه يرجع إلى حرية الإرادة الإنسانية 18. فهل الشر جوهر (طبيعة)؟ وهل الإرادة وحدها مسؤولة عن فعل الشر؟

لقد ساعدته (أوغسطين) النظريات الأفلاطونية على إدراك معنى الخير والشر، وأنّ الأشياء خيرات بالطبع والشر عرضي وليس جوهرا، وهو حد للخير19. وفي هذه المسألة يبدأ أوغسطين رأيه بالرّد على المانوية التي تعتبر الشر جوهرا، وبالتالي فهو موجود

كوجود الخير تماما 20. فالمانوية، وانطلاقا من مبدأ الثنائية المعروف لديهم، يعتقدون أنّه من البديهي القول بعدم وجود جوهر واحد، إذ لا تشابه في نظرهم بين الظلمة والنور، ولا بين الحق والباطل، ولا بين الحياة والموت...الخ 21

يقول أوغسطين في نقده للمانوية بأنّ الشر ليس إلاّ فساد (*Corruption*)، وليس طبيعة، بل هو ضد الطبيعة. والفساد هو شر كل الأشياء التي يمكننا أن نكتشف فيها العدم أو الحرمان (الشر)، ففساد العالم يسمى الجهل، وفساد الحكيم هو اللاّحكمة، وفساد العادل هو اللاّعدل، وفساد الشجاع هو الجبن، وفساد النفس الساكنة هو الجشع والقلق، وفساد الصّحة في الجسم الحي يسمى الألم والمرض، وفساد الجمال هو القبح، وفساد النظام هو اللاّنظام، وفساد الكمال هو النقص والصدع. سيكون صعبا إحصاء كل حالات الفساد واحدة بواحدة. فالفساد لا يعدم إلاّ عندما يُلحق اضطرابا بحالة طبيعية، فهو بطبيعة الحال ليس طبيعة، لكنه ضد الطبيعة. وينجم عن ذلك بداهة أنّه لا طبيعة هي شر22. وفي هذا الموضوع يقول أوغسطين: " لا يمكن للشر أن يكون جوهرا، بل فقدان الخير. انطلاقا من الأرض إلى السماء، من المنظور إلى غير المنظور، نجد خيورا أفضل من سواها، غير متساوية فيما بينها، إنّها كلها خيور "23. ويقول أيضا: "وعليه طالما أنّ الشيء موجود فهو خيّر، وكل موجود خير، والشر الذي كنت أبحث عن علته ليس جوهرا، إذ لو كان جوهرا لكان خيرا. إما أن يكون جوهرا لا يقبل الفساد وبالتالي فهو خير عظيم، أو أن يكون جوهرا قابلا للفساد، وهذا لا يمكن أن يكون، إلاّ إذا كان الجوهر خيّرا"24. ويعني أوغسطين بالجوهر الذي لا يقبل الفساد أو الخير العظيم الله تعالى، الذي هو الخير الأسمى والمطلق، أمّا الجوهر القابل للفساد فهو دلالة على أي كائن خلقه الله باعتباره طبيعة جسمانية أو فكرية. فالخير جوهر أو طبيعة، وفي ذلك فهو وجود، أمّا الشر فهو مجرد عرض نقيض الطبيعة، وفي ذلك فهو عدم ولا وجود. فالشر يزيل خير الطبيعة ويفسده.

وهنا نستخلص الحقيقة الوجودية للخير والشر، فالخير شيء بالفعل، أمّا الشر فلا يمكن أن يعتبر وجودا لأنّه سلب للخير، وهذا يعني أنّ الخير شيء ايجابي لوجود ما، أمّا الشر فهو نقصان أو عدم25.

لقد تبنى أوغسطين في البداية فكرة الأفلاطونية المحدثة القائلة بأنّ الجسد والمادة بصفة عامة هما المصدر الأساسي للشر في هذا العالم. وقد ذهب إلى أنّ المادة هي أدنى درجة في سلسلة الموجودات، وهي لهذا السبب تتصف بالاضطراب واللاّتحدد واللاّتعين، ومن هنا كانت مصدرا للشر في العالم. غير أنّ أوغسطين سرعان ما رفض هذا التفسير على اعتبار أنّه يتناقض تناقضا واضحا مع محتوى الكتاب المقدس المتضمن للفكرة القائلة بأنّ كل ما خلقه الله حسن، فإذا كانت المادة من خلق الله فلا بد أن تكون شيئا حسنا أي خيرا وليست شرا. ومعنى ذلك أنّها لا يمكن أن تكون مصدر الشر في العالم. فبدأ أوغسطين من ذلك يجد ما يبرر وجود الشر في العالم، بعد سماعه إلى عظات أسقف مدينة روما القديس أمبرواز حول شرح الكتاب المقدس، والرّد على المانويين وغيرهم من المبتدعة 26.

وبعد جهد كبير توصل أوغسطين إلى الرأي القائل بأنّ حرية الاختيار في ارادتنا هي علّة شرورنا، حيث لم يتوصل إلى إدراك الفكرة بوضوح إلاّ بعد إرتفاعه قليلا إلى النور الإلهي فأدرك أنّه عندما يريد أو لا يريد فهو واثق ثقة مطلقة أنّه هو من يريد أو لا يريد وليس شخصا آخر. ومنذئذ أدرك أنّ أصل الشر كامن في الإنسان، والدليل على ذلك ـ في نظره ـ هو العقاب الإلهي العادل الذي ينزله على العبد، واعتبار هذا الأخير مسؤولا عن كل أفعاله27. فليس للشر عند أوغسطين علّة أخرى غير حرية اختيار الإرادة. وفي هذه المسألة يقول أوغسطين: "... الإرادة إذن هي العلّة الأولى للخطيئة28 "29. ومعنى ذلك أنّ الرذيلة يرتكبها الإنسان بإرادته، حينما ينحرف عن الفعل الحسن.

والرذيلة عند أوغسطين شرّ، تُفسد في الناس الذين هم أعداء الله خير طبيعتهم. وهي مناقضة لله، وليست الطبيعة مناقضة له، لأنّ الشر هو نقيض الخير، وبمعنى آخر فالرذيلة مناهضة لله كما الشر للخير، على أنّ الطبيعة ذاتها التي يفسدها الشر هي خير، وهو مناف له، وهذا الشر لا يمكنه أن يؤذي الله بل إنّه يؤذي الطبائع القابلة للتغير والفساد، في حين أنّ الله

خير أسمى وطبيعة ثابتة. وهذه الطبائع أفسدتها الرذيلة الناتجة عن الإرادة الشريرة التي هي ليست شريرة إلاّ لكونها ضحية لرذيلة ما بينما هي جيّدة بصفتها طبائع30. يقول القدّيس أوغسطين حول هذه الفكرة: " إذا كانت طبيعة الله ثابتة لا تزول، فإنّ الكائنات المخلوقة من العدم قابلة للزوال، فهي تكثر من عمل الخير بقدر مالها من كيان وعللها فعّالة، ولكن بما أنّها ذاهبة إلى الزوال فهي تعمل الشر وعللها ناقصة إلى زوال. والإرادة الشريرة ليست فيمن تقيم إلاّ لأنّه هكذا يريد وقد يكون بخلاف ذلك إذا أراد"31.

وهكذا، فإنّ الشر الأخلاقي عند أوغسطين من إرادة الإنسان الحرّة، لأنّ الإنسان قابل للتغير كالكائنات المخلوقة الأخرى، فهو قادر على التمرد والعصيان، أي عصيان أوامر الله، فإنّه قد عصى وتمرّد، رغم أنّه لا يريد موضوعا هو شر في ذاته لأنّ في ذلك تناقض، بل في سبيل البحث عن الخير أشاح بوجهه عن الله، وهو على الرغم من أنّ الله صنعه فقد فضّل نفسه على الله، وهو بفعله هذا جلب الشر الأخلاقي إلى هذا العالم، أو كان يمكن أن يجلبه لو لم يسبقه إبليس. وفي كل مرة يرتكب فيها الإنسان خطيئة فإنّه يجدد فعل التمرّد هذا. فالشر القائم في العالم ينبع أساسا من الإرادة الحرّة للإنسان الذي يختار قراراته بحرّية. والسؤال المطروح في نظر أوغسطين هو: كيف يمكن أن يكون الله الكامل قادر على إعطائنا حرية الإرادة، أي الإرادة القادرة على فعل الشر؟ يجيبنا أنّ ذلك ناشئ عن سوء استعمال الحرية بنبذ الخير الدائم والإقبال على خير زائل فهو عدم النظام في الإرادة، فالشر يرجع إلى حادث يمكن تجنبه، ولكي يبعده إلى هامش الخير أعني يحصره في أطراف هذا الكون الخيّر أساساً 32. فالشر عند أوغسطين نابع عن فساد في الإرادة، لكن ما معنى فساد الإرادة؟

يصف القدّيس أوغسطين الشر بأنّه الإنحراف إلى ما يخالف نظام الطبائع، وذلك في التخلي عن الكائن الأسمى إلى الكائن الأسفل، وفي الواقع ليس البخل عيبا في الذهب إنّما عيب في الإنسان الذي يحب الذهب حبّا غير منظم، ويحتقر العدل الذي يُفضّل على الذهب بما لا يُقدّر بثمن. والنجاسة ليست عيبا في الأجساد الجميلة والبهية ولكنها عيب في النفس التي تنقاد وراء شهوة جامحة إلى إشباع الملذّات الجسدية على حساب القناعة التي تجمعنا إلى الجمالات الروحية والنعم غير القابلة للفساد. إنّ الشر يزيل خير الطبيعة ويفسده، ولا تصير الإرادة هكذا إلاّ عن طريق السقوط القائم على التخلي عن الله33. فارتكاب الرذيلة أو الخطيئة هو الابتعاد عن الخير وحب الله الذي هو في نفس الوقت عصيان لأوامر الله بإتباع الهوى والانغماس في الشهوة الجسدية فيضعف الروح والعقل كنتيجة طبيعية للخطيئة، ويكون ما هو أسمى في نظام الروح تابعا لما هو أدنى.

إجمالا، الخطيئة عند أوغسطين هي الكلام، أو الفعل، أو الرغبة ضد القانون الأبدي. أليس القانون الإلهي أعلى من الطبيعة، أو هو فوق الطبيعة؟ ألا يبدو من الأوفق أن نعرّف الخطيئة بأنّها تعارض القانون الذي يحكم الطبيعة ويسيطر عليها. وما دامت الطبائع هي طبائع لأنّ الله جعلها كذلك، فإنّ عصيانها، أو انحراف هذه الطبائع عن ماهيتها الخاصة، يعني انتهاك القانون الذي وضعه الله فيها بفعل الخلق، ومن ثمة فإنّ استقامة الفعل البشري تقاس بمدى اتفاقه مع الإرادة الإلهية، أي بطاعته لأوامر الله. والقانون الأبدي لا يعني شيئا آخر سوى عقل الله الذي يضم ويشمل العقل الإنساني، ويعني أيضا وصايا الله. فعصيان العقل هو عصيان الله نفسه، وكل خطيئة هي خرق للقانون الإلهي34.

ولكن، تختلف طبيعة الشر عند أوغسطين كثيرا عن الشر الأخلاقي في الفلسفة اليونانية القائمة في الانحراف عن الطبيعة العاقلة للإنسان أو الانتقاص من إنسانيته، وهذا ما يبدو واضحا عند آرسطو وأتباعه كتوما الأكويني. فالخير عند آرسطو هو في التزام أوامر العقل، مع التعود على ذلك، فالأخلاق عنده قائمة على ملكة العقل، ويحدث أن تكون أفعال الإنسان متوافقة مع هذه الملكة، أو مناقضة لها، فتكون خالية من التعقل35.

ج ـ الفضيلة:

الفضيلة (*La vertu*) ذاتها عند أوغسطين، لا تعد بين خيور الطبيعة الأولى، لأنّ التربية تدخلها لاحقا بعدها، على أنّ الفضيلة التي تطالب بالمركز الأول بين خيور الإنسان، ما هو عملها ها هنا؟ وإلاّ كانت حربا على الرذائل والآثام، لا على الرذائل الخارجية بل الداخلية، ثم ليست حربا على الرذائل الغريبة بل على رذائلنا الخاصة والشخصية. ويضيف أوغسطين أنّ هناك حربا دائرة بين الجسد والروح، فالجسد يشتهي ما هو ضد الروح، والروح يشتهي ما هو ضد الجسد، وفي هذه الحالة يجب علينا، بمساعدة الله، ألاّ ندع الروح يستسلم لهجمات الجسم، لأنّه إذا انهزم انقاد إلى القبول بالخطيئة واقتراف الآثام والرذائل. فالفضيلة مثلا التي يسميها اللاتين اعتدالا تكبح جماح الرغبات الجسدية، خوفا من أن تنتزع، من العقل الضعيف، تنازلات كثيرة ومؤسفة. أما الفضيلة المسماة فطنة فهي تستعمل وعيها لتميز الخير من الشر، كي لا تقع في ضلال في سعيها إلى الخير وهروبها من الشر. لأنّ قبول الخطيئة هو نفسه شر. في حين أن مقاومة الميل إلى الشر وارتكاب الخطيئة خير. فالنظام الطبيعي والعادل هو في خضوع النفس لله، والجسد للنفس، ومنه خضوع النفس والجسد معا لله36.

وعلى نحو قريب جدّا مما ذكره القديس أوغسطين حول محاربة شهوات الجسد، نجد أفلاطون قد ذكره في محاورة "فيدون"، وذلك بهدف تحقيق سعادة النفس، يقول أفلاطون: " ولكن الروح التي قد أصابها الدنس... والتي تغرم وتهيم بالجسد ورغبات الجسد ولذاته، حتى ينتهي بها الأمر إلى العقيدة بأنّ الحقيقة لا تكون إلاّ في صورة جسدية يمكن للإنسان أن يلمسها، وأن يراها وأن يذوقها، وأن يستخدمها لأغراض شهواته ـ أعني الروح التي اعتادت أن تنفر من المبدا العقلي..."37.

والفضيلة عند القديس أوغسطين بالتعريف هي عادة نفسية مطابقة لحال كائن في الطبيعة، وفي العقل. وقد قسّمها إلى أربعة فضائل كبرى:

1ـ الإعتدال (*La tempérance*): وهو التحكم الدقيق للعقل في الانفعال وفي كل الحركات الأخرى. وأشكالها هي: العفّة (*La continence*)، والحلم (*La clémence*)، والتواضع (*La modestie*).

2ـ القوة (*La force*): تستدعي مجابهة المخاطر وتحمّل المحن والمصائب بعزم. وأشكالها هي: الشهامة (*Magnanimité*)، والإقدام (*Hardisse*)، والصبر (*La patience*)، والمثابرة (*La persévirance*).

3ـ العدالة (*La justice*): هي عادة نفسية يفرضها الاستعمال الاجتماعي لأجل احترام القوانين والدين والأعراف.

4ـ الفطنة أو الحصافة (*La prudence*): هي معرفة الأشياء الحسنة والسيئة، والتي تبدو غير متمايزة. وهي تتضمن الذاكرة، والعقل، والبصيرة. فتتمكن النفس فيها من استحضار الماضي، وتحليل الحاضر، واستحضار حادثة مستقبلية قبل وقوعها. وعلى الحكيم في نهاية المطاف عند أوغسطين أن يبحث عن كل هذه الفضائل لذواتها فقط، دون أي رؤية نفعية 38.

لكن يجب أن نضع في ذهننا الفضيلة التي تقودنا إلى الحياة السعيدة، فيؤكد أوغسطين أنّها حقا ليست شيئا آخر غير حب الله، والتمييز بين الفضائل الأربع، إنّما هو من أجل التمييز بين مختلف صفات ومظاهر هذا الحب، فكل الفضائل تتوحد فيه، ومنه فالفضيلة الأسمى هي الحب الأسمى لله (*le souverain amour de dieu*). وما يثبت ذلك أنّ فضيلة الاعتدال، هي الحب الذي يُعطى كله لمن يحب، وفضيلة القوة، هي الحب الذي يقاوم به من أجل من يحب، وفضيلة العدالة، هي الحب الذي لا يظهر إلاّ اتجاه موضوع ما والتغلب على الأشياء الأخرى، مع ضرورة الاستقامة، وفضيلة الفطنة، هي الحب بالبصيرة. لكن هذا الحب الذي تحدثنا عنه، هو حب الله، أي الحكمة الأسمى أو الخير الأسمى، فالاعتدال هو الحب الذي يحفظ الاستقامة من أجل الله، والقوة هي الحب الذي يتحمل فيه العبد كل شيء من أجل الله، والعدالة هي الحب الذي لا يظهر إلاّ لله، والفطنة هي الحب الذي يميز فيه الإنسان ما يساعده للتوجه نحو الله عمّا يمنعه من ذلك 39.

ومعنى ذلك أنّ الفضائل الأخلاقية ـ من وجهة نظر أوغسطين ـ ترجع كلها إلى فضيلة عليا واحدة، وهي فضيلة الحب، حب الله، أمّا الفضائل الأخرى فقد أرجعها أيضا إلى الفضيلة الرئيسية التي هي حب الله، ولذلك يرى أنّ الفضائل إذا انقطعت صلتها بالله أصبحت رذائل، وهي تُطلب من أجل الله 40. يقول في اعتبار الفضائل الأربعة الأساسية موجهة نحو حب الله ما يلي: " باعتبار أن الله هو الخير الأسمى للإنسان، فما لا يقبل الجدل إنطلاقا من ذلك حقّا هو أن الرغبة في الخير الأسمى تعني الحياة الخيّرة، والحياة الخيّرة ليست شيئا آخر سوى حب الله. وهو ما تدعو إليه كل الفضائل لتحقيق كمال الإنسان"41.

د ـ السعادة:

بدأ القديس أوغسطين حديثه عن السعادة بسؤال: هل يتوق كل الناس إلى السعادة؟ وقد أجاب بأنّه لو قدّر لنا أن نسأل كل الناس ـ مهما كانت لغتهم ـ سؤالا واجدا: أترغبون في السعادة؟ لأجابوا دون تردد، نعم. فقد يرفض شخص ما حمل السلاح الذي لا يرفضه غيره لكنهما لا يرفضان إطلاقا الرغبة في الحصول على السعادة 42. ثم يضيف بعد ذلك أنّ علم الأخلاق هو سبيل السعادة، وهو في اللغة اليونانية (*L'éthique*) يدرس مسألة الخير الأسمى وبه ترتبط كل أفعالنا وإليه نسعى، حتى إذا حصلنا عليه سُعدنا، وهو الهدف المنشود. على أنّ هذا الخير أصل كل سعادة، أناس يجعلونه مرتبطا بالجسد وآخرون بالروح وغيرهم بالروح والجسد معا. لكن السعي إليه في الجسد هو سعي إليه في الجزء السفلي، والسعي إليه في الروح هو السعي إليه في الجزء الأعلى 43. لكن ما السعادة الحقة؟

إذا كان الخير الأسمى عند أوغسطين هو الله، فإنّ السعادة الحقة لا تكون إلاّ في الحصول على هذا الخير الأقصى والتلذذ أو الإستمتاع به، علما أنّ ما يشعرنا بذلك هو الحب وحده، أي حب الله دون غيره حبا حقيقيا، ومن يتصور السعادة غير ذلك فإنّه يتناقض مع الحقيقة الجلّية لكل حكيم. فمن يحيا بحب أسمى الفضائل (فضيلة الفضائل) يدرك السعادة الحقيقية، ومن أنكر ذلك ابتعد عن السعادة وعاش شقيا. وفي هذا يقول أوغسطين: " على الجميع أن يقبلوا برأي الفلاسفة القائلين إنّ الإنسان السعيد هو من يتمتّع بالله لا كما يتمتّع الإنسان بجسده أو بروحه، ولا كما يتمتّع الروح بالجسد أو بذاته أو كما يتمتّع صديق بصديقه بل كما تتمتّع العين بالنور... وحسبنا أن نلاحظ هنا أنّ أفلاطون يضع الخير الأسمى في أن يعيش الإنسان بموجب الفضيلة، ويرى أن هذه الحياة لا يمكن أن تتحقق إلاّ في الإنسان الذي يعرف الله ويقتدي به... "44.

شدّد أوغسطين بعد ذلك على فكرة صوفية محضة وهي الاتحاد بالله الذي ينبع عنه التمتّع بالله يقول: " الحب يشدّنا إليه لنستريح فيه ونجد الراحة على يده، وهي الغاية القصوى، حيث الكمال وحده يجعلنا نجد السعادة. إنّ ذاك الخير النهيوي، الذي طالما تناقش فيه الفلاسفة، يتحقق في الاتحاد بالله اتحادا روحيا يعطي النفس العاقلة، نوعا ما، خصوبة في الفضيلة ظاهرة. ذاك هو الخير الذي يطلب منّا أن نحبه " 45.

يعود القديس أوغسطين إلى شهادة الكتب المقدّسة في حديثه عن النور الحقيقي والمنبع الذي ننهل منه السعادة: " أحب الرّب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل عقلك وأحبب قريبك مثل نفسك " 46. إنّ الإنسان المفكر سواء الفيلسوف أو اللاّهوتي، يسجل بعمق وبواسطة التجربة اليومية للحياة الروحية بأنّ الإنسان يبحث عن السعادة، فيلاحظ بأنّ الله هو الخير الأسمى الذي نعمل على الإستمتاع به. على أنّ هذا الإستمتاع بالله هو غاية الحياة الإنسانية كلها، مع القصد نحو معرفة الله ومعرفة الإنسان معا 47.

ولكن، لا سعادة عند أوغسطين إلاّ في امتلاك الخير الأسمى، فنحن عندما نبحث بواسطة العقل عن الكيفية التي يجب أن يحيا بها الإنسان، فإنّنا نريد حقًّا أن نحيا سعداء. لكن من غير المعقول أن نحكم على شخص بأنّه سعيد ما لم يمتلك الموضوع الذي يحبه، ماعدا إن كان مُضرًّا فهو غير مرغوب فيه. أمّا من لا يرغب في الحصول على ما يحبه فهو مريض. بقي إذن القول

بأنّ الحياة السعيدة للإنسان في الخير الأسمى الذي هو في نفس الوقت محبته وامتلاكه، لأنّ ما نسميه متعة، ليس إلاّ امتلاكنا لما نحبه. وليس سعيدا من لا يتمتّع بالخير الأسمى للإنسان، طالما أنّ من يملكه لا يستطيع أن يكون غير سعيد. فيجب علينا أن نسعى لامتلاك الخير الأسمى إن كنا نرغب في الحياة السعيدة 48.

لقد أثبتنا أخيرا أنّ من يمتلك الله ـ في نظر أوغسطين ـ فهو سعيد، ولا أحد بإمكانه أن يقول بعكس ذلك. ومن يفعل ذلك فهو حكيم، والحكمة ها هنا هي ذلك المعيار الذي تتعقل به النفس نفسها، فلا تندفع نحو ما يُنقص من كمالها، لأنّه عندما تستعجل النفس في الحصول على اللّذات، والطموح، والرغبة، والكبرياء وغيرها ممّا يفقدها السعادة، فإنها تعيش في الخوف والطمع وغيرها من الانفعالات. وعلى العكس من ذلك فإنّ النفس الحكيمة تقوم بفعل التأمل، أي تأمل موضوعها الأزلي، بعيدا عن أضاليل الأشياء الباطلة التي لا طائل تحتها 49. فالسعادة هي ميل عقلي نحو الله، لأنّها تستدعي العقل، أي معرفة الموضوع الأزلي، موضوع الحب الذي تتأمله النفس.

ومنه، فالسعادة عند أوغسطين هي نزوع النفس نحو الله، أي نحو تأمل الحقيقة الأسمى، والتأمل يعني معرفة وحب الكائن الأزلي الثابت (الله). وهي نوع من الاتصال الروحي أو الحدسي – بواسطة القلب – بالنور الحقيقي الثابت 50. إنّ الحقيقة ـ في نظر أوغسطين ـ واحدة، وأنّ طلبها هو الحكمة، والحكمة تطلب الحقيقة من أجل السعادة، لأنّ السعادة هي الاستمتاع بالحقيقة التي نبلغها عن طريق الحكمة. وبوسع الحكيم أن يملك السعادة بالرغم من أنّه كائن فان 51. ومعنى ذلك أنّ غير الحكيم هو من يبتعد أكثر من الله، وذلك عندما ينقلب إلى أشياء أخرى أدنى، فيعيش حياة الطمع والجشع، وبالتالي حياة الشقاء. لذلك يطرح أوغسطين هذا السؤال: هل يجب أن يهتم الإنسان للخيرات الجزئية؟

يجيب أوغسطين بأنّ الكتاب المقدّس يأمرنا باحتقار ما يغوينا في العالم كالعجرفة والكبرياء في مجال العلم، وشهوات الجسم التي نحصل عليها عادة بواسطة الحواس الجسمية القابلة للمشاهدة، وهي بالتالي مؤقتة، وفانية غير أبدية. يجب إذن ـ في نظر أوغسطين ـ على الإنسان المؤمن أن يحب الله وحده، مع احتقار كل الأشياء الملموسة التي لا تستخدم إلاّ لضروريات الحياة فقط، وهذا طبعا ما يبعد النفس عن الطمع والجشع، ويقرّبها إلى الله وحده، فتظل متوجهة نحوه بواسطة نار الحب (*Feu de l'amour*) الذي يلهبه فيها الله 52.

ينفي أوغسطين أن تكون السعادة في اللّذات والخيرات الجزئية، فالسعادة الحقة والخير الأسمى ليسا في لذّات الجسم والحياة، كالثروات والسلطة والمجد والمناصب الرفيعة وملذات الجسد وغيرها من الخيور الحقيرة، والخوف من ضياعها، لأنّها تؤدي إلى الوقوع في الآثام والخطيئة. فيعبث الإنسان بما هو أسمى وأفضل، ويتجاهل أنّه لا ألطف من محبة الله ولا أسلم له من أن يحب حقيقته التي لا أجمل منها ولا أبهى53.

ثم يواصل أوغسطين تصوره حول السعادة بنقد رأي أبيقور ـ بعد تفضيله للأفلاطونية ـ وفي هذا يقول: " وتحدثت إلى صديقي ألبيوس ونبريديوس 54 عن الخير الأسمى والشر الأعظم وقد أناصر باطنيا أبيقور لولا إيماني بخلود النفس والثواب والعقاب، هذه الثلاثة التي تنكّر لها أبيقور. ثم طرحت السؤال التالي: إن كنا خالدين وعشنا في لذة جسدية ثابتة ولم نخش ضياعها، فلم لا نكون سعداء؟ وعن أي شيء لا نزال نبحث؟ ولم أجد أنّ ما يشقيني كثيرا هو أنّي في عمايَ وجراحي... " 55. إنّ أبيقور يحصر السعادة في اللّذّة، يقول: " اللّذّة هي النهاية السّوية التي تلحظها الطبيعة لنشاطنا، ولا يمكن أن تتكون السعادة إلاّ في امتلاك وتجميع اللّذّات..." 56.

هكذا أراد الفلاسفة ـ في نظر أوغسطين ـ الحصول على حياة السعادة دون أن يطلبوها من الله. فالبعض قال: سعيد من يستمتع بالخيرات الأرضية، والبعض قال: سعيد من وجد قوته بنفسه. وهذا ما تقوله الرواقية والأبيقورية. ففي أثينا التقى القدّيس بولس بالفلاسفة وخاصة الأبيقوريين والرواقيين، فلاحظ أنّ كلهم أرادوا الحصول على السعادة، تلك التي وضعها

أبيقور في الجسم، جعلها أنصار الرواقية في الفضيلة. لكنّهم لم يحصلوا في حقيقة الأمر إلاّ على حياة الشقاء. وفي مقابل ذلك نجد المسيحي المؤمن عند أوغسطين لا يطلب السعادة من الجسم، ولا من الفضيلة كمكسب شخصي، لكنّه يطلبها من النعمة بالبحث عن المسيح وتمجيده، لأنّ المسيح وحده قادر على إنقاذه من الخطأ، ومن الموت، ومن الألم. فيقوده إلى الحياة، حياة السعادة والأبدية 57.

لكن عموما، لم تسلم آراء أوغسطين الأخلاقية من النقد، لأنّه كان يسعى إلى الوصول إلى صيغة محددة لفكرة دقيقة عن طبيعة يُنظر إليها على أنّها ماهية ساكنة لها حدود معينة، وكان على يقين تام أنّ الشر عاجز عن هدم الطبيعة، وما لم يستطع أن ينجح في التعبير عنه صراحة هو أنّه لا يمكن أن تكون طبيعة أخرى غير التي نعرفها 58. وهذه الطبيعة الثابتة والماهية الساكنة هي الخير باعتباره الأصل والجوهر، وما لم يوضّحه هو إعطاء التفسير المقنع على أنّ الشر مجرد عرض.

ومنه، فإنّ الأطروحة الأوغسطينية القائلة بسلبية الخطيئة وعدم وجودها تحمل تناقضا. سواء من الناحية السيكولوجية أو اللاهوتية، إذ كيف نفسّر فعل التضحية وأفعال الجرائم؟ هل هي غير موجودة؟ وإذا كانت الخطيئة ليست شيئا فلا يمكنها إفساد أو إعدام أو سلب طبيعتنا طالما أنّها لا شيء، فهل يعقل أنّنا عندما نخطئ لا نفعل شيئا؟59

خاتمة:

إننا لا نجانب الصواب لو قلنا بأن أوغسطين قد جعل من تعاليم الإيمان المسيحي مبدءاً يفسر به الخير الدائم القائم في كل الموجودات. ويُفسَّر بهذا المبدأ أيضا الشر كحادث سلبي وعرضي يمكن للمؤمن التغلب عليه. هذا هو معنى التفاؤل والأمل الذي يطبع المذهب الأوغسطيني، والذي من خلاله أسس أوغسطين السعادة، لأن الإيمان في نظره هو القادر على النفاذ إلى ماهية الخير الأسمى(الله) وقداسته. لذلك ربط السعادة بالحب المقدس، وبالتالي أقام الأخلاق كلها على ماأسماه بالدين الحقيقي.

حياة أوغسطين ومؤلفاته(بإيجاز): كان ميلاد أوغسطين (*aurèle augustin*) فيلسوف المستقبل، أسقف وأب (*éveque et père*) الكنيسة، في 13نوفمبر 354م، أبوه *patricius* وأمه *monica* المسيحية. وُلد بثاغاست (*thagaste*) سوق اهراس ببلاد نوميديا الجزائرية حاليا، وتوفي بهيبون(*hippone*) عنابة حاليا في 28 أوت430، بعد سيطرة الوندالين على المدينة قبل أشهر.

- *claude lorin : pour saint augustin, bernard grasset, paris, 1988, p16.*

ومن أهم مؤلفاته:

1-*contre les académiciens(386)*.

2-*soliloques(386)*

3-*de la vraie religion (390)*

4-*du libre arbitre(395)*

5-*de la doctrine chrétienne (397-425)*.

6-*la trinité(398-417)*.

7-*les confessions(400)*.

8-*la cité de dieu(411-428)*.

9-*de l'origine de l'ame(419)*.

.(retractions(428-10

Jacque chabanne : Saint Augustin, éditions France- empire paris, 1961, p307--309.

الهوامش:

1 *Saint Augustin: La moral chrétienne, introduction, B. Roland - Gossellin, Edition, Desclée de Brouwer et cie, Paris, 1949, pp 145, 151.*

2 أوغسطين: اعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط5، 1989، ص09.

3 *Saint Augustin : Traités de moral, Oeuvres dogmatiques, de la trinité, tome12, traduction Sous la direction de M . Raulx, Edition, le- Duc, L. guérin et cie Paris, 1868, pp 454- 455.*

4 يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص 51.

5 أنظر مشكلة الشر.

6 *Christain Nadeau : Le vocabulaire de Saint Augustin, Ellipses, Edition marketing S. A. Paris, 2001, p 14.*

7 *Saint Augustin: La moral chrétienne, op- cit, p 441.*

8 *Ibid, p 441.*

9 إيتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2009، ص ص 178 ـ 179.

10 أوغسطين: اعترافات، المصدر السابق، ص ص 124 ،131.

11 ايتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص 175.

12 أفلوطين: تاسوعات أفلوطين، ترجمة فريد جبر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997، ص 103.

13 أوغسطين: اعترافات، المصدر السابق، ص ص 17 ، 24.

14 المصدر نفسه، ص 136.

15 *Serge Cansel : Saint Agustin, Edition, Fayard, Paris, 1999, p 131.*

16 *Saint Augustin: La morale Chrétienne, op- cit, pp 443 – 445.*

17 *Ibid: p445.*

18 عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص ص 251ـ 252.

19 حنّا أسعد فهمي: تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، تحقيق وتقديم، عقبة زيدان، دار نور، دمشق، سوريا، 2009، ص 146.

20 *Saint Augustin : La moral Chrétienne, op – cit, p271.*

21 *Francoi Decret: Aspects Du manichéisme Dans l'afrique Romaine, Alger, 1968.*

22 *Saint Augustin: Six Traités, Anti - manichéens(17), traduction, R. jolivet et M. Jorjon, édition, Desclée de brouwer et cie, Paris, 1961, pp 487—489.*

23 أوغسطين: مدينة الله، ج2، ترجمة الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2، 2008، ص36.

24 أوغسطين: اعترافات، المصدر السابق، ص136.

25 فايزة أنور شكري: القيم الأخلاقية، دار المعرفة الجامعية للطبع وللنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2011، ص 110.

26 عصام زكريا جميل: مصادر فلسفية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص ص 93 ـ 94.

27 أوغسطين: اعترافات، المصدر السابق، ص 124.

28الخطيئة هي رفض هبة الله بواسطة حرية الإنسان، الذي يظن بأنه تحرر وتخلّص من الشرط الذي يحرّظه على سقوطه.

Dominique folscheid: (que sais-je ?), les grandes philosophies,7ème édition, puf, paris, 2006, p29.

29 *Saint Augustin : Les révision (12), traduction, gustave bardy, Desclée de Brouwer et cie,Paris, 1950, p317.*

30 أوغسطين: مدينة الله، ج2، المصدر السابق، ص 63.

31 المصدر نفسه، ص 70.

32 اتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص ص 184 ، 190.

يُلاحظ أيضا في:

étienne gilson :introduction a la philosophie de saint augustin, 2ème édition, Librairie philosophique J. - Vrin, 1943 , pp188-189.

33 أوغسطين: مدينة الله، ج2، المرجع السابق، ص ص 71ـ 72.

34 اتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص ص 423 ـ 425.

35 *Aristote : éthéque a nécomaque, traduction,barthélemy saint hilaire,librairie générale francaise, paris,1992, p51,74.*

36 أوغسطين: مدينة الله، ج3، ترجمة الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، لبنان، ط2، 2007، ص ص115-116.

37 أفلاطون: محاورات (أوطفرون، دفاع سقراط، أقريطون، فيدون)، ترجمة زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001، ص208.

38 *Saint augustin : mélanges doctrinaux(10),traduction, G. bardy, J.A. beckaert, J. boutet,édition de brouwer et cie, paris, 1952, pp89-91.*

39 *Saint augustin : la morale chrétienne, op-cit, pp175-177.*

ويُلاحظ أيضا في:

- *Saint augustin : mélanges doctrinaux, op-cit, pp737-738.*

40 فايزة أحمد شكري: القيم الأخلاقية، المرجع السابق، ص111.

41 *Saint augustin : la morale chrétienne, op-cit, p207.*

42 أوغسطين: اعترافات، المصدر السابق، ص214.

43أوغسطين: مدينة الله، ج1، ترجمة الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2، 2008، ص377.

44أوغسطين: مدينة الله، ج1، المصدر السابق، ص378.

45 المصدر نفسه، ص460.

46إنجيل متى: 22: 37-40 (الإصحاح22 الآية37-40).

47 *Albin michel : dictionnaire des philosophes, encyclopaedia universalis, paris, 1998, p1334.*

48 *Saint augustin : la morale chrétienne, op-cit, pp141-143.*

49 *Saint augustin : problemes fondamentaux, op-cit, p281.*

50 *Agostino trapé : saint augustin, l'homme, le pasteur, le mystique traduit de l'italien par victor arminjon, édition, fayard, paris, 1988, pp170,172.*

51عادل العوّا: مذاهب السعادة، دار الفاضل، دمشق، 1991، ص ص131-132.

52 *Saint augustin : la morale chrétienne, op-cit, pp193,199.*

53 أوغسطين: اعترافات، المصدر السابق، ص ص36-37.

54ألبيوس: إبن عائلة كريمة في ثاجاست – نبريديوس: إفريقي يسكن قرب قرطاجة.

- أوغسطين: اعترافات، المصدر السابق، ص ص107،113.

55 المصدر نفسه، ص119.

56 بيار بويانسكي: أبيقورس، ترجمة بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص55.

57 *Piere-marie hombert : nouvelles recherches de chronologie augustinienne, institut d'étude augustiniennes, dépôt légal, paris, 2000, p270.*

58 إتين جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص191.

59 *Jérome laurent : dossier, augustin, remarques sur la conception augustinienne du péché comme néant, cabiers philosophiques, caen,2010, p10.*

السكة والنظام المصرفي بالمغرب الإسلامي في دول ما بعد الموحدين (ق07-09هـ/13-15م)

أ.محمد بن ساعو
جامعة سطيف 2

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء حقيقة الوضع النقدي في المغرب الإسلامي، خلال فترة ما بعد الموحدين (بين القرنين07-09هـ/13-15م)، وهي فترة شهدت تغيّرات هامة على أصعدة مختلفة، وتتناول المقالة دراسة وصفية تحليلية للنقود المغربية الزيانية، الحفصية والمرينية، من خلال التطرق لمواصفاتها التقنية، وانتشار ظاهرة تزوير العملة وارتباطها بفترات ضعف الدولة وتأثير ذلك على إرباك المعاملات الاقتصادية، وواقع الصيرفة في بلاد المغرب ودور اليهود فيها، ومدى قوة النظام المصرفي بالمغرب الإسلامي ومقارنة تقنياته بنظيراتها الأوربية، كما نتطرق لدار السكة باعتبارها الجهة المخولة بالمسائل النقدية والمشرفة على سك النقود ومراقبتها، وسنحاول إبراز دور المنظومة الدينية المالكية في وضع قالب ديني للنظام النقدي والصيرفي.

***Résumé*:**

Cette étude a pour objectif d'éclaircir la vraie situation monétaire dans le Maghreb Islamique, durant la période post-Almohades (entre les deux siècles 7-9 h/ 13/15 n(

C'est une qui a connu des changements importants sur plusieurs plans .Cet article se penche sur une étude descriptive analytique des monnaies Maghrébines, Zianides, Hafsides et Mérinides, en évoquant ses caractéristiques techniques, et aussi de voir la propagation de la falsification de la monnaie qui dépend des périodes du déclin de l'Etat et son influence sur le trouble des transactions économiques, et la situation bancaire dans les pays du Maghreb et le rôle des juifs dans ce sens, et voir la force du système bancaire dans le Maghreb Islamique en comparant ses techniques à celles de l' Europe. On parle aussi de la maison de battre monnaie qui est considérée comme la seule côté autorisée dans les affaires monétaires et qui supervise l'opération battre monnaie et la contrôle, et on va essayer de mettre en relief le rôle du système religieux Malékite de mettre un cadre religieux pour le système monétaire et bancaire.

مقدمة:

يعد النقد من أقدم النظم الاقتصادية في تاريخ الحضارة الإنسانية، حيث أثّر في النمط الحياتي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للإنسان منذ آلاف السنين، وبفضل دورها وأهميتها أصبحت العملة واجهة ومرآة أي نظام اقتصادي، وهوية النظام السياسي، وكان ظهورها مرتبط باقتصاد المبادلة.

لذلك يطرح موضوع السكة والنقود في بلاد المغرب الإسلامي نفسه للبحث، وهو يندرج ضمن حقل الدراسات التاريخية الاقتصادية، التي شهدت تغييبا كبيرا في الكتابات الأكاديمية، التي ركّزت أكثر على الجانب السياسي، أما الجانب الاقتصادي وتحديدا المواضيع المتعلقة بالسكة والنقود والنظام المصرفي، فإنها لم تدرس بالشكل المطلوب والكافي نظرا لعدم خوض العديد من الباحثين لهذه الدراسات، ويرجع ذلك لعدة اعتبارات في مقدمتها قلة المصادر التي تتناول الموضوع، ما أدى إلى غياب نظرة واضحة عن هذا القطاع الهام وتأثيراته في مختلف القطاعات الأخرى خاصة وأن القطاع النقدي أثّر وتأثّر بسياسة الدولة، ناهيك عن الجوانب الثقافية والاجتماعية، فأصبحت المكتبة التاريخية المغاربية بحاجة إلى دراسات تاريخية اقتصادية في فترة ما بعد الموحدين.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الكشف عن بعض القضايا المتعلّقة بالنقود والنظام المصرفي خلال القرون الأخيرة من العصور الوسطى، مستهدفين الإجابة عن الإشكالية العامة للدراسة التي تلخصها التساؤلات الآتية:

ما هي حقيقة الوضع النقدي ببلاد المغرب الإسلامي في دويلات ما بعد الموحدين؟، وما هي خصائص العملة المغربية والفروقات بين النقد الزياني والمريني والحفصي؟، هل كان النقد المغربي يساير العملية التجارية ومقتضياتها؟، وكيف نقيّم الدور الذي لعبه اليهود في هذا المجال؟، كيف أثّرت ظاهرة غش النقود في إرباك المعاملات المالية؟، إلى أي مدى استخدم المغاربة التقنيات المصرفية؟، وهل بلغ النظام المصرفي والنقدي المغاربي ما وصله النظام الأوروبي آنذاك؟.

1- السكة المغربية –عرض وتحليل-:

السكة هي الختم على الدنانير والدراهم التي يتعامل بها الناس، بطابع ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير والدراهم فتبدوا تلك النقوش ظاهرة، مع الأخذ في عين الاعتبار عيار النقد من الجنس، ويؤكد ابن خلدون على أهمية هذه الخطّة، فيقول: "وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتّقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة"[1]، والسكة هي الواجهة الحقيقية للنظام الاقتصادي، فيتوقف على قيمتها وقوّتها الشرائية الحكم على مدى استقرار الدولة.

وتعتبر الدنانير والدراهم العملة المتداولة في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط، وترجع أصول كلمة الدينار إلى لفظ مشتق عن اللاتينية "ديناريوس" "Deni"، بمعنى عشر أي عشر آسات (وهي الدراهم الرومية)، فيما يرى البعض أنه من الكلمة اليونانية "Dinarion"، والدرهم تعود أصول تسميته إلى اليونانية، حيث يسمى "Drachmé" [2].

وتسك الدنانير من الذهب، لهذا يقال الدينار الذهبي، بينما تسك الدراهم من الفضة، فيقال الدرهم الفضي[3].

وكانت الدنانير معمولا بها في بيزنطة وفارس قبل الإسلام، وكان العرب يتعاملون بالنقود الرومانية والفارسية[4]، ومنذ عهد عبد الملك بن مروان(65-86هـ/684-705م)، أصبح المسلمون يتعاملون بالدينار والدرهم الأموي الإسلامي، وقد تم ذلك على مراحل، وكان الهدف منه استقلالية السكة الإسلامية، التي أخذت صبغة إسلامية، فقد نقشت فيها أسماء الله والتهليل والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[5].

- النقود المغربية:

تعاملت دويلات مغرب ما بعد الموحدين بالدنانير والدراهم، والتي بقيت محتفظة بالكثير من مميزاتها التي ورثتها عن النقد الموحدي، فكانت نقود الزيّانيين والحفصيّين والمرينيّين امتدادا لنقود الموحدين من حيث الشكل والمميزات، وكانت غاية في الجودة، وقد احتكرت الدويلات الثلاث سك الدنانير والدرهم، وإن كان أمر سك النقود غير مقيد أو ممنوع[6].

أ- النقود الحفصية:

1* الدينار الحفصي:

اتخذت النقود الذهبية الحفصية شكل الدنانير الموحدية، حيث توجد ثلاث مربعات بداخلها كتابات مركز الوجه والظهر، ويحيط بالوجه والمركز من الوجه والظهر من الخارج دائرتان متوازيتان، الدائرة الخارجية من حبيبات متماسة والدائرة الداخلية تلامس أركان المربع الخارجي[7]، وينقسم الدينار الحفصي إلى أجزاء: نصف دينار، ربع دينار، ثمن دينار بالإضافة إلى الدينار[8]، الذي يبلغ وزنه4.72غرام[9].

وغالبا ما كانت الدنانير تنسب إلى الملك الذي يقوم بضربها، ومن ذلك الدينار الذهبي العثماني[10]، ويقول القلقشندي عند حديثه عن الدنانير الحفصية: "أما الدنانير فإنها تضرب باسم ملكهم...وذهبهم دون الذهب المصري في الجودة، فهو ينقص عنه في السعر"[11].

وقد بقيت العملة الذهبية الحفصية ثابتة وسليمة عبر جميع التقلبات التي عرفتها الدولة الحفصية، كما هو الشأن بالنسبة للدولة الزيانية والمرينية بفعل ذهب السودان[12] وتعرض الكثير من الباحثين لدراسة النقود المغربية بشكل عام والحفصية خاصة، محاولين استنباط ما تحويه من إشارات سياسية واقتصادية وحتى دينية.

2* الدرهم الحفصي:

الدراهم الفضية مربّعة الشكل تساوي ثلاثين منها أو اثنان وثلاثون منها دينارا واحدا[13]، ويزن الدرهم 1.5 غ[14]، وكانت بعضها مجزأة كالدرهم الذي ضرب في عهد السلطان أبي عمر عثمان (839-893هـ/1435-1488م)، حيث كان مجزأ إلى خمسة أسداس، إلى خروبة وهي أربعة أسداس الدرهم، وإلى نصف ناصري وهو ثلاثة أسداس، وإلى قفصي وهو القيراط، ويساوي سدس الدرهم[15].

وقد اختلفت الدراهم الحفصية فكانت أنواعا، منها ما يعرف بالقديم ومنها ما يعرف بالجديد، ووزنها واحد، غير أن الدرهم الجديد خالص الفضة، بينما القديم مغشوش بالنحاس[16]، فكانت كل عشرة دراهم قديمة بثمانية دراهم جديدة[17]، وتم تصحيح الدرهم الجديد أواسط القرن التاسع هجري(15م)[18] لما اعتراه هو أيضا من غش فظهرت عملة جديدة هي "النّاصري"، وكان يساوي ثلاثة أضعاف الدرهم الجديد وانقسم بدوره إلى أجزاء[19].

3* النقود النحاسية:

استحدث في ربيع الأول من سنة 660-661هـ/1262م التعامل بدراهم الخندوس[20] وهي فلوس من النحاس[21]، وذلك رفقا بالناس وتسهيلا للمعاملة، وكان ذلك تقليدا للمشارقة الذين يتعاملون بالفلوس، لكن سرعان ما تعرضت هذه الفلوس للفساد، فقطعت في أواسط شهر شوال661هـ/أوت 1262م [22].

لقد كانت العملات الحفصية التي أشرنا اليها منتشرة في مختلف المراكز التجارية التابعة لها كطرابلس، القيروان، المهدية، غير أن التعامل بها انحصر في الشمال ولم يصل إلى بلاد السودان.

من خلال استقراء دلالات العملة الحفصية نجدها تعبّر عن التطورات السياسية التي شهدها الحكم الحفصي، لكن الملاحظ أن السياسة النقدية الحفصية لم تأت بجديد في العالم الإسلامي، فيما يخص إصدار وتداول النقود.

ب- النقود الزيانية:

بعد قيام الدولة الزيانية 633هـ/1236م، شرع سلاطينها في سك النقود تجسيدا لمبدأ استقلاليتهم عن الدولة الموحدية، واستعان السلطان يغمراسن بن زيان (ح633-681هـ/1236-1283م)، وخلفاؤه بأسرة بني ملاح القادمة من قرطبة في سلك النقود.

1* الدينار الزياني:

كان دينار الدولة الزيانية يتراوح بين4.48 غ و4.99 غ، وطول قطره31مم و34مم[23]، ومن الدنانير التي ضربها الزيانيون الدينار الذي ينسب للسلطان أبي يحي يغمراسن (ح633-681هـ/1236-1283م)، والذي ضربه أثناء خضوعه للدولة الحفصية منذ سنة 640هـ، وهو يشبه النقود الذهبية الحفصية[24].

ومنها أيضا الدينار الذي يعود إلى السلطان أبي حمو موسى الأول (ح707-718هـ/1307-1318م) والذي يزن 4.66غ، طول قطره 32مم، رسمت في وجهيه دائرتان إحداهما بخط متصّل وأخرى منقّطة، ثم رسم مربعان.

وكان للدينار الزياني أجزاء كغيره، ومن ذلك نصف الدينار المضروب في عهد السلطان أبي العباس أحمد المعروف بالعاقل(ح834-866هـ/1430-1461م)، وزنه 2.22غ[25]، وعثر على ربع دينار مضروب في عهد السلطان أبي عبد الله محمد الثاني (ح804-813هـ/1401-1410م)[26].

2* الدرهم الزياني:

يبلغ وزن درهم الدولة الزيانية 1.5غ، ومن الدراهم الزيانية المحفوظة درهم على النمط الموحدي، مربع الشكل وبداخله مربعين متوازيين حول كتابات الوجه والظهر، والمربع الخارجي من حبيبات متماسة[27].

وبمقارنة بسيطة بين العملة الحفصية والزيانية، يتبين أن كلاهما استمرار للعملة الموحدية من حيث الخصائص: الشكل، الوزن...الخ، لكن هناك فروق طفيفة، فالدنانير الحفصية أقرب إلى النموذج الموحدي ذلك أن وزنها يبلغ حوالي4.75غ، أما الدينار الزياني فوزنه بين4.58 و4.66غ[28].

ج- النقود المرينية:

1* الدينار المريني:

كانت النقود الذهبية هي النقود الرئيسية المتداولة في عهد المرينيين، وضرب منها الدينار المضاعف، والدينار وأجزاؤه كالنصف والربع[29]، غير أن المرينيين غيّروا شكل الدينار من المربع إلى الدائرة، فأعادوه إلى شكله الأول قبل العصر الموحدي ولكنهم احتفظوا بوزنه وهو 4.729غرام[30]، وقد ينزل وزنه إلى 4.56 غرام[31]، ويساوي الدينار المريني 15درهما و400 حندوسا[32] وكان احتفاظ المرينيين بوزن الدينار على ما كان عليه أيام الموحدين من أجل استقرار قوة الدينار الشرائية، خاصة وأن القوة الشرائية في المغرب المريني كانت تعدل ثلاثة أضعافها بمصر[33].

كما نشير إلى الدنانير الخاصة التي كان السلاطين يضربونها من حين لآخر كهدايا، ونقود تذكارية.

2* الدرهم المريني:

ضرب المرينيون النقود الفضية، وفي كثير من الأحيان لم يسجلوا عليها أسماء الحكام، وأخذت مميزات الدراهم الموحدية حيث جاءت مربعة الشكل، وكانت هي الأخرى دراهم صغيرة ودراهم كبيرة وكل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار[34]، وللدرهم المريني أجزاء كالقيراط والفلس المربع...

وكان مثقال الذهب (أي الدينار) يساوي ستون درهما كبيرا[35]، وكان الدرهم الفضي بمصر يساوي ستة دراهم من دراهم المغرب، أي أن الأسعار بمصر بلغت ثلاثة أضعاف أسعار المغرب[36].

كما وجدت عملات أصغر من الدينار والدرهم لتسهيل عمليات البيع والشراء نظرا لوجود بعض السلع تباع بأقل من درهم أو دينار، أو بجزء منه.

لقد اتسعت رقعة التعامل النقدي في الأقطار الثلاثة التي كانت تعيش وضعا اقتصاديا بطابع تجاري، فكان الدينار يستخدم في المعاملات المهمة فيما يستعمل الدرهم والنقود الأخرى في المعاملات العادية[37]، بينما يَندر في بعض المناطق التعامل بالعملة المعدنية، ويتم الاعتماد على المعاوضة والتبادل، حيث يروي العبدري في رحلته أن أحد الحجاج ساوم رجلا من أهل برقة بجمل يعطيه به بكرا وزيادة دينارين، فقال له: "لا أُدخل خيمتي ما لم يدخل قط خيمة أبي ولا جدي"[38] غير أنه من خلال ما ذكره العبدري، فالرجل الذي يتحدث عنه يبدو من البدو، ذلك أنه يملك الإبل ويسكن الخيمة، وهو أمر طبيعي أن بعض البدو ربما لا يعرفون التعامل بالنقود.

أما التعامل مع بلاد السودان فقد كان يتم في غالب الأحيان بالمقايضة، حيث يتم استبدال الملح الذي يحمله المغاربة إلى بلاد السودان بالذهب[39]، كما تستخدم رقائق النحاس في التعامل بين الطرفين[40]، أما التجارة مع الشرق والبلاد الأوربية فقد كانت قائمة على العملة الذهبية، فعند دخول التجار المغاربة إلى هذه الأقطار يحملون العملة المغربية إلى دور الضرب فيها ويسكّونها لتعادل سكة البلد الذي يتاجرون معه[41].

2- غش العملة:

عرفت بلاد المغرب في فترات مختلفة من العصر الإسلامي ظاهرة غش وتزييف العملة، حيث اختلطت الدراهم بنسبة كبيرة من النحاس في مختلف مناطق إفريقية[42] كالقيروان والمهدية وغيرهما[43]، كما فسدت دراهم المرينيين منذ سنة 736هـ/1335م حينما اشتكى الناس من تفاقم ظاهرة زيف العملة للسلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني (ح732-752هـ/1331-1351م)[44]، وهو ما ينطبق على الدولة الزيانية، حيث كانت هذه الظاهرة ظاهرة عامة مسّت مختلف مناطق المغرب.

ومن مظاهر غش النقود في بلاد المغرب، أن تكون على ثلاث حالات:

* أن تكون غير خالصة، وتزيد فيها نسبة النحاس بكثرة.

* أن تكون مبهرجة، أي رديئة وفاسدة.

* أن تكون مقروضة، ناقصة من الوزن.

وكان غش العملة يرتبط خاصة بقوة وضعف الدولة، فعند ضعفها يكثر الغش، وترتبك المعاملات وتندر المسكوكات الرسمية، وتظهر بعض النقود المزورة والمقصوصة الأطراف، ومن تقنيات الغش الذكية حشو حبات الشعير التي تستعمل في وزن النقود بقطع دقيقة من الحديد حتى يزيد وزنها، ومن الطرق التي كان يعرف بها هل الدينار خالص أم مغشوش وضعه بين الأسنان فإن كان ذهبه ليّنا فهو خالص، وإن كان صلبا فهو مغشوش[45].

ونتيجة تداول الدراهم المغشوشة حدثت الكثير من النزاعات في عمليات البيع والشراء[46]، كما ارتاب الناس في زكاة النقود الفاسدة والمغشوشة[47]، وبما أن النقد من أسس النشاط التجاري والاقتصادي عموما فإن سلامته كانت أمرا ضروريا للمعاملات التي تتم به، لذلك يقول علي بن يوسف الحكيم: "وإذا استقامت السكة استقر نصاب الزكاة وتقادير المعاوضات والتبرعات، وقيم المستهلكات، وارتفعت الخصومات"[48].

لهذا دعا الفقهاء للتصدي لظاهرة الغش في النقود ومعاقبة المزيّفين، حيث يطاف بهم في الأسواق نكالا فيهم، وردعا لغيرهم[49]، ثم يطهّر السوق من هذه الدراهم والدنانير[50]، وأفتى ابن عرفة بأن كل من ضرب دراهم ودنانير مزيفة يسجن إلى الموت، وترفض الشفاعة للصفح عنه[51].

وكان أغلب المشتغلين بالصرف وحتى سك النقود من اليهود -كما ذكرنا سابقا-، وقد اشتهروا بحيلهم في غش العملة، لذلك منعهم السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني (ح732-752هـ/1331-1351م) من الاشتغال بالصياغة والصرف في سنة 736هـ/1336م، وذلك بعد أن انتشرت العملات المزيفة، غير أنهم عادوا لمهنتهم، وعاد معهم الفساد في الدنانير والدراهم[52].

واهتم سلاطين دول المغرب بالسكة وعملوا على تحقيقها كما فعل أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (ح656-685هـ/1258-1286م) الذي وجد عملة متداولة مضروبة من طرف اليهود، ولم يكن عليها شعار الدولة ولا مكان الضرب، إضافة إلى نقصان وزنها وزيف معدنها[53].

وقد يؤدي انتشار العملة المزيفة إلى ثورة الناس مثلما حدث في افريقية سنة 660هـ/1262م حيث هاج السكان عندما غرقت البلاد بالعملة المزورة بالنحاس، فتخلت عنها السلطة، وقطعت العمل بها[54].

كما شهدت سنة 770هـ/1368م رواجا كبيرا للسكة المغشوشة، فأراد السلطان الحفصي منع التعامل بها، غير أن الشيخ أبو القاسم الغبريني (ت722هـ) نصحه بعدم قطعها لأنها أصبحت متعارفا عليها، وإذا ما قطعت ستتلف رؤوس أموال الناس، لكن تفاقم الظاهرة أكثر جعل السلطان يقرر قطعها[55].

إلا أن عمليات الإصلاح هذه لم تمس الدنانير الذهبية، ذلك أن دنانير الممالك الإسلامية المنبثقة عن الدولة الموحدية بقيت عملة جيدة الصنع ومرتفعة العيار في عمومها[56].

3- دار السكة:

دار السكة هي المكان التي تضرب فيه النقود، يشرف عليها أمين السكة الذي يتولى سك النقود ومراقبة صياغة الحلي، ويساعده في ذلك العدول والكتّاب والمعاونون، ويسمى متولّي إدارة السكة بناظر دار السكة.

ويعدد علي بن يوسف الحكيم الذي كان أمين دار السكة بفاس على عهد السلطان يوسف (ح685-706هـ/1286-1306م) بعض الشروط والأوصاف المعتبرة في ناظر السكة كالأمانة والخبرة في هذه المهنة والنزاهة والديانة، وتمييز النقود والمعادن وما يصلحها وما يفسدها، وأسباب تزييفها وما يزيله، حيث يقول: "وإذا دخل فيها من ليس من أهلها ولا عد من رجالها، لاسيما مع إهمال دقائقها والإغفال عن وجودها، والبحث في حقائقها عادت بالخسران وعدم الرجحان، وتعطّل فاديها، وقلّ عاديها"[57].

وبما أن دور ضرب النقود في بلاد المغرب خاصة في الدولة المرينية اشتهرت بتوظيف أهل الذمة من اليهود، فقد زادت أعمال الغش والتزوير للعملة.

ومن أشهر دور الضرب في بلاد المغرب دار السكة بفاس الجديدة التي بناها يعقوب بن عبد الحق (ح 656-685هـ/1258-1286م) سنة674هـ/1276م، والتي يقيم بها المشرف عليها[58]، وتتكون دار السكة بفاس من بناية تحيط بساحة مربعة، بها حجرات صغيرة يشتغل بها العمال، وفي وسط الساحة مكتب يعمل فيه مدير السكة والمحاسبين والكتّاب[59]، وقد انتشرت دور السكة بكل من بجاية، تونس، قسنطينة، طرابلس، مراكش وتلمسان، وسجلماسة وسبتة ومكناس، والجزائر، وأزمور[60].

ولم يقتصر امتلاك دور السكة على الدولة فقط، بل كان هناك بعض الخواص يعملون في مجال سك النقود، ويشير الوزان إلى امتلاك اليهود لدار سك النقود بتدنست، وهي إحدى مدن حاحا من أقاليم مراكش، حيث يقومون بضرب النقود الفضية للناس[61]، ولم يكتف اليهود بالنشاط في مجال سك النقود، داخل بلاد المغرب فحسب، فإحدى التجار اليهود كان يصنع نقودا ذهبية تحاكي النقود الإسلامية في مارسيليا، وذلك لبيعها في تلمسان وبجاية كنقود مزورة[62].

4- صرف النقود:

كانت التعاملات التجارية في بلاد المغرب تعتمد على سكك مختلفة ومتعددة، وكان تجار بلاد المغرب في هذه الفترة إضافة إلى تعاملهم بالنقود المحلية يتعاملون بالنقود الأخرى، لأن العملة المغربية لم تكن موحدة، مما ينجم عنه اختلاف نسبة الدرهم إلى الدينار حسب مكان ضرب الدرهم ونوع الدينار.

ومن المسائل التي اختلف فيها الفقهاء في موضوع الصرف قضية التعامل بأجزاء الدينار والدرهم، حيث أجازوا ذلك للضرورة فقط[63].

وبما أن العملات المتداولة كانت تختلف من حيث الجودة، والصرّافون وحدهم كانوا على معرفة بعيارها ووزنها، مما جعلهم يستغلون جهل البعض، فيبيعون العملة مراطلة رغم اختلاف نسب المعادن فيها كأن تكون نسبة الذهب أو الفضة في بعضها أكبر مما في غيرها، ونفس الشيء إذا تغيرت السكة أو بدّلت[64]، حيث كانت العملات تراطل وتبادل بالوزن، كما كانت تباع بالعدد، وكانت أغلب هذه المعاملات تؤدي إلى الربا، كما أن صرف الدينار بأجزائه من نفس السكة من دون مراطلة اعتمادا على وزن دار السكة لا يجوز لاحتمال النقص منها، لذلك كان التجار يهتمون في حالة البيع إلى أجل بتحديد نوع العملة وصرفها يوم عقد الصفقة، وفي حالة تعدد السكك يسمّون السكة التي تمت بها المعاملة.

وكانت الصيرفة مهنة اليهود بدون منازع، حيث كانت لهم حوانيت خاصة بتبديل العملة في القيروان، غير أن الصيارفة اليهود غلب على معاملاتهم الفساد والربا، فاليهود يحللون الربا مع غيرهم، وذلك رغم الشروط التي كان يفترض أن تتوفر في الصيرفي في المجتمع الإسلامي من معرفة بأحكام الشرع الإسلامي في هذه الجوانب[65]، لهذا منع في وقت سابق أهل الذمة من الاشتغال بصرف النقود، ولم توكل المهمة إلا لمن وثق من المسلمين، وقد قال عمر رضي الله عنه: "لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا في الدين"، وكان دخول أهل الذمة مجال الصياغة والصرف لما اقتضته حاجة الأمراء من الأبّهة والمصوغات الفاخرة، وبما أن أهل الذمة اشتهروا بإبداعهم في هذه الصنائع، فإنهم دخلوا مجال الصرف من هذا الباب[66].

وللحد من تصرفات الصيارفة المنافية للشرع الإسلامي، اقترح كل من ابن عبدون والعبدري منع تداول النقود الأجنبية ببلاد المغرب، ولكن هذا المقترح يحول دون ازدهار الأسواق وانتعاش المبادلات، لذلك لم يجد هؤلاء الفقهاء صدى لمقترحاتهم.

لقد كانت بلاد المغرب خلال فترة الدراسة تعيش فوضى نقدية في مجال الصرف، حيث شهد هذا القطاع حالة عدم استقرار تبعا للظروف السياسية السائدة.

5- النظام المصرفي:

الحديث عن النظام المصرفي يوجهنا إلى جماعة الصرّافين المستقرين بسوق الصرف، والذين يقومون بصرف النقود وبيع المعادن الثمينة، وامتد نشاطهم إلى القروض والرهن والحوالة ومن الواضح أن النظام المصرفي في بلاد المغرب آنذاك لم يبلغ ما وصله نظيره الأوربي من تطور[67].

وقد اشتغل في هذا النظام الكثير من أهل الذمة خاصة اليهود، وتوظف الخدمات المصرفية في العلاقات التجارية الخارجية خاصة[68].

ومما يبين وجود المصارف في بلاد المغرب خلال الفترة الممتدة بين القرنين 07-09هـ/13-15م الإشارة إلى وجود مخازن للأموال في عهد أبي الحسن وأبي عنان المريني، ورغم عدم معرفتنا بطرق عمل هذه المصارف ودرجة صلتها بقطاع المبادلات وتطورها، إلا أن المؤكد أن رسائل الضمان والشركات كانت قد استخدمت من قبل اليهود والنصارى المتاجرين مع الغرب الإسلامي[69]، ومن الخدمات التي تقدمها المصارف في بلاد المغرب الإسلامي نظام الصك والحوالة.

ومصطلح "Cheque" هو الأصل العربي لكلمة الصك، والصكوك معروفة في بلاد المغرب منذ وقت مبكر، فالمصادر تشير إلى وجودها منذ القرن04هـ/10م[70]، ويعتقد أن الصك كان يحمل البسملة ويذكر فيه اسم الطرفين: حامله ومقدّمه وشهود عدل، ولا يستبعد أن يؤرّخ له بالدقة، أما الحوالة [71] فهي مأخوذة من التحول من شيء إلى شيء، يحول من طلبه على غريم إلى غريم غريمه، وحقيقتها في الشرع: نقل الدّين إلى ذمة لتبرأ بها الأولى[72].

وكان تجار الكتان والعطارين والزيّاتين وغيرهم يدفعون أموالهم إلى الصيارفة ويكتبونها عليهم، ويحيلون بها عليهم من يشترون منه[73]، ويقوم الصرافون بذلك مقابل خصم جزء من المبلغ المحول مقابل صرفهم، ولا بد أن يكونوا على دراية واسعة بأسعار صرف العملات وتغيّراتها.

ويشير صاحب الدرر المكنونة إلى استعمال هذه التقنية في بلاد المغرب في إحدى نوازله، عندما اشترى شخص بقرة وأحال البائع لقبض الثمن من غريمه[74]، ورغم أن الغريم لم يحدّد هل هو صيرفي أم لا، إلا أن هذه الطريقة هي نفسها تقنية الحوالة.

فالتعامل في المبادلات التجارية بالحوالة على الصيارفة كان واسعا، غير أن الفقهاء كثيرا ما كانوا يصدرون بعض الفتاوى والأحكام التي تخص هذا النوع من التعامل ذلك أن أغلب الصيارفة أموالهم مكتسبة من الربا[75]، حيث سيطر اليهود على هذا القطاع، لذا اختلف الفقهاء في التعامل مع الصيارفة الذين عرفوا بالمراباة، فمنهم من أجاز ومنهم من نهى عن ذلك[76].

كما أن هناك أسباب أخرى جعلت بعض الفقهاء ينهون عن التعامل بالحوالة ذلك أن التجار كانوا يدفعون للصيارفة الدراهم ويأخذون بدلا منها الدنانير ولا يتعجلون، ثم يشترون من الباعة ويحيلونهم على الصيارفة، وهو ما لا يجوز لوجوب تماثل الحقّين في الجنس والقدر والحلول والتأجيل والجودة والرداءة، فلا تصح الحوالة إذا كان الدين ذهبا وأحاله ليأخذه ذهبا أو أحاله ليأخذ بدله فضة[77].

وكان تردد بعض الفقهاء في إصدار المنع القاطع على التعامل بالحوالة يرجع إلى كون أغلب المتعاملين بها من الفقراء، فهذا النوع من الفتاوى راعى مصالح التجار الصغار، الذين قد تتعطل مصالحهم، أو تضيع أموالهم[78].

خاتمة:

أمكننا البحث في موضوع السكة والنظام المصرفي بالمغرب الإسلامي في دول ما بعد الموحدين (ق07-09هـ/13-15م)، من تسجيل بعض النتائج، نذكر منها:

* أخذت نقود دويلات المغرب بدنانيرها ودراهمها الكثير من مميّزات النقود الموحدية خاصة من حيث الشكل، لأن هذه الدويلات هي وريثة الدولة الموحدية، ويرجع اهتمام هذه الدويلات بالنقود لأهميتها كوسيلة أساسية في التعاملات الاقتصادية، رغم ذلك لم تشهد العملية النقدية أي تحديث وانحصرت جهود السُّلط المغربية في عمليات الإصلاح النقدي دون التفكير في استحداث تقنيات نظم نقدية جديدة.

*كانت بلاد المغرب مفتوحة اقتصاديا على دول وممالك أوروبا جنوب المتوسط وبلاد السودان والمشرق الإسلامي، مما سمح بدخول النقود الأجنبية فضلا عن نقود دويلات المغرب باختلاف عيارها ووزنها، وهو ما طرح إشكالية في عملية الصرف التي تولاها في الأغلب الصيارفة اليهود الذين لعبوا دورا بارزا في المجال المالي ببلاد المغرب، وكان تدخل بعض الفقهاء في هذه المسألة يؤشر بسلبية تعاملهم مع الوضع النقدي، حيث حاولوا معالجة الأمر بالدعوة لمنع تداول النقود الأجنبية، وهو ما يؤثر سلبا على العملية التجارية والعلاقات الاقتصادية وحركة الصادرات والواردات، وبذلك يمكن القول بأن بلاد المغرب كانت تعيش فوضى نقدية في مجال الصرف بين القرنين (07-09هـ/13-15م).

* ارتبطت ظاهرة الغش في العملة بوضع السُّلط قوةً وضعفًا، فمتى كانت السلطة السياسية قوية هذه الظاهرة، ومتى مرّت الدولة بفترات الضعف والحروب والحصار صعب عليها التحكم في النقود المتداولة، وقد تعددت أشكال غش العملة بتعدد التقنيات المستعملة، ونتيجة الآثار الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن تراجع قيمة العملة ومصداقيتها حاول بعض السلاطين إصلاح النظام النقدي ومحاربة الغش، بالاستعانة بجهاز الحسبة ونشاط المحتسبين، وبذلك فقد تحالفت السُّلط والمحتسبون والفقهاء في مواجهة ظاهرة تزوير العملة.

* رغم ثبوت التعامل ببعض الأنظمة المصرفية كالحوالة والصك في بلاد المغرب خلال الفترة قيد الدراسة، إلا أن توظيف هذه التقنيات بقي محصورا في فئات معينة، كما أنها لم تصل إلى المستوى الذي بلغته الصيرفة الأوربية تقنية وانتشارا.

* وتعتبر دار السكة الجهة المسؤولة عن حركة النقد، حيث تشرف على سك النقود ومراقبتها، ويسيرها طاقم متخصص، ورغم أن الدولة كانت ترى في القطاع المالي قطاعا استراتيجيا، إلا أن ذلك لم يمنع من امتلاك الخواص لدور السكة.

* لقد خاض فقهاء المالكية المغاربة في الكثير من القضايا المتعلقة بالعملة والنظام المصرفي وحاولوا إخضاعها للأحكام الشرعية، لكن في المقابل لم تكن الدولة منساقة وراء كل الفتاوى التي يصدرها الفقهاء بخصوص بعض التعاملات التجارية، حيث تعاملت السُّلط المغربية في بعض فتراتها مع الفتاوى الاقتصادية ببراغماتية، فهي ترحب بما يخدمها ويضمن استقرارها وزيادة مداخيلها، بينما تعرض عن الفتاوى التي يمكن أن تمس بمداخيل الدولة، كما أن المتعاملين الاقتصاديين باختلاف استثماراتهم وحتى صغار التجار حاولوا التحايل على الموانع الدينية.

الملاحق:

الملحق رقم01: نماذج لنقود بلاد المغرب ما بعد الموحّدين.

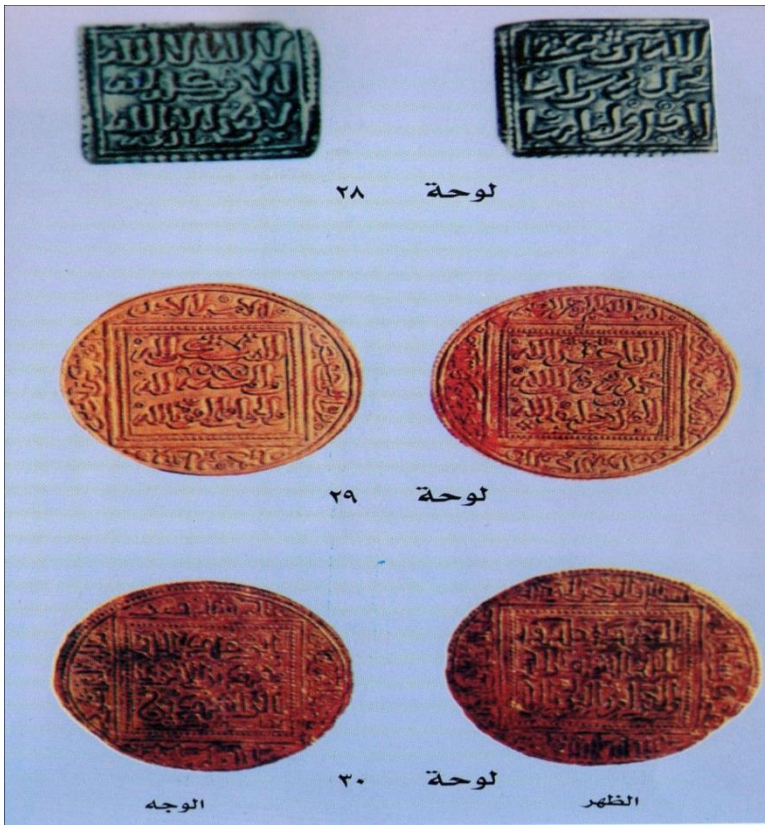

نقلا عن: رأفت النبراوي: النقود الإسلامية، ص390.

.

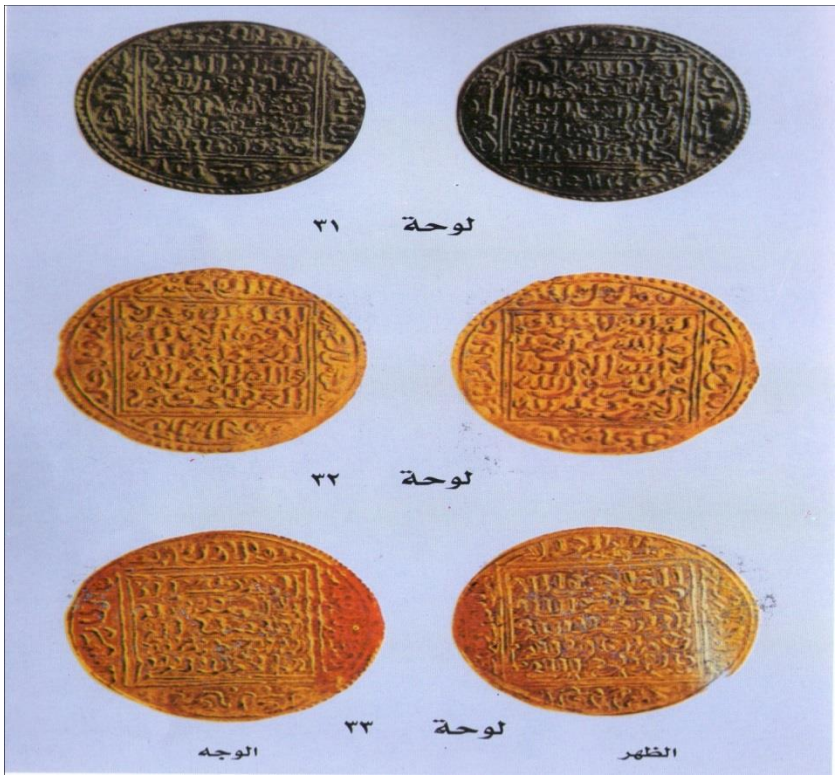

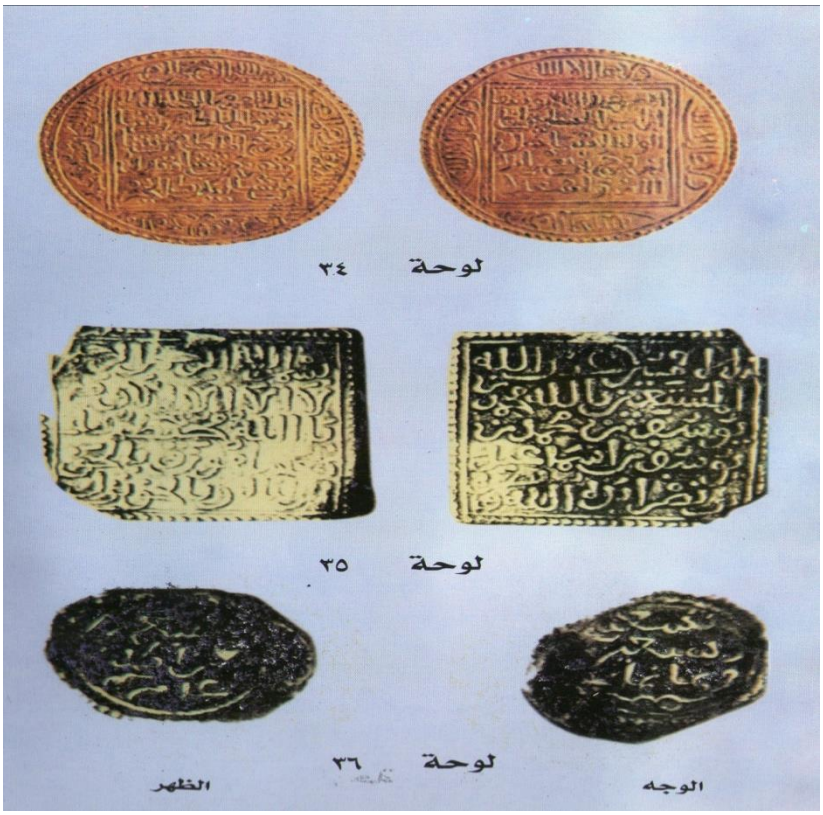

نقلا عن: رأفت النبراوي: النقود الاسلامية، ص391-392.

الملحق رقم02: **أوزان وأبعاد الدنانير الذهبية وأجزائها لدول ما بعد الموحّدين:**

58 قطعة حفصية	44دينار، 11نصف دينار، 2ربع دينار، ثمن دينار	25 قطعة مرينية	32قطعة عبد وادية (18دينار،3أنصاف دينار، 9أرباع دينار، وقطعتان 1/8دينار)	
الوزن	البعد بالديامتر	الوزن	الوزن	البعد بالديامتر
29مم	**29مم**	**4.73غ**	**4.95غ**	**30مم**
31	**28**	**4.71**	**4.66**	**32**
31	**30**	**4.65**	**4.65**	**32**
31	**27**	**4.65**	**4.65**	**30**
28	**26**	**4.64**	**4.65**	**30**
30	**27**	**4.63**	**4.65**	**30**
30	**25**	**4.62**	**4.65**	**30**
32	**24**	**4.60**	**4.63**	**30**
30	**17**	**4.60**	**4.62**	**31**
30	**29**	**4.60**	**4.62**	**29**
28	**26**	**4.60**	**4.58**	**32**
28	**26**	**4.60**	**4.58**	**32**
28	**25**	**4.60**	**4.55**	**30**
30	**25**	**4.58**	**4.50**	**30**
31	**25**	**4.56**	**4.48**	**34**
28	**؟**	**4.55**	**4.45**	**29**
27	**28**	**4.52**	**4.44**	**29**
33	**17**	**4.35**	**2.30**	**22**
32	**16**	**4.31**	**2.26**	**25**
24				

22	31	2.36	2.22	25
22	30	2.36		
23	28	2.30	1.15	17
22	28	2.25	1.15	16
	26	2.08	1.15	16
	26		1.15	15
	23		1.14	15
	28		1.13	16
	16		1.10	20
	15		1.05	20
	28		1.05	14
	28		0.56	8
	28		0.52	6
	28			
	27			
	28			
	28			
	25			
	18			
	26			
	29			
	27			
	34			
	28			
	13			
	26			
	24			

			21	
			24	
			24	
			21	
			34	
			22	
			26	
			25	
			16	
			25	
			15	
			16	
			13	
			13	
			9	

المرجع بتصرف:

Atallah dhina: les états de l'occident musulman aux 13,14 et 15 siècles p212-214.

الهوامش:

[1]) عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، ط01، بيروت، لبنان، 1431هـ/2000م، ص323.

[2]) **بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص227.**

[3]) نظرا للأهمية القصوى للذهب والفضة منذ القديم، قال بعض الحكام: "الذهب والفضة يوديان-يوريان أو يقدمان- العجزان، ويؤتيان الكسلان، وبهما يصلح الملك وينتظم السلك، فلا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا برعية، ولا رعية إلا بعدل، ولا عدل إلا بسلطان"؛ أنظر: أبي الحسن الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السّكة، تقديم: حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، إسبانيا، مج06، 1958م، ص19.

[4]) يذكر ابن خلدون أن تعامل العرب بالنقود الأعجمية كان يتم بالميزان؛ أنظر: المقدمة، ص323.

[5]) عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ص323-324.

[6]) بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص227، أنظر شكل نقود دويلات ما بعد الموحدين من خلال الملحق رقم 01، وعن أوزان وأبعاد دنانير دول ما بعد الموحّدين وأجزائها، عد إلى الملحق رقم02.

[7]) رأفت محمد النبراوي: النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، ط01، القاهرة، 2000م، ص303-304.

8) dhina: les états de l'occident musulman aux 13,14 et 15 siècles institutions, Attallah gouvernementales et administratives, office des publications universitaires, alger, p208.

[9]) روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13الى نهاية القرن15م ، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، لبنان، 1988م، ج02، ص73.

[10]) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إخراج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط،1401هـ/ 1981م، ج10، ص383؛ وهي تنسب للسلطان عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس الحفصي، الذي بويع في تونس سنة839هـ/1435-1436م، وحكم أكثر من نصف قرن، تميز عهده بالإصلاح والأمن والاستقرار؛ كمال السيد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص77.

[11]) القلقشندي: صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1333هـ/1915م، ج05، ص114.

[12]) روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج02، ص278؛ للمزيد من التفاصيل حول الدنانير الحفصية يرجى العودة إلى رأفت النبراوي: المرجع السابق، ص290-303؛ وطاهر راغب: قراءة لعملات الحفصيين الأولى دراسة نمية تاريخية لبيان تاريخ السك أو مكانه، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، اسبانيا، مج 22، 1983/1984م، ص117-126، وهي دراسة قيّمة في هذا الجانب.

[13]) الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط02، بيروت، لبنان، 1983م، ج02، ص81، (يقصد الوزان الدراهم الجديدة).

[14]) روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج02، ص73.

[15]) علي حامد خليفة الطيف: المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط01، طرابلس، ليبيا، 2003م، ص114، يذكر عبد الباسط بن خليل المصري أن ستة ناصرية فضية تساوي ربع دينار في تونس؛ أنظر: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1414هـ/1994م، ص28.

[16]) ابن فضل العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفي هزايمة، يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات العربية المتحدة، 2001م، ج04، ص87.

[17]) القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص114.

[18]) كان ذلك في عهد السلطان عثمان الكبير(839-894هـ/1435-1488م)؛ المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة الأسعار والمداخيل، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ص34.

[19]) محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 06إلى09هـ/12إلى15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1999م، ص293-294.

[20]) ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص67.

[21]) أبو عبد الله الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط02، تونس، 1966م، ص38.

[22]) ابن الشماع: المصدر السابق، ص67.

[23]) خالد بلعربي: الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر 2009، ص34، "...كل دينار زنة مثقال"؛ عبد الباسط بن خليل: المصدر السابق، ص47.

[24]) رأفت محمد النبراوي: المرجع السابق، ص314.

[25]) بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص228-232.

[26]) الحاج محمد شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص353.

[27]) رأفت محمد النبراوي: المرجع السابق، ص327.

[28]) المنور مروش: المرجع السابق، ص33.

[29]) رأفت محمد النبراوي: المرجع السابق، ص334.

[30]) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني(610هـ/1213م) (869هـ/1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط01، الكويت، 1405هـ/1985م، ص298.

[31]) محمد فتحة: المرجع السابق، ص293.

[32]) الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1986م، ص264.

[3]3) محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص298.

[3]4) ابن فضل العمري: المصدر السابق، ج04، ص120.

[3]5) محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص298.

[3]6) الحسن السائح: المرجع السابق، ص265.

[3]7) المنور مروش: المرجع السابق، ص27.

[3]8) أبي عبد الله العبدري: المدخل، دار التراث، القاهرة، مصر، د ت، ص204.

[39]) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، لبنان 1412هـ/1992م، ص673-674.

[40]) علي حامد خليفة: المرجع السابق، ص117.

[41]) عزالدين عمرو موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، ط02، بيروت، لبنان، 2003م، ص303.

[42]) البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (فتاوى البرزلي)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، 2002م، ج03، ص154-155.

[43]) الونشريسي: المصدر السابق، ج06، ص74-75.

[44]) أبي الحسن الحكيم: المصدر السابق، ص116-117.

[45]) يحي بن عمر: أحكام السوق، تحقيق: محمود علي مكي، مكتبة الثقافة الدينية، ط01، القاهرة، مصر، 1424هـ/2004م، ص80.

[46]) أبي عبد الله العبدري: المصدر السابق، ص50.

[47]) الونشريسي: المصدر السابق، ج01، ص389.

[48]) علي بن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص114.

[49]) العقباني: كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي،

Extrait du bulletin d'études orientales de l'institut français de damas. tome 19، 1967، ص104.

[50]) المجليدي: كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970م، ص83.

[51]) الونشريسي: المصدر السابق، ج02، ص414؛ البرزلي: المصدر السابق، ج03، ص151.

[5]2) علي بن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص116-118.

[53]) عطا محمد علي: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة ودار الشفيق، ط01، دمشق، سورية، 1999، ص180.

[54]) روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج01، ص78.

[55]) البرزلي: المصدر السابق، ج03، ص154-155؛ أنظر أيضا: الونشريسي: المصدر السابق، ج06، ص74-75.

[56]) روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج02، ص74.

[57]) علي بن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص50-51.

[58]) مارمول كاربخال: افريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعارف، الرباط، المغرب، 1408-1409هـ/1988-1989م، ج02، ص157.

[59]) الوزان: المصدر السابق، ج01، ص283.

[60]) أزمور بلد بالمغرب في جبال البربر، تقع على شاطئ المحيط الأطلسي، كان بها دار ضرب موحدية استمرت في العمل بعد سقوط الموحدين؛ أنظر: عبد النبي محمد: المرجع السابق، ص58.

[61]) الوزان: المصدر السابق، ج01، ص99.

[62]) خالد بلعربي: المرجع السابق، ص35.

[63]) المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004، ج02، ص697-699؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج06، ص43-42، 79، 195-196، 220-221.

[64]) هناك العديد من الفتاوى تشير إلى قضية مراطلة النقود؛ أنظر: الونشريسي: المصدر نفسه، ج05، ص46، 78، 189-194، ج06، 44-45، 75- 76، 107-108، 229-230، 441، 448؛ البرزلي: المصدر السابق، ص320، ابن رشد القرطبي المالكي: فتاوى ابن رشد، تحقيق: المختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ج01، ص540-542، المازوني: المصدر السابق، ج02، ص698، كما تعرضت فتاوى أخرى لحكم مراطلة الدراهم الناقصة بالوزانة، وحكم التعامل بالدراهم الناقصة؛ أنظر: المازوني: المصدر نفسه، ج02، ص717-718، 724، الونشريسي: المصدر السابق، ج05، ص56-57، 223، ج06، ص46، 192-193.

[65]) مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومه، ط01، الجزائر، 2000م، ص150-151، ارتقى بعض الصيارفة اليهود في بلاد المغرب الاسلامي أواخر عهد المرينيين إلى مناصب سياسية مرموقة حيث تولى بعضهم الوزارة، مما أدى إلى تسلط وتطاول اليهود؛ عبد الباسط بن خليل: المصدر السابق، ص50.

[66]) أبي الحسن الحكيم: المصدر السابق، ص112.

[67]) نشأة المصارف بأوروبا كانت بداعي صرف وتبديل العملات التي كانت تسك باسم الأمراء الإقطاعيين، ثم ظهرت في إيطاليا الحوالات وبعدها نظام الدفع بالشيكات منذ القرن الثاني عشر ميلادي، ثم توسع نشاطهم إلى إقراض المال بفائدة، وعرف اليهود بسيطرتهم على هذا القطاع بأوروبا، لأن المسيحية تنهى عن أكل الربا؛ أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1959، ص120-121.

[68]) روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج02، ص258-259.

[69]) محمد فتحة: المرجع السابق، ص302-303.

[70]) صالح بن قربة: انتشار المسكوكات المغربية وأثرها في تجارة الغرب المسيحي في القرون الوسطى، ضمن ندوة: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط01، الرباط، 1995م، ص190.

[71]) الحوالة مأخوذة من التحويل بمعنى الانتقال، والمقصود: نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه، وهي أن يعطي تاجر مالا لمن له مال بالبلد الذي يسافر إليه بأسعار صرف ذلك البلد؛ عطا محمد علي: المرجع السابق، ص178.

[72]) البرزلي: المصدر السابق، ج04، ص464.

[73]) المازري: فتاوى المازري، تحقيق: الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس،1994، ص205؛ الونشريسي: المصدر السابق، ج06، ص315-317.

[74]) المازوني: المصدر السابق، ج03، ص51.

[75]) المازري: المصدر السابق، ص205.

[76]) الونشريسي: المصدر السابق، ج06، ص315-317؛ المازري: المصدر السابق، ص205-207.

[77]) عطا محمد علي: المرجع السابق، ص178.

[78]) محمد فتحة: المرجع السابق، ص304-305، يشير عديد الباحثين إلى دور الموانع الشرعية في إضعاف النشاط التجاري، من خلال الحيلولة دون تطور الرأسمالية التجارية- والتقنيات التجارية كالحوالة والصك إحدى المجالات التي خاضت فيها الأحكام والفتاوى الشرعية-، غير أن بعض الباحثين أمثال محمد فتحة يعارضون مثل هذا الرأي، ويرجعون الأسباب الحقيقية في ذلك إلى:

* القطيعة بين رأس المال والعمل، وذلك بعدم استثمار الأموال الناجمة عن النشاط التجاري في مشاريع انتاجية أخرى.

* ممارسة النشاط التجاري من قبل غالبية الناس، وبالتالي ضعف حجم الأموال الموظفة في النشاط التجاري.

* ظروف الانتاج الفلاحي والصناعي، كعدم تحقيق فائض الانتاج بشكل منتظم، والاعتماد على التقنيات والوسائل التقليدية.

* **الضعف الذي شهده بلاد المغرب مقابل نهضة أوربا؛ أنظر: محمد فتحة: المرجع نفسه، ص329-331.**

موقف مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بمنطقة الأوراس من أزمة الحزب وتداعياتها من خلال الوثائق الأرشيفية والشهادات

د.ليلى تيتة

جامعة باتنة 1

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

مثلت أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية وقد أدت في النهاية إلى التعجيل باندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954. سنحاول من خلال هذا المقال التعرف على واقع التعامل مع الأزمة بمنطقة الأوراس وتأثيرات ذلك محاولين استنطاق بعض الوثائق الأرشيفية والشهادات الحية من كتابات المناضلين الفاعلين بالمنطقة خلال تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية: حركة انتصار الحريات الديمقراطية، الأزمة، الاوراس، بن بولعيد، شيحاني بشير.

Résumé:

La crise du mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques représentait un tournant dans l'histoire du mouvement national ce qui a finalement conduit à l'accélération de l'éclatement de la révolution algérienne le 01 Novembre 1954. Nous allons essayer à travers cet article de reconnaître la répercussion de cette crise dans la région de l'Aurès a travers certains documents archivistiques et les écrits de certains militants acteurs dans la région pendant cette période.

1- نظرة عامة حول منطقة الأوراس:

تقع منطقة الأوراس في الشرق الجزائري، وقد أطلق اسم الأوراس في الجزائر المستعمرة على مجموعة من الجبال الممتدة من جبال بوطالب والحضنة الشرقية غربا إلى حدود تبسة شرقا، ومن وراء بسكرة جنوبا حتى حدود قسنطينة شمالا. مثلت هذه المنطقة كتلة جبلية ذات تضاريس مختلفة ومتنوعة ومعقدة عبارة عن همزة وصل بين الأطلس التلي و الصحراوي، وشكلت في وصفها الطبيعي شكلا رباعيا يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب حوالي 100 كلم ومن الشرق إلى الغرب حوالي 80 كلم[1].

قسمت منطقة الأوراس إلى ثلاث أقسام هامة حسب طبيعتها الجغرافية والبشرية وهي[2]:

الأوراس الشرقي: ويتألف من غابة بني ملول، إضافة إلى غابة كيمل وجبل عيدل وتترك هذه الجبال والمرتفعات فيما بينها سهولا وأحواضا ومنخفضات مثل منخفض غوفي والقنطرة وقمم تاغيت.

الأوراس الغربي: ويتشكل على مستوى جبال وستيلي، أولاد سلطان، جبل الشلعلع، مستاوة، أولاد سلام، أولاد علي بوطالب، تخترق هذه الجبال مجموعة من السهول منها سهل بلزمة وزانة. وهي من أكثر المناطق خصوبة ومردودية ونظرا لأهميتها فقد قام المستعمر الفرنسي بالإستلاء عليها وبنى بها مراكز استطانية وطرد سكانها إلى المرتفعات المقابلة مثل مروانة، راس لعيون، راس الماء، سريانة...

الأوراس الأوسط: وهو المنطقة المحصورة بين باتنة وخنشلة شمالا وخنشلة وزريبة الوادي شرقا وزريبة الوادي وبسكرة جنوبا وباتنة وبسكرة غربا، وهي منطقة تشتمل على مجاري أودية ضيقة، وبها قمة شلية وكاف المحمل وكتلة جبل أحمر خدو...

خضعت منطقة الأوراس للإستعمار الفرنسي كغيرها من مناطق الجزائر، وقد كانت بداياته بعدما تم الإستلاء على عاصمة بايلك الشرق قسنطينة سنة 1937 وتوجه أحمد باي ومن معه إلى بسكرة[3]. في ظل هذه الظروف، شنت فرنسا حملات عسكرية على المنطقة استهدفت بالدرجة الاولى القضاء على مقاومة أحمد باي وقد كان لها دور آخر تمثل أساسا في اكتشاف الأوراس والتوغل فيه بداية من 1844 حيث وصلت القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال في 04 فيفري 1844

إلى باتنة، ومنها انطلقت بعد ذلك عدة كتائب إلى باقي مناطق الأوراس بهدف إخضاعه بين نجاح وفشل إلى أن تم ذلك بصورة شبه نهائية سنة 1847[4].

خضعت منطقة الأوراس منذ 22 جوان 1844 إلى 01 فيفري 1847 إلى القيادة العليا العسكرية في تلك الفترة، وقد كان تسيير المنطقة من صلاحيات مكتب الشؤون العربية لمقاطعة قسنطينة في البداية ذلك أن مكتب الشؤون العربية في باتنة لم ينشأ إلا في ديسمبر 1847. حاولت مؤسسة المكاتب العربية منذ نشأتها ترسيم نظام إداري جديد حيث تم تقسيم القبائل إلى مجموعة من القيادات تضم كل قيادة مجموعة من القبائل والعشائر، وكان يرأس كل قيادة قائد اهلي وكل قبيلة او عشيرة شيخ مهمة مكتب الشؤون العربية قيادته وتوجيهه إلى ما فيه خدمة للمستعمر[5] .

تعاقب على قيادة مقاطعة باتنة سنة 1848 قائدان هما الكولونيل كون روبير خلال السداسي الأول للسنة والجنرال دي أدميرولت خلال السداسي الثاني، ثم آلت نيابة المقاطعة إلى الكولونيل كاريبسيا من 1849 إلى 1851 ثم إلى الجنرال ديسفو من 1853 إلى 1858 ثم الكولونيل بين من 1861 إلى 1863، ثم الكولونيل سيروكا من 1863 إلى 1865، والكولونيل أرمندوا من 1965 إلى 1868 وأخيرا الجنرال باري إلى غاية انتفاضة 1871 [6]. أما تقسيمات عشائر وقبائل دائرة باتنة فكانت كالتالي[7]:

القيادات	القياد
باتنة: تتكون من: قبيلة لخضر حلفاوية، أولاد شليح، الحراكتة، تليتس،أولاد سيد علي،أولاد سي أحمد بن السعيد،أولاد سي أحمد بن بوزيد، أولاد بلقاضي.	سي أحمد بلقاضي
بوعون: وتشمل بوعون، حيدوسة، أولاد فاطمة وأولاد سلطان	سي الشريف بن منصر
أوراس الشرق وتتالف من: العشايش، اولاد السعيد، أولاد سي زرارة، بني أوجانة، أولاد داوود، بني معافة، عمامرة والمنصر.	سي العربي بن بوضياف
أوراس الغرب وتضم: أولاد عبدي، دشرة واد عبدي، أولاد زيان، أولاد مومن،أولاد عزوز، دشرة بوزينة.	لم يكن لها قائد

إن تاريخ الأوراس طيلة عهوده السابقة كان حافلا بالثورات والإنتفاضات، لكنه كان رافضا للاحتلال مقاوما لكل محاولات الغزو ولا يستسلم أبدا لسيطرة الأجانب، وخير مثال على ذلك تلك الثورات والمواقف التي كانت عندما لجأ أحمد باي إلى الأوراس بالذات ودفاع الأهالي لمنع وصول الفرنسيين إليه[8] ، وكانت آخر محطة لأحمد باي في الأوراس تتمثل في قبيلة أولاد عبد الرحمان المقيمة جنوب شرق احمر خدو، إلى أن استسلم، وبعد وقوف الأهالي مع احمد باي قادوا مجموعة من الثورات خلال الفترة الاستعمارية منها:مقاومة الزعاطشة 1848-1849،مقاومة سي الصادق بلحاج 1858،ثورة الاوراس 1916.

2- منطقة الأوراس ونشاط حركة انتصار الحريات الديمقراطية قبل أزمة الحزب في 1954:

عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، ظهرت عناصر بارزة في صفوف عمال المهجر في تونس والجزائر، والذين تأثروا ببيان التحرر في المشرق العربي، وكان معظمهم من الجزائريين، اتفقوا على تأسيس حزب يدافع عن حقوق الشعوب المستعمرة،

و ظهر هذا الحزب في مارس 1926م تحت اسم نجم شمال إفريقيا في فرنسا[9]. لم يتمكن هذا الأخير في البداية أن يكون منظمة سياسية بالمعنى المتعارف عليه، إذ أنه ظهر في فرنسا لا في الجزائر إضافة إلى كونه منظمة مدنية عمالية أكثر منها منظمة شاملة لكل قطاعات المجتمع ثم إنها منظمة شمال إفريقية لا منظمة جزائرية وطنية، وكان الشاذلي بن خير الدين (تونس) رئيسا شرفيا للحزب، أما عمليا فالرئيس الحقيقي هو الحاج علي عبد القادر، وكان مصالي الحاج هو الامين العام وشبيلة الجيلالي أمين المال [10].

بحلول ديسمبر 1927، أصبح الحزب جزائريا لا مغاربيا، ظل أعضاؤه يناضلون من أجل التحرر، حيث أصدروا جريدة الأمة سنة 1930م، وقام الاستعمار بحله في 20 نوفمبر 1930م، وظهر من جديد سنة 1932م تحت اسم نجم شمال إفريقيا المجيد، وخلال هذه المراحل كان مصالي الحاج يتحدث باسم الحزب، ويعمل من أجل تطويره، وتم الإتفاق بين أعضاء اللجنة المركزية، وأعضاء فرع الجزائر على إنشاء حزب الشعب الجزائري، وكان ذلك خلال 11-20 مارس 1937م، وتزعمه مصالي الحاج، وبفضل مسيرته وثوريته استطاع نشاط الحزب أن يعم كامل القطر الجزائري، وسارع الكثير من الشباب الجزائري إلى الانخراط في صفوفه. وفي سبتمبر 1939م اعتقل مصالي الحاج وبعض قادة الحزب، وبدأ الاستعمار في إجراءاته التعسفية، كالإقامة الجبرية، وإقامة المحتشدات. بعد ذلك، عرف نشاط الحزب جمودا طيلة الحرب العالمية الثانية بسبب قرار السلطات الفرنسية حله، وبنهاية الحرب خرج الشعب الجزائري مطالبا بتقرير مصيره، غير أن الاستعمار الفرنسي بقيادة ديغول، واجهه بكل قوة، فسقط 45000 شهيد في 08 ماي 1945م.

في ظل هذه الظروف، دخلت الحركة الوطنية السياسية أول مرة الأوراس في منطقة أريس مقر الدائرة على يد بكوش محي الدين ولد الأمين الصادق العنابي في 1944 بعد أن أبعده الإستعمار من عنابة إلى أريس مقر الحاكم المتصرف المدني. منذ وصوله إلى الأوراس، أنشأ أول تنظيم سياسي بأريس كما جند مجموعة من المناضلين السياسيين من بينهم: مختاري الصالح، اسماعيل ازراري، لخضر بعزي، لخضر قربازي، وكلفهم بمواصلة النضال السياسي في زلاطو، دوار الواد الابيض، دوار تاجموت وإيشمول... وسارت الحركة الوطنية في الأوراس بشكل حسن إلى 1946 بعد عودة مؤسسها إلى عنابة مرة ثانية [11].

بعد 08 ماي 1945، وفي جو من عدم الطمأنينة، لاحت بوادر عهد عمل سياسي جديد بالنسبة للإصلاحيين خاصة عندما قامت السلطات الفرنسية باطلاق سراح المعتقلين السياسيين وتوسيع دائرة الإنتخابات للأهالي وإعداد مشروع قانون الجزائر الأساسي. في خضم هذه الأحداث، عاد مصالي الحاج إلى الجزائر من منفاه بعد صدور قانون العفو العام في 09 مارس 1946 حاملا معه برنامجا سياسيا، وبرز الحزب من جديد تحت اسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وعزم على المشاركة في الإنتخابات التشريعية.

إدراكا من الحركة الوطنية لأهمية منطقة الأوراس، بعث إليها من جديد الصالح بوستة وابراهيم حشاني حيث قاما بتجديد النشاط السياسي للحزب هناك وإعطاءه دفعا قويا فعمت الحركة وانتشرت في دواوير مشونش، غسيرة، كيمل، تاجموت، زلاطو، أريس، إيشمول...وتم تحديد قائمة بأسماء مسؤولي القسمات. بعد هذا التقسيم، عقد هؤلاء اجتماعا عينوا فيه رؤساء الأفواج بهدف توسيع النشاط السياسي في المناطق المجاورة[12].

خاض حزب الشعب تجربة مريرة خلال الإنتخابات التشريعية لسنة 1947، على إثر ذلك، قرر الحزب عقد اجتماع تقييمي في الجزائر العاصمة يومي 15 و16 فيفري 1947م، ومن خلاله طرحت عدة قضايا لعل أبرزها تحديد نشاط الحزب وعمله السياسي المعلن والغير المعلن، أما أهم قرار خرج به المؤتمر فهو الإعلان عن ميلاد المنظمة الخاصة التي تنحصر مهمتها في الإعداد للثورة المسلحة وقد وضع على رأسها محمد بلوزداد[13] واختير لهذه المهمة الصعبة مناضلين أقوياء، وكان من بين هؤلاء الشهيد مصطفى بن بولعيد الذي عين على رأس منطقة الأوراس[14].

في بداية 1948م اختار بن بولعيد ثلاثة مناضلين من الخلية الأولى والثانية من بينهم أحمد نواورة وعزوي مدور وأعطى لهم أمرا بجمع الأسلحة وتخزينها وصنع القنابل بالديناميت تحضيرا للعمل المسلح وفق نشاط المنظمة الخاصة، وكان بن بولعيد يعقد الاجتماعات بهذه الخلايا ثلاث مرات في الأسبوع، أما النظام السياسي فكان يختص بتوعية الشعب بصفة عامة والمناضلين بصفة خاصة. بحلول أفريل 1948م قرر الحزب بعد إجماع المناضلين ترشيح مصطفى بن بولعيد كممثل للحزب بهذه المنطقة للنيابة في المجلس الجزائري، ففاز في المرحلة الأولى من الإنتخابات بـ 10 آلاف صوت أي 95 بالمئة، إثر ذلك استدعاه حاكم أريس مستعملا سياسة الإغراء، غير أن بن بولعيد كان أذكى منه، وعندما يئس الحاكم من مساومة بن بولعيد سارع إلى إقصائه في الدور الثاني في 11 أفريل 1948م، مما أدى إلى وقوع أحداث دامية في كل من فم الطوب وكيمل وبوزينة[15].

لقد تفطن بن بولعيد فأعطى أمرا ينبه فيه المواطنين لجمع الأسلحة والحفاظ عليها، وقد اشترى هو نفسه كمية كبيرة بأمواله الخاصة، بعضها محلي والبعض الآخر من الحدود الليبية التونسية، وبذلك تمكن من توفير جزء كبير من الأسلحة التي خزنها في مطامير" بقرية الحجاج"، وبعد جمع الأسلحة، فكر بن بولعيد في مكان للتدريب عليها، فاشترى مزرعة بفم الطوب، وحولها إلى مركز للتدريبات العسكرية، وهكذا استمر بن بولعيد مسؤولا سياسيا وعسكريا على منطقة الأوراس، وفي شهر مارس 1950م، اكتشف أمر المنظمة الخاصة وألقت الشرطة الفرنسية القبض على معظم أعضاء المنظمة في مختلف أرجاء الوطن[16].

في هذه الفترة فر بعض أعضاء المنظمة الخاصة إلى الأوراس، وعملت هذه الإطارات التي فرت إلى الأوراس جنبا إلى جنب مع مصطفى بن بولعيد على توعية الجماهير بشعارات الحرية والاستقلال، وتنشيط عمل المنظمة الخاصة التي رفض بن بولعيد حلها رغم أن الأوامر لم تبلغه، واطمأنت هذه الإطارات لعمل المناضلين المتكونين من طرف بن بولعيد، ولكمية السلاح المخزن، ولوعي الأوراسيين وحماسهم للثورة، واستمرت هذه الإطارات تعمل إلى أوائل 1952م حيث غادر البعض منهم الأوراس إلى الشمال القسنطيني بسب حملات التفتيش التي قام بها حوالي 800 دركي متجول، كما أن المضايقات لاحقتهم إلى الشمال القسنطيني، فانتقلوا إلى العاصمة وكان العديد منهم يحمل أسماء مستعارة مثل: العربي بن مهيدي "الحكيم"، وديدوش مراد "لويوتي"، ومحمد بوضياف "الطيب"، و مصطفى بن بولعيد "خالي"، ورابح بيطاط "سي محمد ". وفي أوت 1951م وقعت أحداث دامية اثر الانتخابات في كل من كيمل وتكوت وفم الطوب[17]، حيث قام الاستعمار بتطويق الأوراس من كل جهاته، وقام بعمليات تفتيشية واسعة النطاق بحثا عن المقاومين، وكذلك لجأ الاستعمار إلى سياسة "فرق تسد" بين القبائل والأعراش، وكان غرضهم تمزيق وحدة المناضلين وتشتيت صفوفهم، وكادت أن تقع الفتنة بين عرش التوابة "أولاد داود" وعرش "بني بوسليمان"، وفكر بن بولعيد و أدرك مغزى ما ترمي إليه سياسة الإستعمار، وقرر اجتماعا عاما بقرية الحجاج، ودعا المناضلين إلى الحذر من مكائد الاستعمار التي طالما تهدد انكشاف سر النظام، ولقد تم الصلح بين القبيلتين وخابت آمال المستعمر وسد بن بولعيد الثغرة التي أراد الاستعمار الدخول منها لبث سمومه وإجهاض الثورة، واتجه إلى المجموعة التي حاربت الاستعمار فنفذ صوته إلى أعماق نفوسهم، فانظموا إلى صفوف المناضلين[18]

3-منطقة الأوراس وأزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى جوان 1954 :

بعد اكتشاف المنظمة الخاصة، عرفت الحركة الوطنية بروز الانشقاق في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين المصاليين والمركزيين، وأمام هذا الوضع ومستجداته، وفي مطلع 1954م، التقى محمد بوضياف الناطق الرسمي باسم المنظمة الخاصة مع لحول حسين، وسيد علي عبد الحميد في مدرسة الرشاد التابعة لحزب الشعب -حركة انتصار الحريات الديمقراطية- وقد سبق هذا اللقاء لقاء آخر جمع الثلاثة بمنزل لحول حسين بأعالي القصبة، حيث اتفق الجميع على مواصلة

مشاوراتهم، ثم انظم إليهم فيما بعد "محمد دخلي" رئيس التنظيم السياسي للحزب وعضو اللجنة المركزية في اجتماع آخر بالمدرسة نفسها، أين اتفقوا يوم 23 مارس 1954م على تأسيس تنظيم تكون مهمته العاجلة توحيد القوى الحية للحزب تحت اسم اللجنة الثورية للوحدة والعمل.

في هذه الفترة التي تأسست فيها اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس 1954م كانت هيكلة حركة انتصار الحريات الديمقراطية في دائرة باتنة كالتالي وهذا حسب هيكلة الولايات والدوائر وحسب التوزيع الجغرافي المعتمد من طرف الحزب.

الرئيس (رئيس الدائرة): شيحاني بشير المعروف بسي مسعود.

كان بدائرة باتنة عدة قسمات :

- قسمة باتنة
- قسمة بريكة
- قسمة خنشلة
- قسمة فم الطوب
- قسمة اريس

ضمت قسمة باتنة حوالي 50 مناضلا، تكونت لجنة القسمة من : بوشكيوة يونس، باهيري الطاهر، خالد لزهاري، بوشمال محمد رشيد، دراج حسين، بوضياف احمد ويرأسهم شيحاني بشير. أما مجموع المناطق داخل هذه القسمة فكانت:

- منطقة القنطرة: تحت رئاسة بن ذياب محمد (ضمت 10 مناضلين).
- منطقة التوتة (ماك ماهون): تحت رئاسة بلخوجة عبد المجيد (ضمت 10 مناضلين).
- منطقة الشمرة تحت رئاسة عايلة العايفة (ضمت 40 مناضلا)، مع وجود نواة في عين ياقوت تحت رئاسة العمري محمد.

وقد جند معظم أعضاء الحركة في دوار أولاد عمور بن فاضل.

ضمت قسمة بريكة حوالي 30 مناضلا، تكونت لجنة القسمة من مزيان محمد، بن دريس صالح.

ضمت قسمة خنشلة حوالي 60 مناضلا يرأسهم عباس لغرور .

ضمت قسمة فم الطوب أكثر من 100 مناضل يرأسهم غمراس الطاهر الملقب بالطاهر نويشي .

أما قسمة أريس فقد كان بها عدد كبير من المناضلين، ترأسهم في البداية عرشة محمود، خلفه بعد ذلك بلعقون مسعود ثم عجول نوردي .

صنفت دواوير كيمل وايشمول ، زلاطو ضمن جهة ضمت 80 مناضلا [19].

والمعروف أن الأزمة في بادئ الأمر كانت في القمة، ثم نزلت إلى القاعدة عندما عمل مصالي الحاج على إبلاغ القاعدة بالأزمة الموجودة داخل الحزب عن طريق رسالة بتاريخ 25 فيفري 1954 [20] وتعرف مناضلو باتنة على الأزمة بعد تلقي هذه الرسالة التي وصلتهم من تلمسان تحمل نداء الحكمة هذا من مارس 1954 إلى جوان 1954م. في هذه الفترة تبنى مناضلو الحركة موقف الحياد من الأزمة اقتداء بموقف الزعيم شيحاني بشير .

في هذه الفترة التي أسست فيها اللجنة الثورية للوحدة والعمل، لم يكن مناضلو الحزب يعلمون بوجودها، وتأكيدا لموقف الحياد من الأزمة التي كانت تعصف بالحزب عقد بمنزل بلعقون مسعود رئيس سابق لقسمة أريس اجتماعا تحت رئاسة شيحاني بشير ضم :

- بن بولعيد عضو اللجنة المركزية.
- بوشكيوة يونس رئيس قسمة باتنة.
- عجول نوردي رئيس قسمة أريس.
- غمراس الطاهر رئيس قسمة فم الطوب.
- مزيان محمد رئيس قسمة بريكة.

وقد أمضوا على قرار الحياد وأرسلوه إلى الأحول حسين وأحمد مزغنة وقد نشر القرار في العدد الأول من جريدة LE PATRIOTE ALGERIEN (الوطني) ربما الملاحظ هنا هو تأثير بن بولعيد [21].

في هذه الأثناء شعر أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل بأن الوضع على حاله سيستمر إلى الأبد، لذلك سارع كل من محمد بوضياف ومراد ديدوش ومصطفى بن بولعيد إلى عقد اجتماع لدراسة المستجدات واتخاذ الموقف المناسب، وقد اتفق الجميع على دعوة إطارات المنظمة السرية المتواجدين عبر أنحاء الوطن، والمؤمنين بحتمية العمل العسكري، فكان اجتماع 22 في الجزائر العاصمة، ويذكر محمد بوضياف عن خلفيات هذا الاجتماع قائلا: "بعد دراسة الوضعية المترتبة عن الطريق المسدود الذي انتهت إليه اللجنة الثورية وضرورة تجاوزها، قررنا دعوة بعض الإطارات السابقة في المنظمة الخاصة ممن سبق الإتصال بهم وكانوا موافقين تقريبا لخوض غمار الثورة المسلحة على النظام الإستعماري، وشاركنا كل من العربي بن مهيدي، ورابح بيطاط في تنظيم الإجتماع الذي انعقد في النصف الثاني من شهر جوان 1954 بمنزل المناضل الياس دريج بحي المدينة" [22] تحت رئاسة بن بولعيد، وحسب رابح بيطاط فإن جدول الاجتماع تلخص في النقاط التالية [23]:

- اتخاذ القرار بإعلان الثورة.
- كيفية إعلان الثورة.
- تحديد أهداف الثورة.

وقد حضر الإجتماع المناضلون الآتية أسماؤهم : مختار باجي، عثمان بلوزداد، رمضان بن عبد المالك، مصطفى بن عودة، مصطفى بن بولعيد، العربي بن مهيدي، لخضر بن طوبال، رابح بيطاط، الزبير بوعجاج، سليمان بوعلي، احمد بوشعيب، محمد بوضياف، عبد الحفيظ بوصوف، مراد ديدوش، عبد السلام حباشي، عبد القادر العمودي، محمد مشاطي، سليمان ملاح، محمد مرزوقي، بوجمعة سويداني، يوسف زيغود بالإضافة إلى صاحب المنزل وهو الياس دريج، وتم هذا الإختيار بالمشاورة بين بوضياف وديدوش وبن مهيدي المتواجدين في مدينة الجزائر، وقد أخذوا بعين الاعتبار التمثيل المنصف لجميع مناطق الوطن، ونظرا لضيق الوقت وصعوبة التنقل لم يكن من الممكن الاتصال بجميع المناضلين الذين تم اختيارهم [24].

بعدما تم انتخاب مصطفى بن بولعيد رئيسا لإدارة جلسات هذا الإجتماع، قدم بوضياف تقريرا عاما ضمنه لمحة تاريخية عن المنظمة الخاصة والمراحل التي مرت بها والنشاطات التي قام بها أعضاؤها في الفترة مابين 1950 – 1954، والتأثيرات الناجمة عن القمع الذي تعرض له المناضلون مع التنديد بالمواقف المتخاذلة من قبل القيادة السياسية للحزب، وكذلك خلفيات الأزمة السياسية بين المصاليين والمركزيين، وموقف اللجنة الثورية منها، وختم تقريره بالقول "نحن الأعضاء السابقون في

المنظمة الخاصة، وأمام أزمة الحزب ووجود حرب التحرير بكل من تونس والمغرب، علينا واجب التشاور، وتقرير ما ينبغي عمله في المستقبل " [25]. وكان من نتائج اجتماع 22 تقسيم الجزائر إلى 05 نواحي، ولكل ناحية قائد يترأسها.

فالمنطقة الأولى: الأوراس يترأسها مصطفى بن بولعيد ويساعده شيحاني بشير.

والمنطقة الثانية: الشمال القسنطيني بقيادة ديدوش مراد ومعه زيغود يوسف.

والمنطقة الثالثة: القبائل وأوكلت مهمة قيادتها لكريم بلقاسم ومعه عمر اوعمران.

والمنطقة الرابعة: الجزائر العاصمة برئاسة رابح بيطاط ومعه بوحجاج وسويداني بوجمعة.

والمنطقة الخامسة: وهران برئاسة العربي بن مهيدي[26].

4-منطقة الأوراس وأزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية من جوان 1954:

في 01 جوان 1954م، خرج بعض مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بباتنة عن وضعية الحياد من الازمة التي تعصف بالحزب بانضمام المناضل بوشكيوة يونس من منطقة الاوراس إلى جانب المركزيين في صراعهم ضد المصاليين، وتذكر المصادر أن هذا الإنضمام إلى جانب المركزيين قد جر العديد من المشاكل خاصة إذا علمنا أن المنطقة رغم إعلان الحياد إلا أنها في قرارة نفسها قد كانت تكن الولاء لزعيم الحركة مصالي الحاج، وبالدعوة إلى انعقاد مؤتمر هونرو ببلجيكا الخاص بالمصاليين من 13 إلى 14 جويلية 1954م، عين شيحاني بشير مسعود بلعقون ممثلا عن دائرة باتنة لحضور المؤتمر، وفي نفس الوقت حضر الأول اجتماعا لفرع الكشافة الإسلامية الخاص بباتنة برفقة بريان محمد، وقد تطرقوا فيه إلى موضوع اللجنة الثورية للوحدة والعمل مركزين على أنها تتكون من عناصر معظمهم من منطقة القبائل ومع ذلك واصلوا في موقفهم العام وهو موقف الحياد من الأزمة.

بداية من جويلية 1954م، شرع بن بولعيد بتشكيل مجموعات في كل دوار استعداد للكفاح المسلح وأكد لمسؤولي منطقتي أريس وفم الطوب أن الحركة أي اللجنة الثورية للوحدة والعمل قد حلت، وسيحل محلها حزب الثورة. وبانعقاد مؤتمر المركزيين من 13 إلى 16 أوت 1954م، نصح شيحاني المناضلين بعدم المشاركة، مع ذلك شارك بمؤتمر المركزيين: بوشكيوة يونس، خالد لزهاري وبكوش لعروسي بدعوة من المركزي حشاني إبراهيم المدعو سي صالح [27].

فجأة، وبنهاية شهر أوت وبداية شهر سبتمبر، منع شيحاني بشير كلا من المصاليين والمركزيين المشاركين في المؤتمرين دخول منطقة الأوراس (بما في ذلك نمور علي وعلاق عبد القادر عن المصاليين من بسكرة)، السبب في ذلك الخروج عن موقف الحياد من الأزمة وتبني موقف الإعلان عن تأسيس حزب جديد هو (حزب الثورة)[28].

بعد هذه المستجدات تكونت لجنة الستة المتبقية عن اجتماع 22 والمتكونة من: مصطفى بن بولعيد، بوضياف، ديدوش مراد، العربي بن مهيدي، كريم بلقاسم، رابح بيطاط[29] وبدورها عقدت اجتماعا في 24 أكتوبر 1954م وفيه تقرر تسمية المنظمة الثورية الجديدة بـ:"جبهة التحرير الوطني"وفتح باب العضوية لكل من يرغب في المساهمة في تحرير الجزائر [30].

كما عقدوا اجتماعا آخرا في الرايس حميدو بالجزائر، وكان الهدف منه تحديد تاريخ اندلاع الثورة، وتحرير بيان أول نوفمبر، وتحديد مبادئه وأهدافه ومسألة تمويل الثورة، كما اقترح مصطفى بن بولعيد إطلاق اسم جيش التحرير الوطني على المقاومين[31]، كما أمر المناضلين بإعداد ما استطاعوا من لباس ومؤونة، وقام بجمع المجاهدين من الاعراش، وعند عودته من الاجتماع الأخير في "بوانتيسكاد" بالجزائر، عقد اجتماعا لقادة النواحي في لقرين بين الشمرة وبولفرايس حضره كل من الطاهر نويشي من باتنة، عاجل عجول من أريس، عباس لغرور من خنشلة، محمد خيضر من بريكة، حاجي مسعود من الخروب، وبن مسعودة المدعو امزيطي، وفي الاجتماع أدوا اليمين على كتمان السر، فكشف بن بولعيد عن تاريخ اندلاع الثورة، وظبط قائمة المراكز المستهدفة وعين الأفواج ووزع المهام [32]. تقرير الترتيبات النهائية كان في اجتماع ليلة 31 أكتوبر 1954م ضم

قادة النواحي والأقسام بناحية اشمول، واستقر الرأي فيها على دشرة أولاد موسى وخنقة لحدادة كنقطتين لتجميع أفواج جيش التحرير الوطني لاستلام السلاح، وتلقي التعليمات الضرورية ثم الانطلاق لتحقيق الأهداف. كما قاموا بتحديد منتصف الاثنين أول نوفمبر 1954م موعدا لانطلاق الثورة المسلحة، وتعهد مصطفى بن بولعيد على أن تصمد منطقة الأوراس لـ 8 أو 10 أشهر حتى تنتشر الثورة في كامل ربوع الوطن، وقد اتجهت الأفواج المجمعة قبل الفاتح من نوفمبر وكان عددهم يفوق 350 مجاهدا الى باتنة، بسكرة، سريانة، اشمول، عين القصر، وخنشلة[33]. أما عن تحديد تاريخ اندلاع الثورة التحريرية، فإن أغلب الروايات التاريخية المعاصرة أجمعت أن لجنة الستة قد اتفقت في البداية على أن يكون تاريخ 17 أكتوبر 1954م موعد انطلاق الكفاح المسلح في كامل أرجاء الوطن، وقد أعلمت جماعة القاهرة بهذا التاريخ لكن تسرب الخبر، مما أدى باللجنة إلى تغييره، واستقر الأمر عند تاريخ ليلة أول نوفمبر 1954م وقد ظل هذا التاريخ في طي الكتمان إلى أن اندلعت الثورة المسلحة.

أما رئيس اللجنة محمد بوضياف فقد كان مقررا أن ينتقل إلى القاهرة للاتصال بالوفد الخارجي، وإذاعة نص بيان أول نوفمبر على موجات إذاعة صوت العرب. ورغم تأخر حصوله على تأشيرة الدخول من السفارة المصرية بسويسرا إلا أنه استطاع إرسال البيان بالبريد السريع ليتم إذاعته، وهو البيان الذي كان يدعو الجزائريين إلى الالتحاق بالثورة [34].

الهوامش:

1- عبد الله الشافعي، ثورة الاوراس 1916، باتنة، جمعية اول نوفمبر ،دت،ص23.

2- المرجع السابق، ص ص 15-21.

3- بوعزة بوضرساية، الحاج احمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاومة1830-1848، ط2، الجزائر، دار الحكمة، 2012،ص 205.

4- محمد العيد مطمر، "الإحتلال الفرنسي لمنطقة الاوراس 1844-1884"، تاريخ الاوراس ونظام التركيبة الإجتماعية والإدارية في اثناء فترة الإحتلال الفرنسي من 1887 إلى 1954، جمعية اول نوفمبر، دار الشهاب، الجزائر، 1988، ص121.

5- عبد الحميد زوزو، "الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية، الإقتصادية والإجتماعية"، ترجمة: مسعود حاج مسعود، الجزائر، دار هومة، 2005، ص 188.

6- المرجع السابق،ص 198.

7- المرجع نفسه.

8- مسعود عثماني، أوراس الكرامة: أمجاد وأنجاد، الجزائر، دار الهدى، 2008، ص ص 65 -67.

9- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص 414.

10- المرجع السابق،ص 17.

11- محمد الطاهر عزوي، "الإستعداد السياسي والعسكري للثورة في الاوراس"، مجلة اول نوفمبر، الجزائر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد 53، 1981، ص ص 36-40.

12- المرجع السابق، ص 40.

13- أنشات المنظمة السرية في 15 فيفري 1947م ، في المؤتمر السري الأول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية تحت قيادة محمد بلوزداد. ومن ذلك التاريخ، شرعت في شراء السلاح من ليبيا وتخزينه إلى جانب إعداد المقاومين القادرين على استعمال هذه الأسلحة من خلال إعدادهم نفسيا وتأهيلهم عسكريا، حيث أشار بن يوسف بن خدة في هذا الصدد بأن عدد وعدة المنظمة الخاصة سنة 1949 بلغت حسب لحول حسين 1000 منخرط منهم 500 على مستوى عمالة الجزائر ،300 بعمالة قسنطينة والباقي بعمالة وهران ومزودين بأسلحة. للمزيد أنظر:

Ben Youcef BEN KHEDDA,Les origines du 1er Novembre 1954,Alger,Edition Dahleb,1989,p.150.

14- مصطفى بن بولعيد و الثورة الجزائرية 1954م ، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 1999م، ص ص 743-744 .

15--المرجع السابق،ص ص 764_765.

16- Omar Carlier,"La critique des armes , réponse révolutionnaure au blocage colonial : L'OS et le projet insurrectionnel , Sept ans avant Novembre ", le 1er Novembre 1954 , la nuit rebelle, France , Edition OMP/ La tribune , 2004 . p. 45.

17- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ص 766- 767.

18- المرجع السابق ، ص770.

19- من 06-09 مناضلين = فوج، 03 افواج = فرع، 03 فروع = جبهة .أنظر:

9314/96, Responsabilité politique des évènements insurrectionnels ou terroristes dans la région de A.O.M Batna.

20- المعروف أن محمد بوضياف كان قد عاد الى الجزائر من فرنسا في 11 مارس 1954 يحمل رسالة بعنوان :نداء للحكمة أعدها مجموعة من مسؤولي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا مثل راجف بلقاسم. للمزيد أنظر :سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، ترجمة:محمد حافظ الجمالي، الجزائر، دار القصبة، 2003 ،ص82 .

21- A.O.M 9314/96, Op.Cit.

22- الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية 1954- 1958م : دراسة في السياسات والممارسات ، الجزائر، دارغرناطة، 2009، ص83.

23- انظر مذكرات الرائد هلايلي محمد الصغير، شاهد على الثورة في الاوراس، بيروت، دار القدس العربي، 2013، ص 53.

24- زهير احدادن ، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962م ، (د.د.ط)، حسين داي، القبة، 2007، ص09.

25- الغالي غربي، مرجع سابق، ص 84.

26- الطاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، الجزائر، دار الأمة، افريل2001، ص ص 20-22.

27- A.O.M9314/96,Responsabilité politique des évènements insurrectionnels ou terroristes dans la région de Batna.

28- Ibid.

29- عمار ملاح، وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس : الناحية 03 بوعريف، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دت، ص 111 .

30- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية والى غاية الاستقلال 1962م، ط2، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، 2005، ص361.

31- مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية ، مرجع سابق، ص664 .

32- محمد عباس، ثوار عظماء، الجزائر، مطبعة دحلب، 1991، ص50.

33- عمار ملاح، مصدر سابق، ص 110.

34- الغالي غربي، مرجع سابق،ص ص88-89.

الإسهامات السياسية والثقافية للنخب الجزائرية في أوروبا والمشرق العربي

د.خيرالدين شترة

جامعة المسيلة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

لقد كان للنخبة الوطنية في المهجر سواء في أوروبا أو في المشرق العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين أدوار ومساهمات أساسية دعمت بها الحركة الوطنية الجزائرية في مناهضتها للاستعمار الفرنسي، وهي مساهمات لا يمكن إغفالها بأي حال من الأحوال، ولعل الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو إبراز قيمة هذه الإسهامات وعظمة الأدوار الطلائعية لهاته الثلة من الوطنيين المهاجرين الذين انفردوا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية بمجموعة من الخصائص والصفات.

Abstract :

The national elite abroad either in Europe or in the Middle East had in the second half of the 20th Century fundamental roles and contributions by which it supported the Algerian national movement to fight French colonialism. Indeed, in no way these entries may be neglected. It is likely that the main purpose of this study is to highlight these investments and the size of leadership roles of this group of nationalist emigrants who were distinguished during and after the world war II by characteristics and qualities.

1. تمهيد حول خصائص ومميزات النخبة الوطنية في المهجر:

لقد كان للنخبة الوطنية في المهجر أدوار ومساهمات أساسية دعمت بها الحركة الوطنية الجزائرية في مناهضتها للاستعمار الفرنسي، وهي مساهمات لا يمكن إغفالها بأي حال من الأحوال، ولعل الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو إبراز قيمة هذه الإسهامات وعظمة الأدوار الطلائعية لهاته الثلة من الوطنيين المهاجرين الذين انفردوا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية بمجموعة من الخصائص والصفات لعل أبرزها:

❖ **وحدة عناصرهم المذهبية والسياسية:** كان الوطنيون الجزائريون في المهجر موحدون إلى حد بعيد على المستوى الفكري والمذهبي لأن الأولوية في نضالهم الوطني كانت موجهة للعدو الاستعماري المشترك، يجمعهم في ذلك روحهم النضالية واستعدادهم للتضحية من أجل الاستقلال، ولم تُطرح مسألة طبيعة المجتمع الذي ناضلوا من أجله رغم اختلاف التكوين الاجتماعي والثقافي لهؤلاء الأعضاء الذين اكتفوا بالعروبة والإسلام كالطابع الأساسي للجزائر، وبعبارة أخرى كان الهدف الأساسي لنشاط الوطنيين الجزائريين موجهًا ضد الاستعمار الفرنسي فكان موقفهم دفاعيًا وليس من أجل البناء بل من أجل الحصول على وسائل ذلك البناء، ومما زاد من قوة وفعالية تنظيماتهم هو سيطرة التيار الوحدوي على نشاطاتهم إضافة إلى تميّزهم بثقافة جامعة بين العروبة والإسلام، مكّنتهم من العمل والنضال في بيئة سياسية تلاءم وتكوينهم وعقليتهم

❖ **وحدة العمل الدبلوماسي والسياسي:** شكّل النشاط الدبلوماسي الذي قام به الوطنيون الجزائريون في المشرق خصوصاً عملاً مشتركًا ومنسقًا تنسيقًا محكمًا سواء على مستوى التخطيط أو التنفيذ، وكان هذا النشاط موجهًا بالدرجة الأولى نحو البعثات الدبلوماسية العربية ومن أنشطتهم الدعاية لقضية بلادهم من خلال حضورهم في المحافل الدولية والإقليمية سواءً كانت سياسية أو ثقافية كالمؤتمر الثقافي العربي الأول (بيروت في سبتمبر 1947)، والمؤتمر الإسلامي الاقتصادي الأول في باكستان في ديسمبر 1949م الذي حضره الشهيد علي الحمامي الذي وافته المنية هو ورفاقه بعد مشاركتهم في المؤتمرات إثر حادث طائرة في باكستان 1949/12/12م، إلا أن قضية استشهادهم استغلت استغلالاً واسعًا من طرف وسائل الإعلام في نطاق الدعاية من أجل استقلال الجزائر والمغرب العربي، فخصّصت كل من الصحف المصرية والشمال إفريقية مقالات بارزة ترثي فيها الزعماء الثلاث (علي الحمامي– احمد عبودة – الحبيب ثامر).

❖ **وحدة النشاط الإعلامي (الصحف والبلاغات والندوات الصحفية)**:لقد شكّلت الصحف أداة إعلامية هامة استغلها الوطنيون الجزائريون في المهجر استغلالاً كاملاً في التعريف بالأوضاع الاستعمارية في الجزائر، كما قامت الصحف العربية بتغطية أنشطتهم السياسية التي قاموا بها في إطار مكتب المغرب العربي بالقاهرة، ومن أهم الصحف المصرية التي خصّصت صفحاتها لأقلام الوطنيين الجزائريين (جريدة الأهرام – جريدة المصري – والمصور، ومجلة الإخوان المسلمون...)، ويعود تجاوب الصحف مع قضية الوطنيين الجزائريين إلى كوْن هؤلاء الأخيرين اعتمدوا أسلوباً يفهمه القارئ العربي ويتعاطف مع مضمونه؛ أسلوبًا يستمد مرجعيته من تيار القومية العربية التي كانت تهيّمن على الساحة الفكرية في المشرق العربي آنذاك.

2. إسهامات النخب الجزائرية في أوروبا خلال الفترة (1939-1962):

عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية تأسّس في فرنسا وتحت رعاية عضوين من حزب الشعب الجزائري وهما (سي الجيلاني[1] – عمار خيذر)، "اتحاد عمال شمال إفريقيا" وقد ضمّ الاتحاد حوالي 3000 منخرط من التونسيين والجزائريين والمراكشيين، وعلى ما يبدو أنه كان استمراراً للاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا، والأكيد أنه ضمّ الكثير من المناضلين السابقين بحزب الشعب الجزائري ومنهم عبد الرحمان ياسين (تونس)[2]، والملاحظ أن الاتحاد ربط صلته بهيئة أخرى مغاربية ظهرت بإيطاليا وباريس وبرلين هي مكتب المغرب العربي.

ومن الشخصيات الجزائرية المغمورة التي عملت على خلق التواصل القومي والوحدوي الذي انشلّ جزئيًا بسبب سياسة التسلط والقمع الفرنسيين عشية الحرب، شخصية "محمد الماضي الجزائري" الذي استقال من الجيش الفرنسي سنة 1936م بتهمة الانتماء إلى منظمة سرية يمينية متطرفة حيث حُكم عليه بالسجن لمدة ثمانية أشهر ونصف ذلك أنه كان يبحث عن تأييد الألمان، لتضغط هذه الأخيرة على فرنسا حتى تتنازل عن مستعمراتها وتمنح الاستقلال لسكان المغرب العربي، ونشط محمد الماضي أولاً في اللجنة السرية للعمل الثوري "la cagoule" في 10 أفريل 1941م، ثم أسّس الماضي"لجنة إفريقيا الشمالية"، التي كانت بدايةً حقيقية لإنشاء حزب اشتراكي لشمال إفريقيا بعدها أصبح يسيّر لجنة التجمّع الوطنية الخاصة بالشمال أفارقة، المتفرعة عن الحركة الاشتراكية الثورية (M. S.R) حيث كان للجنة المذكورة فروع بتونس يشترك في تسييرها تونسيون وجزائريون[3].

وبعد جوان 1941م أسّس حركة باسم "اللجنة الإسلامية لشمال إفريقيا" والتي أظهرت ميولاً نحو ألمانيا الوطنية الاشتراكية وكان من أعضائها بعض الجزائريين منهم: الآغا سي حمو السعيد وفضيل سي العربي وحسني الأحمق وعمار نارون، وأصدر الماضي إلى غاية 1944م جريدة حملت اسم "الرشيد" وكانت ذات اتجاه مغاربي مع ميول ألمانية، وكانت الجريدة تُصدر في (30000) نسخة(جانفي1941م) وتوزّع في تونس والجزائر أيضًا، كما أسّس الماضي نادياً للدراسات الشمال إفريقية[4]، ومن جهة أخرى وفي نهاية سنة 1938م أُنشئت جمعية ببنغازي سميت "لجنة الدفاع عن أهالي إفريقيا الشمالية" بـ"ليبيا"، كان على رأسها السيد"محمد الويشي" [يبدو أنه ليبي]، وضمّت نخبة من الوطنيين من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى[5]، وخلال الحرب العالمية الثانية تشكّل ببرلين أيضاً مكتب المغرب العربي وكان أول من إنظم إليه من الطلبة الجزائريين "إسماعيل الخضراوي"، تحدّث عنه يوسف الرويسي قائلاً: « تعرّفنا عليه بواسطة المفتي الحاج أمين الحسيني الذي كانت له معه قصة

طريفة حكاها لنا شخصيًا قال: ذات يوم أعلَمني مصطفى الوكيل سكرتيري الخاص أن شابًا جزائريًا يطلب مقابلته فظن أنه في حاجة إلى مساعدة مالية فأمر له بـ 400 مارك مع الاعتذار بعدم إمكانية المقابلة في الوقت الحاضر بسبب مشاغله فاعتذر الشاب الجزائري عن قبولها، فظنّ المفتي أن المقدار قليل فرفعه إلى 600 مارك فاعتذر مرة ثانية عن قبول الإعانة وقال الوكيل أنا ما أتيت لطلب الإعانة، أنا جئت لمقابلة المفتي شخصيًا لأقدّم له ما جمعته أنا وبعض إخواني من العمال، واقتصدناه من أجورنا مساهمةً منا في قضية فلسطين، قال المفتي: فتأثّرت بالغ التأثّر واستقبلته للحين واعتذرت له عن قبول الإعانة وأن يدّخروها لأنفسهم، فهم إليها أحوَجْ، فألحَّ قائلاً: لا تحرمْنا من شرف المساهمة في قضية فلسطين، قال: فقبلتها منه وفي أثناء الحديث معه سألته أين تعلّم العربية ؟ قال ففهم مرادي واغرورقت عيناه بالدموع، وقال لي يا صاحب السماحة نحن الجزائريين الذين عنَاهم شوقي بقوله:

بَلَابِلُ الله لمْ تَخْرَسْ وَلا وُلِدَتْ *** خُرس ولكِنْ بُومُ الشُؤمِ رَبَّاهَا

قال: ومنذ ذلك الحين يأتي إسماعيل الخضراوي لمقابلتي كل أسبوع وعلمت منه أشياء كثيرة خصوصًا ما يتعلق بتربية أبناء الجزائريين في فرنسا قال: فبادرتُ بإرسال إعانات مالية لمندوب جمعية العلماء في باريس لتنفق على تعليم الجزائريين المهاجرين في فرنسا اللغة العربية والمبادئ الإسلامية»[6].

وبعد الحرب الثانية استمر النضال الجزائري المغاربي في أوروبا متضامنًا، ففي سنة 1947م سافر محمد المصمودي بصحبة الدكتور شوقي مصطفاي إلى إيطاليا للاتصال بالطلبة العرب هناك وقد وجدوا تجاوبًا من الطلبة الليبيين الذين يزاولون دراستهم بإيطاليا واجتمعوا هنالك "بعبد اللطيف الكخيا" الذي أسّس جمعية في روما للتعريف بقضايا المغرب العربي وحقيقة الاستعمار الفرنسي، واستمرّ هذا العمل في الخارج إلى غاية 1956م[7]، وكانت الجمعيات الطلابية الإطار الوحيد الذي انصبّت فيه الحياة الطلابية اجتماعيًا وسياسيًا وقد تجاوزَت الإطار المحلي بالنسبة للطلبة الجزائريين لتشمل أقطار المغرب العربي الثلاث ولكن بصفة سطحية تكاد التشكيلات القطرية أن تتغلب عليها، لأن الطلبة الجزائريين كانوا يؤسسون تقريبًا في كل جامعة من الجامعات الفرنسية، جمعية خاصة بهم مستقلة عن (جمعية ط.ش.أ.م) التي كان مقرها باريس، أو جمعيات تابعة لهذه الجمعية الأخيرة تعتبر فروعاً لها، وفي هذا الإطار انحصرت الحياة الطلابية الجزائرية اجتماعيًا وسياسيًا حوالي أربع عقود من الزمن.

وفي الخمسينات من القرن الماضي سعى الطلاب المغاربة (جزائريون- تونسيون- مغاربة) لإيجاد إطار وحدوي لعملهم السياسي والاجتماعي وذلك بتأسيس منظمة طلابية مغربية واحدة، تجمع شمل طلاب أقطار المغرب الثلاثة ولكن باءت هذه المحاولة بالفشل في سنة 1953م بسبب ابتعاد الطلبة التونسيين «ومن هنا انبثقت لدى الطلاب الجزائريين فكرة تأسيس منظمتهم الطلابية الخاصة بهم، بحيث ظهرت إلى الوجود بعد سنة واحدة من هذا التاريخ الأخير منظمة طلابية عُرفت باسم "اتحاد الطلبة الجزائريين بمدينة باريس (UEAP)، وقد أشرف على تأسيس هذه المنظمة وسيّرها الحزب الشيوعي الفرنسي»[8]، لكن بعد فترة وجيزة بادرت (ج.ط.ش.م.أ) وأعضائها المقيمين في الجزائر العاصمة وبوحي من جبهة التحرير الوطنية عقد اجتماع تحضيري في باريس بين(4-7 أفريل1955م) للنظر في كيفية إنشاء منظمة طلابية جزائرية وانتهى المجتمعون إلى إعلان

قيام "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" وذلك رغم المعارضة الشديدة التي أبداها الطلبة الشيوعيون في باريس وتولوز الذين رفضوا أن يشمل اسم المنظمة كلمة "مسلمون"[9].

ولهذه الجهود النضالية المكثفة التي قام بها الطلبة الجزائريون بالمهجر (أوروبا) كتب الزعيم مصالي الحاج بنشرية الثمرة الثانية[10] مقالاً بعنوان: «دور الشبيبة المثقفة في تكوين الحركة الوطنية بمغربنا»[11] نوّه فيه بالدور العظيم الذي أدوّه بالمهجر في سبيل وحدة المغرب العربي وخصّ بالذكر الطلبة الجزائريون والتونسيون « وعلى ذكر الشباب المغربي (المغاربي) [يقول مصالي الحاج] يَجمُل بي أن أعرّج على أسماء الدكتور بن سليمان، والمحامي الهادي نويرة والأستاذ البلهوان والدكتور الحبيب ثامر... الذين جاءونا يومئذ مبكرين وقاموا هم بدورهم بقيادة الحركة الوطنية بعدما ألقي عليّ القبض في باريس...» إن هؤلاء الشبان الذين أصبحوا اليوم من أحسن قادة الحركة الوطنية التونسية كانوا قد ساهموا في ذلك الحين إلى سنة 1937م، بقسط وافر في الحركة الوطنية الجزائرية، وإني مازلت أذكر تلك الحُجرة الصغيرة التي كان يقطنها الهادي نويرة والتي وضعنا فيها سوياً الخطط الرئيسية للبرنامج السياسي لحزب الشعب الجزائري، إن هذه الذكريات المقتطفة من هنا وهناك تُثبت بجلاء كم كان دور الشبيبة المغربية عظيماً في تكوين حركات شمال إفريقيا الوطنية، لاسيما حينما كانت تسعى وتدأب في ظروف أقل ما يقال فيها أنها حرجة، وبفضل هذا النشاط الذي كانت عناية الله تكلؤه استطعنا أن نهدم ذلك الجدار الذي كان يحول بيننا وبين العامل في مصانع "دينو" والطالب في الجامعات.

أمّا فيما يتعلق بنشاط (ج.ط.ش.أ.م)، فقد عاد الطلاب إلى تشكيل جمعيتهم التي كانت منظمة قبل سنة 1940م، وعادوا إلى شعارهم المفضل، الوطنية المغاربية، ففي الجزائر أُنتخب شوقي مصطفاي رئيساً لـ:(ج.ش.أ.م) خلال سنة 1945م، ولاحظ تقرير الجنرال الفرنسي توباد عنهم بعد حوادث 08 ماي 1945م، «أن شباب الكليات انساق في أغلبيته نحو الأفكار الوطنية، وفي أدنى الأحوال أصبح مستقلاً، وذكرت تقارير فرنسية أخرى عن الطلبة في باريس خلال سنتي (1946-1947)م أن طلبة شمال إفريقيا تبنوا الوطنية الأكثر راديكالية..." وأن جميع هؤلاء الطلبة كانوا يتحدثون عن المغرب العربي كوطن واحد ويتمنون استقلاله أو ينادون بشبه اتحاد لبلدانه الثلاثة»[12].

كان مركز الطلبة لا يزال بعد الحرب العالمية الثانية بشارع سان ميشال رقم 115 بباريس حيث كانت الألوان الوطنية لأقطار المغرب العربي تزينه، وخلال سنتي(1945م-1946م) أقامت الجمعية عدة نشاطات ثقافية واجتماعية، وشارك الطلبة الجزائريون في مؤتمرات طلابية عالمية أو فرنسية، كما كان مقر الجمعية مسرحاً لالتقاء طلبة المغرب العربي بإخوانهم طلبة المشرق، حيث كان يدور الحديث على الحالة السياسية بالمشرق العربي وعن الجامعة العربية، كما تم الاعتراف بالجمعية كمنظمة وحيدة لها "الحق في تمثيل طلبة شمال إفريقيا في مؤتمر مدينة "غرونوبل" الفرنسية وهو المؤتمر التحضيري للمؤتمر العالمي للطلبة[13].

وفي نفس السياق أرسلت الجمعية ممثلين رسميين عنها إلى مؤتمر "براغ" العالمي للطلبة، وبالمناسبة نفسها أسّست بنفس المدينة "جمعية أحباء طلبة شمال إفريقيا"، وخلال سنة 1946م حاولت الجمعية إحياء سنتها القديمة وذلك بالعودة إلى مؤتمراتها السنوية، فكلّفت السيد محمد يزيد (1923-2003)م والسيد بن اعميرة (؟) وجمال (؟) من تونس للقيام بالتحضير للمؤتمر

الذي سيعقد بمدينة فاس في 15 سبتمبر1946م، غير أن سلطات الحماية الفرنسية منعت إقامته بالمغرب الأقصى، فأقيم المؤتمر بمدينة باريس (مارس-أفريل) 1947م، حضره 60 طالباً مغاربياً بفرنسا، و09 طلبة من المغرب العربي منهم طلبة مثّلوا جامع الزيتونة لأول مرة، واهتم المؤتمر بدراسة مشاكل الشبيبة الشمال إفريقية، والتنظيم المستمر للجمعية مع ربط الصلات بالعالم العربي[14].

وبمناسبة منع عقد مؤتمر طلبة شمال إفريقيا بالمغرب احتجت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية عن هذا التصرف وأرسل نائب رئيسها الفضيل الورتيلاني برقية تنديد إلى رئيس الحكومة الفرنسية (جورج بيدو)،جاء فيها: «أذاعت شركة "لوتر" يوم 15 أكتوبر 1946م البرقية الآتية : كانت(ج.ط.ش.ا.م) قد عقدت النية على أن تقيم مؤتمرها السنوي في هذا العام بمدينة رباط الفتح وهيَّأت له كل العدة، وفي آخر لحظة أبلغها المقيم العام الفرنسي بمراكش "بلاغ منع" يحظر عليها عقد هذا المؤتمر، دون أن يوضح لها الأسباب، وجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر، تستنكر هذا العمل التعسفي وتحتج عليه أشد الاحتجاج وتعده مخالفاً لمقتضيات الديمقراطية الأولية التي تنادون بها[15]. وليست لدينا الآن معلومات كافية عن قرارات مؤتمر ربيع 1947م ونشاطات جمعية الطلبة في المغرب العربي ككل إلى غاية سنة 1950م، اللهم إلا شذرات عن جمعية الجزائر التي لوحظ عن طلابها أنهم دخلوا الحملات الانتخابية للأحزاب فيما بين سنتي (1946-1949)م، ويبدو أن الطلبة المغاربة قد تعرضوا إلى القمع والمتابعة من قبل السلطات الفرنسية إضافة إلى أن الجمعية قد دخلت في منافسات مع جمعيات طلابية فرنسية كانت هذه الأخيرة خاضعة لعدّة إيديولوجيات، وكانت تريد السيطرة والنفوذ على الطلبة المغاربة وعلى الجمعية، كما أن الطلبة كانوا خلال نفس الفترة ينتمون إلى أحزاب أقطارهم، فقد ذكر محمد حربي أن طلبة الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية كانوا يحتكرون جمعية الطلبة نتيجة تحالف الشبيبة الجزائرية وحركة الانتصار، مع حزب الدستور الجديد وحزب الاستقلال.[16]

لقد أرادت (ج.ط.ش.أ.م) بعْث نشاطها المغاربي خلال سنة 1950م، فقد أسّست فرعاً لها بمدينة بوردو الفرنسية (جانفي 1950م)، وهو الفرع الذي نظّم اجتماعاً عامًا له يوم 25 جانفي لإحياء ذكرى مرور أربعين يومًا على وفاة شهداء المغرب العربي الثلاثة: علي الحمامي، الحبيب ثامر، محمد بن عبود، كما أجرت الجمعية تحضيرات تمهيدية لعقد مؤتمر الطلبة بتونس الذي جرت أشغاله من 15 إلى 22 سبتمبر 1950م وهو من أهم المؤتمرات بالنظر إلى ما تضمّنه من تقارير نهائية عن أهداف الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وآفاق مستقبل المغرب العربي، ولقد نصّت تقاريرها على عدّة مطالب حول الثقافة الشعبية وأخرى خاصّة بكل قطر، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية لكل بلدان المغرب العربي إضافة إلى توحيد مناهج وبرامج التعليم في كل المنطقة مع إجباريته ومجانيته[17]، ورغم أننا لا نملك الآن معلومات كافية عن الطلبة الذين شاركوا في المؤتمر ولا عن إيديولوجيتهم إلاّ أنّه يبدو من الواضح من خلال قراراتهم أنهم كانوا مؤمنين بوحدة المغرب العربي ومقتنعين بأفكار القومية العربية والجامعة العربية ومن ثمّ فإن المؤتمر لم يكن مؤتمراً طلابياً بل كان مؤتمراً ذا أبعاد سياسية، لقد أُختُتم في جو جماهيري "منقطع النظير"، بملعب"جو أندري"(Geo.Andre') في تونس بحضور 10000 مواطن تحت إشراف باي تونس (محمد الأمين باشا)، وخلال هذا الحفل تحمّس الشباب ونادوا بوجوب السعي للاستقلال التام الناجز الذي لا تشوبه شائبة للمغرب العربي.

وذكر (برفيبي) عن مؤتمر تونس أنه انتخب بناءً على توصيات مؤتمر 1947م أمانة دائمة مكلفة بتحضير مؤتمر استشاري للاتحاد المغاربي للطلبة المسلمين U.M.E.M، على أن يكون هذا الاتحاد مقسّمًا إلى ثلاث فيدراليات وطنية غير أن الأمانة لم تتمكن من الاجتماع في تونس سنة 1952م[18] فعقدت ندوة في الجزائر العاصمة أشرف عليها حزب الشعب الجزائري- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في 07/23/ 1952م حرّر خلالها الحاضرون"دستور الاتحاد" وبموجبه انصهرت جميع الجمعيات الطلابية المغاربية بما في ذلك جمعية مدينة تولوز، وجمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة والقرويين وتلاميذ الثانويات والمدارس الجزائرية في الاتحاد، وأصبح رئيسًا له السيد محمد أمير من الجزائر، كان الهدف من المؤتمر الاستشاري-الذي عُوّض بالندوة- هو إنشاء اتحاديات وطنية في الجزائر والمغرب الأقصى وتونس على أمل تكوين اتحاد يضم الاتحاديات الثلاث على مستوى المغرب العربي، لكن الطلاب التونسيون عندما رأوا أن بلادهم قد دخلت منذ بداية جانفي 1952م في مرحلة نضالها من أجل الاستقلال تكتّلوا فيما بينهم وأسّسوا في جويلية 1953م الاتحاد العام للطلبة التونسيين وعقدوا مؤتمرًا خاصًا بهم بمركز جمعية طلبة إفريقيا المسلمين بباريس، وهو الأمر الذي دفع بالطالب "بلعيد عبد السلام"، إلى الدعوة في شهر ديسمبر 1953م إلى تأسيس اتحاد طلابي خاص بالمسلمين الجزائريين أيضًا وكان قد سبقه إلى هذه الدعوة السيد عبد الحميد مهري خلال ندوة 1952م، بحجّة أنّ الطلبة الدستوريين (تونس) والاستقلاليين(المغرب) لا يريدون النضال الموحّد، غير أنّ دعوة عبد الحميد مهري رُفضت[19] واستطاع بلعيد عبد السلام أن يكسب أنصارًا من الطلاب لدعوته، منهم أحمد طالب الإبراهيمي (جمعية العلماء) والعياشي ياكر(حزب البيان)، وهؤلاء وغيرهم هم الذين أسّسوا الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والذي ظهر خلال الثورة[20]، إنّ هذه الجمعية المغاربية الطلابية التي تأسّست بفرنسا سنة 1927م في الوسط الطلابي المغاربي بفرنسا تبنّت مبدأ توزيع المسؤولية التسييرية بالتساوي بين طلبة البلدان الثلاثة؛ حيث أصبح يمثّل كل بلد في مجلسها الإداري ثلاثة طلبة وتكون الرئاسة بالتداول وحتّى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بقي الطلبة الجزائريون لما لهم من أهمية من حيث النشاط والحركية يتحكمون في تسيير الجمعية وفي انتخاب ممثلي المجلس الإداري للجمعية[21].

من جهة أخرى كان محور الخطاب الطلابي لهذه الجمعية يتركز حول التعليم سواء منه العصري أو التقليدي ويكفي في هذا الإطار العودة إلى جدول أعمال المؤتمر الذي انعقد في باريس فيما بين 31 مارس و03 أفريل 1947م إذ درس ما يتعلّق في مختلف مراحل التعليم من ابتدائي وثانوي وعال وصناعي، كما درس مسألة تعليم البنات وتدريس اللغة العربية بالإضافة إلى دراسة الحالة المادية للطلبة[22] وبنفس السياق جاءت أعمال المؤتمر الحادي عشر الذي انعقد في تونس فيما بين 15 و22 سبتمبر 1950م.

والحقيقة أنّ الجمعية لم تنقطع عن التقاليد التي سارت عليها خلال الثلاثينات حيث كانت تنظّم الندوات السياسية وتستقبل الزعماء الوطنيين للبلدان المغاربية، وكانت منذ ظهورها سنة 1927م وإلى مطلع الخمسينات أهم جمعية طلابية تتجه إلى عموم الطلبة المغاربيين الدارسين بفرنسا، ولم ينجح تأسيس بعض الجمعيات الطلابية الأخرى التي بدت وكأنّها منافسة لها في الحدّ من تأثيرها وإشعاعها، والحقيقة أنّه خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية لم تبلغ الجمعية من حيث إشعاعها ما بلغته طيلة الثلاثينات، بل أن الأمر وصل إلى الدعوة إلى بعث جمعيات وطنية وهو ما قد يدل على الرغبة في إيجاد هيكلة

جديدة لتأطير الساحة الطلابية، فقد دعا مؤتمر (ج.ط.ش.أ.م)، نفسه المنعقد في سبتمبر 1950م بتونس إلى تأسيس الاتحاد المغاربي للطلبة المسلمين، يتكوّن من ثلاث جمعيات طلابية وطنية، وقد سبق هذه الدعوة في باريس محاولات طلبة الحزب الشيوعي الجزائري[23]، حيث ظهر منذ سنة 1950م اتحاد الطلاب المغاربة بفرنسا وبالتالي فإن العمل المغاربي المشترك على المستوى الطلابي يبدو أنه تراجع مع مطلع الخمسينات لصالح العمل في إطار وطني دون أن يعني ذلك تجاوز جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي استمر وجودها إلى ما بعد الأزمة الهيكلية التي تردّى فيها الاتحاد.

وفي افتتاح مؤتمر الاتحاد العام للطلبة التونسيين في صائفة 1955م ألقى الجزائري "محمد أمير عيسى"، رئيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين خطابًا ذكّر فيه بالدور الذي لعبته جمعيته في توحيد طلبة شمال إفريقيا «..لا تجهلون (كذا) ما لجمعية طلبة شمال إفريقيا من فضل في ربط وتمتين العلاقات بين طلاب تونس والجزائر ومراكش» وأضاف في نفس السياق « إن (ج.ط.ش.أ.م) التي تضم غالبية طلبة المغرب العربي، الذين يزاولون تعليمهم بفرنسا شاعرة بواجبها في توحيد هؤلاء الطلبة، لما لهم من إحساس قومي وروابط دينية وتاريخية ولغوية، وهو ما يعني أنه يدافع عن وجودها حتى بعد أن بعثت اتحادات طلابية وطنية، فأي دور يمكن أن تقوم به الجمعية المغاربية بعد ذلك ؟». وقد تساءل أمير نفسه « هل أنّ تكوين هذه الاتحادات سيعطّل نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ؟»، غير أنه اكتفى في إجابته بالقول أن الاتحاد العام للطلبة التونسيين كان في الأفكار منذ سنة 1918م، عام تكوين اتحاد طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر وهو ما يعني أن ذلك لم يمنع من تأسيس (ج.ط.ش.أ.م) سنة 1927م كما لم يحلْ دون الدور الهام الذي قامت به طيلة الثلاثينات وما بعدها في تأطير طلبة البلدان الثلاثة الدارسين بفرنسا[24].

فالجمعية خلال هذه الفترة ووفاءً منها لخطها النضالي كانت منشغلة بمسألة استقلال المغرب العربي، فقد طالبت في مؤتمرها (11) المنعقد بتونس في سبتمبر 1950م بالاستقلال التام، وبقي هذا المطلب على رأس أولوياتها، إلى أن حصلت كل من تونس والمغرب على استقلالهما، ثم تركّز اهتمامهما على متابعة مضاعفات حرب التحرير الجزائرية على الطلبة الجزائريين، حيث تكثّفت عمليات المطاردة والاعتقال ضدهم في النصف الثاني من الخمسينات إلى سنة 1961م[25]، كل ذلك شغل الجمعية عن طرح مسألة مستقبلها في ظل ظهور اتحادات وطنية، وكذا عن التعامل مع الواقع الجديد الذي شهد اتساعًا متزايدًا في القاعدة الطلابية من جهة وبعث مؤسسات جامعية وطنية تستوعب أعدادًا متنامية من الدفعات الجديدة من الطلبة من جهة ثانية[26]، ومن خلال تتبّعنا لمسار وتطور(ج.ط.ش.أ.م)خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية لفتت انتباهنا شخصية الطالب الجزائري محمد أمير بن عيسى الذي أعطى بحيويته واتساع علاقاته دفعة قوية لحركة الجمعية.

استهل الطالب محمد أمير الدراسة والنضال الطلابي بباريس بدون منحة، وكان والده هو الذي ينفق عليه مبلغ خمسة آلاف فرنك شهرياً، يدفع خُمسها في الإيجار، وبعد السنة التحضيرية التي كانت سنة تأقْلم مع الحياة الجامعية وأجواء باريس السوداء دخل الطالب الجديد ميدان النضال الطلابي من بابه الواسع فقد أُنتخب خلال الموسم (1948-1949)م في الهيئة

التنفيذية لجمعية الطلبة المسلمين بفرنسا، هذه الجمعية التي ترأسها أربع مرات وكان محل إجماع الطلبة الأشقاء من تونس والمغرب، بالإضافة إلى الجمعية ترأس محمد أمير* الفرع الجامعي للطلبة الوطنيين وذلك إلى غاية 1955م[27].

في أواخر سنة 1951م شهدت باريس تجمعات ومظاهرات عربية بمناسبة استقلال ليبيا واجتماع الجامعة العربية بالعاصمة الفرنسية على هامش دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفي هذا الجو الحماسي أوصى حزب الشعب الطلبة الجزائريين المتخرجين بالذهاب إلى ليبيا لمساعدة هذا البلد الشقيق في بناء نفسه ودعم استقلاله.

وشهدت تونس في تلك الأثناء اصطدامات عنيفة ذهب ضحيتها أكثر من 10 طلبة من جامع الزيتونة وتضامناً مع هؤلاء الضحايا نظمت (ج.ط.ش.أ.م) يوم احتجاج مشفوع بإضراب عن الدروس والطعام وتخللته تجمعات ومسيرات، وقد احتضن مقر الجمعية بـ (115 شارع سان ميشال) تجمعًا هامًا حضرته وفود من الطلبة العرب والأفارقة والأسيويين، وكان من الطبيعي أن يثير هذا النجاح حفيظة الشرطة الفرنسية، فأوعزت إلى القضاء بتلفيق حوالي 14 تهمة أُلصقت كلّها بالطالب محمد أمير باعتباره رئيس الجمعية، ومن هذه التهم المشاركة في مؤامرة الزيتونة بتحريض الطلبة في تونس والمشاركة في مؤامرة تيزي وزو، ولحسن حظ المتهم أنه لم يسبق له أن زار المدينتين وجاءت الوزارة بمنشور وزّع عند مدخل الجمعية يتضمن تصريحات محظورة في رأيها نقلاً عن كلمة رئيس الجمعية في التجمع المذكور، فاعترف الطالب أمير بأنّ ما في المنشور من كلامه فعلاً وهذا الكلام سبق أن عُلق داخل الحرم الجامعي لكنه لم يكتبه ولم ينشره ولا يستبعد أن يكون كلامه قد وَجد أناس طيبين اجتهدوا في طبعه وتوزيعه[28] وبفضل هذه الحجّة التي أشار بها عليه محاموا حزب الشعب نجا رئيس الجمعية من قبضة الشرطة والسجون.

وفي جويلية 1952م عقدت بالجزائر ندوة للطلبة المناضلين لدراسات الوضع على ضوء نزوع الطلبة التونسيين والمراكشيين إلى تأسيس تنظيمات قطرية مستقلة وصادف الندوة إقدام حركة الضباط الأحرار بمصر على الإطاحة بالملك فاروق ويقول الدكتور أمير:« أن الندوة خرجت بفكرة منظمة جديدة باسم الاتحاد الإسلامي للطلبة المغاربة والسر في تكوينه أن الطلبة التونسيين والمراكشيين مقبلون على المشاركة في أحداث جسام ببلديهما، وليس مستبعدًا أن تلجأ إدارة الاحتلال هنا وهناك إلى حلّ وحضْر التنظيم الطلابي، وفي هذه الحال يمكن أن يجد في الاتحاد الإسلامي برئاسة الطالب محمد أمير ملجأً ووسيلةً لمواصلة النضال، ولكنّ التنظيم المغربي الجديد لم يجدْ التجاوب من الطلبة التونسيين والمغاربة الذين كانوا مشغولين بأوضاعهم الخاصة، الأمر الذي أغضب رئيس الإتحاد بعض الشيء لأنه وجد من أجله»، وفي نفس الوقت أخذ الطلبة الجزائريون يفكرون بأنه حان الوقت لدمج جمعية الطلبة المسلمين المغاربة بالجزائر وفرنسا في تنظيم واحد ونظرًا لعوامل كثيرة لم تتجسّد هذه الفكرة إلا في جويلية 1955م بتأسيس "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين".

ظلّ الطالب محمد أمير بن عيسى يناضل على جبهات مختلفة فعندما بادر الحزب الشيوعي الفرنسي بمحاولة تنظيم الطلبة الجزائريين في "اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس" سنة 1954م، كان أمير من الطلبة الوطنيين المتسللين في صفوفه وقياديه إلى جانب أنه لم يتوقف عن النضال في صفوف الاتحاد الإسلامي للطلبة المغاربة، وفي هذا الإطار أسّس الطالب محمد أمير مجلة

"مغرب الطالب" التي صدرت خلال الفترة (أفريل– ماي– جوان 1955م)، وقد نُشر في العدد الثاني من المجلة مقال كتبه صديقه الأديب فرنسوا مورياك عضو الأكاديمية الفرنسية بعنوان: "آخر رمضان" وكان المناضل محمد أمير قد وجّه دعوة إلى مورياك وماسينيون وروبير بارا لتناول فطور عشية عيد الفطر يوم 22 ماي 1955م معه وبعض زملائه واستغلال ذلك الظرف الإنساني ومحاولة تحسيس هذه الشخصيات الكبيرة المتواضعة بالقضية الجزائرية وخلفياتها[29]، هذا النشاط السياسي العلني بحكم منصبه كرئيس لـ(ج.ط.ش.أ.م) كان يواكبه نشاط سري نظرًا لانتماء الدكتور محمد أمير إلى أول قيادة لاتحاد اتحادية الجبهة الفرنسية، وكان هذا النشاط يتمثل في إرسال التقارير بانتظام إلى جماعة القاهرة.

3. إسهامات النخب الجزائرية في المشرق العربي خلال الفترة (1939–1962)م:

مما لاشك فيه أن الطلبة الجزائريون الذين شدوا الرحال إلى المشرق العربي، كانت لهم أوضاعهم الخاصة بهم حتى أنها في بعض جوانبها اختلفت جذريًا عن أوضاع زملائهم في أوربا أو أمريكا، وقد تمثلت الأوضاع الخاصة للطلاب الجزائريين في المشرق العربي في الظروف المادية القاسية والشاذّة من نوعها التي عاشها الطلاب سواءً خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها أو التي سبقتها، مما جعل الطّلاب الجزائريون يواجهون في كل مواقف حياتهم الدراسية صعابًا قاسية مؤلمة، وقد ساهمت الثورة الجزائرية حينما اندلعت في تفاقم هذه الصعاب والظروف التي كان يعيشها الطلاب الجزائريون في المشرق العربي[30].

وكمثال على هذه الصعاب يروي الطالب سعد الله أبو القاسم عن ظروف تلك المرحلة في مصر قائلاً:«بما أن قبولي في الدراسة سيضمنُ لي الإعانة المادية من الحكومة" ومنحة جامعة الدول العربية، إذ يقبض كل طالب جزائري حوالي خمس جنيهات شهرياً"، سعيت للالتحاق بأي كلية غير أن الأمور سارت على عكس ما أريد، فقبولي بالجامعة تأخر كما ساءت العلاقة بيني وبين الشيخ الإبراهيمي"مسؤول مكتب الجمعية والبعثات الطلابية" وهو ما جعلني أمر بمرحلة صعبة في حياتي، فقد سكنْتُ في ضاحية المعادي، بعد ذلك مع الزميلين "أبو القاسم الجبالي والتارزي الشرفي" اللذيْن منحاني بعض الغطاء والوطاء وأصبحت أنام على الأرض نحو ثلاثة أشهر، ومن الغريب أن هذه الأشهر كانت هي أشهر الشتاء في القاهرة»[31].
لقد كان الطلبة الجزائريون بالمشرق عمومًا وبالقاهرة خصوصًا يُشكّلون شريحة هامة في الجالية الجزائرية وكانوا على وعي سياسي كبير لأن معظمهم عانوا من ظلم الاستعمار الفرنسي قبل خروجهم من الجزائر، كانت معاناتهم سياسية وثقافية واقتصادية؛ وإذا كان زملائهم الدارسون في المدارس الفرنسية قد لا يحسّون بنفس المعاناة الثقافية، فإن طلبة القاهرة كانوا يحسّون بمعاناة مضاعفة لأنهم كانوا مقتنعين أن الاستعمار الفرنسي هو الذي تسبّب في غربتهما ضد ثقافتهم العربية الإسلامية وسرَق هويتهم الوطنية، لذلك كانوا غير متسامحين مع الذين يتسامحون مع الاستعمار ولو ثقافيًا[32].

كما أن كثرة عددهم ونفوذهم في دوائر الطلبة العرب قادهم إلى التفكير في تكوين منظمة تجمعُهم، فكانت "رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي"، ولم يكن من السهل عليهم الانضمام إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لولا قناعتهم بوحدة النضال ومواجهة العدو صفًا واحدًا، وكان بعض أعضاء الرابطة يعتقدون أنهم أحق بقيادة الحركة الطلابية المناضلة وتمثيل القضية الجزائرية من زملائهم في قادة الاتحاد العام، لأن القضية في نظرهم تعني تحقيق الهوية الثقافية للجزائر،

بينما لا تُمثل قيادة الاتحاد العام بتركيبتها البشرية وبآرائها تلك الهوية، وقد كان غالبية أعضاء الرابطة من الفئات الشعبية المحرومة، وهي نفس الفئات التي خرجت منها قيادة الثورة الأولى، ونتيجة لهذا الموقف الفكري الواضح أُتهم عدد من طلبة الرابطة بالبعثية والناصرية ومضادّة مقرّرات الصومام، وبالتالي ذهبوا ضحية اتهام باطل واختفوا عن الأنظار [33].

وعن أعداد هؤلاء الطلبة، كان قد سأل في ربيع 1954م الطالب علي مراد "ممثل فرع العاصمة لـ ج.ط.ش.أ.م" في رسالة بعث بها إلى الطالب رابح تركي الناشط في الحركة الطلابية بالقاهرة عن أعدادهم وتوزيعهم حسب الكليات والمعاهد، وتضمّن ردّ هذا الأخير بتاريخ 23 أفريل1954م المعلومات التالية:« كلية الآداب: حوالي 60 طالب من بينهم 14 طالبة، كلية الحقوق: حوالي 60 طالب من بينهم طالبة واحدة، كلية العلوم: 60 طالباً من بينهم 03 طالبات، كلية الطب: 65 طالباً من بينهم 03 طالبات، معهد الدراسات العليا: 30 طالباً، مدرسة تكوين القابلات والممرضات: حوالي 20 طالبة، أي أن مجموع الطلبة والطالبات يومئذ لم يكن يزيد عن 330 من مجموع 4500 طالب بجامعة الجزائر...»، وقد أرفق "علي مراد" ردّه عل رسالة تركي رابح بتكليف هذا الأخير بأن يُمثّل جمعية الطلبة بالجزائر في مؤتمر طلبة الشرق مشترطًا عليه، أن يُراعي موقف الطالب الجزائري المستعمَر، وختم التكليف بالعبارات التالية:« وما ترجوه جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا هو أن تبلّغ تحياتها الودية لإخواننا طلبة المشرق العربي ويُترجم عن عواطفنا المخلصة نحوهم، وأملنا في استرجاع مجدنا وإحياء هويتنا فليحيا شباب المشرق وليحيا شباب الجزائر عربًا أحرارًا»[34].

وعن نفس الظروف النضالية والمعاناة الاجتماعية ذكر مولود قاسم نايت بلقاسم عن أيام دراسته بالقاهرة (1950 – 1953)م قوله: « وكنت أنا مع قاسم رزيق على اتصال دائم بمكتب حزب الشعب الجزائري في القاهرة في إطار مكتب المغرب العربي الذي كان يضم الأحزاب المغاربية الثلاث، وكان مقر المكتب دار واحدة، هي في الواقع شقة واسعة للمكاتب الثلاث... إلى أن انتقل المكتب المغاربي المشترك كل حزب بقسطه إلى شقة أوسع في 32 شارع عبد الخالق ثروت، وكنا دائمي الاتصال والتنسيق مع الإخوة هناك»[35]، كما ذكر سعد الله أبو القاسم شيئًا عن مشاركته في النضال الطلابي بمصر: « وخلال إقامتي في مصر شاركت باسم الجزائر –بالإضافة إلى الدراسة– في بعض الأنشطة الطلابية كأسبوع شباب الجامعات بالإسكندرية وأسبوع جمع التبرعات للثورة الجزائرية والمقاومة الشعبية أثناء العدوان الثلاثي والتطوّع في جيش التحرير الجزائري ونشاط الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وتنظيم مكتبة الحكومة المؤقتة ونشر المقالات والقصائد...»[36] وللحديث عن مساهمات الطلبة الجزائريين ومشاركاتهم النضالية بمصر والمشرق العربي فردًا فردًا سيأخذ ذلك الحديث إلى جرد مجلدات ضخمة لا خاتمة لها، فمثلاً من الشخصيات الطلابية التي لا نعرف عنها الكثير لكن بالنظر إلى حجم دورها الطلابي بمصر نكون قد هضمنا حقها التاريخي في التذكير بها على الأقل: سعد بزيان 1931م، البشير كعيسي[37] دودو أبو العيد (1934–2002)، ركيبي عبد الله 1928م.

ولعلّ من أكبر الشخصيات الطلابية التي كان لها دور فعّال ومثمر في الحياة الطلابية بمصر هي شخصية الزيتوني الشاذلي المكي (1912–1988م) أصيل خنقة سيدي ناجي (بسكرة) أين وُلد وتعلّم حيث انتقل بعدها رفقة عائلته إلى تبسة

وهناك عكف على الدراسة والتحصيل، ليلتحق بعدها بجامعة الزيتونة أين تحصّل على شهادة التطويع وهناك كان له نشاط طلابي كبير حيث كان من المؤسسين لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، كما كانت له إسهامات ملحوظة في الأوساط السياسية والثقافية بتونس، وباندلا ع الحرب العالمية الثانية أُلقي عليه القبض واعتقل بمنفى جنين بورزق (عين الصفراء) وبعد إطلاق سراحه تفرّغ للنضال السياسي السري ليُتّهم في أحداث 08 ماي 1945م مما اضطره إلى السفر إلى عنابة ومنها إلى تونس ثم مصر، وكان الشيخ الفاضل بن عاشور هو الذي مكّنه من اجتياز الحدود التونسية الليبية، وفي مصر عمل ضمن نطاق الجامعة العربية ومنطقة شمال إفريقيا، وبعد اندلا ع الثورة وقَع له خلاف مع بن بلة، فقَبضت عليه السلطات المصرية مع أحمد مزغنة وأُودعا السجن العسكري إلى غاية 1960م[38].

قال عنه الرشيد إدريس: « الأستاذ الشاذلي المكي هاجر إلى القاهرة في نفس المدة التي وصل فيها بورقيبة إلى القاهرة، وكنت أعرفه في تونس مسؤولاً عن الطلبة الجزائريين ومتّصلاً بجمعية العلماء وتحصّل على نيابة من حزب الشعب الجزائري ورئيسه مصالي الحاج في مصر»[39]، وتحدّث عنه في موضوع آخر قائلاً: « لقد لقيت الأخ الشاذلي المكي يبذُل وحدَه الجهود للتعريف بالقضية الجزائرية والمغاربية، وكان مجهوده والحقّ يُقال مجهودًا جبارًا، لأن قضية الجزائر كانت قضية دقيقة وشائكة، وإن كانت لا تختلف في أصلها عن قضايا الأقطار المغربية الأخرى، أو الأقطار المنكوبة بالاستعمار، وبمناسبة الذكرى الثانية لحوادث 8 ماي 1945م نظّم الشاذلي المكي باسم حزب الشعب الجزائري احتفالاً منفردًا أحيا به ذكرى المجازر...»[40].

لقد تزامن نشاط مكتب المغرب العربي بأوروبا مع هيئة مغاربية أخرى ظهرت بالمشرق العربي هي جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية قال عنها كرو: « أنها تأسّست بعد الحرب العالمية الثانية من طرف الشيخ محمد الخضر حسين»[41]، هذا الأخير كان قد أسّس جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا سنة 1923م، وتطوّرت نظرته إلى هذا الموضوع عبر السنين وأصبحت ذات صبغة سياسية برزت في تأسيس جمعية تدعى "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" إثر الحرب العالمية الثانية، وفي ذلك يقول مواعدة: « إنه لم يعثر على معلومات تبيّن ظروف تكوين هذه الجبهة»[42] والملاحظ هنا أن أفكار الشيخ الخضر حسين السياسية الوحدوية المغاربية لم تتطوّر خلال الفترة التي ذكرها الدارس لحياة الشيخ إنما كانت قبل ذلك[43]

ويعود ظهور الجبهة إلى اجتماع القاهرة خلال مارس 1944م[44]، وهي بقيادة رجل يدعى الأمير مختار الجزائري، ويضيف أن أعضاء اللجنة كانوا من المهاجرين الجزائريين في المشرق، ولعلّ من بينهم مغاربة وتونسيون وستكون هي مقدمة لمكتب المغرب العربي أما عن ظروف نشأة الجبهة، فقد ورَد في مقال للأمير مختار الجزائري بعنوان: "كيف تكوّنت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية؟" مفاده أن برقية أتتْهُ من "يافا" بفلسطين وهو في بيروت، في يوم من أيام ذي العقدة 1362هـ ونوفمبر 1943م، طلب صاحبه من الأمير الحضور إلى يافا، ولما قصدها وجد بها الشيخ الفضيل الورتيلاني في انتظاره، وجمعهما لقاء مع اثنين من الأصدقاء استعرضوا خلاله "أمجاد ماضي الجزائر والعرب والإسلام"، وبعد هذا اللقاء انتقل الأمير إلى القاهرة منفردًا ثم بعائلته حيث تمَّ تأسيس « جمعية الجالية الجزائرية وكان في عضويتها شخصيات عربية وإسلامية، وكانت الهيئات على اتصال برجال من أبناء المغرب العربي أمثال: الشيخ محمد الخضر حسين وإبراهيم أطفيش والفضيل الورتيلاني وغيرهم، وكانوا

جميعاً يؤمنون بعدالة قضية المغرب العربي في وجه الاستعمار الفرنسي، ومن هنا تولّدت فكرة إيجاد هيئة جامعة تتناول قضية إفريقيا الشمالية الموحدة[45].

ومن ذلك أن رئاسة هذه الجبهة أسندت إلى الشيخ محمد الخضر حسين، وتولى الفضيل الورتيلاني منصب السكرتير العام، ومن أعضائها البارزين: الدكتور محمد عبد السلام العبادي، وأحمد نجيب برادة، والحاج أحمد بن قايد ومصطفى(بك) يرم، والشيخ إبراهيم أطفيش والشيخ إسماعيل علي والشيخ السعدي عمار والحاج اليمين الناصري ومن الشباب: أبو مدين الشافعي وأحمد بن المليح وحمود بن قايد وأحمد السعدي ومحسن بيرم[46].

وكان أول بيان للجبهة هو الذي صدر منددًا بأحداث 8 ماي 1945م، « لعله من قبيل الصدف، أن أول بيان للجبهة المذكورة كان عن ثورة الجزائر العربية في أحداث ماي 1945م وقد جاء فيه: «أن القطر الجزائري كشقيقيه تونس ومراكش يعيش اليوم موجة من الاضطهاد لا يكاد الإنسان يجد لها نظيرًا في تاريخ البشرية» إلى أن يقول: «وهذا جزاءُ الجزائر التي آوت فرنسا المنهزمة يوم محنتها الكبرى وشاركت بمئات الآلاف من زهرة شبابها محاربين في صفوف الحلفاء في سبيل تحريرها، ولا تزال أنباء بطولتهم في محاربة الفاشية في تونس وصقلية وإيطاليا وفرنسا وبجميع الميادين الأوروبية..»[47]، لقد كان العنصر الفعّال في تسييرها هو الشيخ الفضيل الورتيلاني الذي كان أمينها العام، وقد بذل جهودًا كبيرة في سبيل خدمة قضايا الجزائر والمغرب العربي[48]، ولقد سعى في إطار الجبهة بالتعريف بقضية الأقطار المغاربية فندّد بالاستعمار الفرنسي وقدّم مذكرات احتجاج إلى الهيئات الرسمية وعقد ندوات ومؤتمرات عدّة في هذا السياق[49]، ومن الواضح أن الجبهة تأسّست بهدف تحقيق استقلال المغرب العربي ووحدته، ومن الذين انظموا إلى الجبهة من تونس الشيخ محي الدين القليبي من الدستور القديم، والحبيب بورقيبة من الدستور الجديد[50]، ومن الجزائر الصديق السعدي ومحي الدين القلي[51]، وقد استمر العمل المتحد بين أعضاء الجبهة إلى غاية سنة انعقاد مؤتمر المغرب العربي عام 1947م وكانت الجبهة على اتصال بمنطقة المغرب العربي بواسطة الحجاج المغاربة وعن طريق الصحافة[52].

وانحصرت أعمال الجبهة في الأمور الآتية: إطلاع الرأي العام في المشرق بأوضاع إخوانهم في المغرب العربي ولفْت انتباه قادة العرب من ملوك ورؤساء وشخصيات سياسية بقضايا المغرب العربي وغالبًا ما انتهزت الجبهة فرصة المناسبات الدينية والوطنية لتهنئتهم والاتصال بهم والتحدّث إليهم عن أحوال المنطقة وتوجيه المذكرات والبرقيات إلى الدول العظمى، حاولت الجبهة كذلك الاتصال بالشعوب العربية في المشرق العربي، إذ أوفدت أمينها العام الشيخ الورتيلاني في جويلية 1946م إلى سوريا ولبنان « لإثارة الرأي العام فيها عن قضية المغرب العربي بواسطة المحاضرات والصحافة والاتصال برجال الحكم والنوّاب والزعماء والهيئات»[53]، وكان يعينُه في ذلك عدد من المهاجرين الجزائريين أمثال: زين العابدين بن حسين و(أخ الخضر حسين)، والأمير مختار الجزائري، والأمير سعيد الجزائري..[54].

وأصبحت الجبهة بالقاهرة كذلك قلعة لاستقبال "أحرار" المغرب العربي، واحتضانها لهم كاستقبالها للحبيب بورقيبة ومحي الدين القليبي والأمير عبد الكريم الخطابي وجماعة مكتب المغرب العربي بأوروبا الذين التحقوا بمصر وهم: الحبيب ثامر،

الطيب سليم، والرشيد إدريس، والهادي السعيدي، وحسين التركي[55]، ويبدو أن الجبهة قد انحلّت خلال سنة 1948م، فآخر بيان لها صدر في 1948/04/24م موقّع من طرف الرئيس الشرفي للجبهة "عبد الكريم الخطابي" والرئيس "محمد الخضر حسين" يدعو النداء الأهالي إلى الاتحاد في مكافحة الاستعمار وإلى نبذ الخلافات الحزبية[56]. ومن الجمعيات المغاربية الأخرى التي ناضل تحت لوائها الوطنيون الجزائريون قبل تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة نذكر مثلاً:

أ – جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية: جاء في جريدة الوزير[57] التونسية عن ظروف تأسيسها ومبادئها وأهدافها ما يلي: « نهضت هذه الطائفة وأخذت تدعو إلى تأليف جمعية خيرية أدبية تسمى جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية فوجدت لدعوتها تلبية من ذوي النفوس الشريفة الداعية إلى الخير والإصلاح بضمائر مخلصة وهمم، فكان هذا الإقبال الذي تجلى لأول مرة بإجابة الدعوة، مما قوى أملهم وزاد عزمهم ونشاطهم فوضعوا لهذه الجمعية قانوناً وعرضوه في جمع كبير من أبناء تلك الجاليات، وبعد المناقشة في بعض مواده وتنقيحه عقدوا الاتفاق على العمل به، ثم اجتمعوا بمحل عيادة حضره الدكتور عبد العزيز قاسم لانتخاب مجلس يُدير هذه الجمعية فأسفر الانتخاب عن حضرات الأستاذ (كذا): محمد عبد الوهاب المحامي وعبد العزيز قاسم المراكشي، والأستاذ محمد الرزقي والدكتور عبد السلام العبادي عن الجزائريين، والسيد محمد الخضر والطاهر محمد التونسي عن التونسيين والأستاذ محمد التهامي نصر والأستاذ عبد الله عبد الكافي عن الطرابلسيين ثم أنتخب حضرة صالح أفندي مبروك، أمينًا للصندوق والأستاذ علي محمد شقرون كاتب السر العام، ثم عقد مجلس الإدارة بعد ذلك اجتماعاً لانتخاب الرئيس وإنجلى الانتخاب عن اختيار حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد الخضر حسين».

ومن أهداف هذه الجمعية: « إسعاف ذوي الحاجات منهم والقيام على تعليم أطفالهم الفقراء وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية لتنوير الأفكار وبثّ الأخلاق الحميدة، مما يعود عليهم بالفوائد الكبيرة ويُدخلهم في حياة لذيذة وسعادة صافية ﴿وَاللهُ يَدْعو إلى دَارِ السَّلامِ ويَهدي مَن يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتقيمْ﴾، أما مقرها فيمكن مخاطبة الجمعية باسم الرئيس إلى هذا العنوان : مصر، عيادة الدكتور عبد العزيز قاسم بالسبع قاعات البحرية بالسكة الحديدية...»[58].

ب– جمعية مجاهدي أفريقية الشمالية : هي مثلها مثل جمعية مهاجري إفريقيا وربما هي امتداد لها حيث جاء في جريدة الدفاع ليوم الأربعاء 1949/01/03م، نداءً صادرًا عن فرقة الأمير عبد القادر الجزائري، بخصوص عقد مؤتمر عام لتحرير إفريقيا والتي يقصد بها في أدبيات المهاجرين الجزائريين (بلدان المغرب العربي)، ومن المعروف أن فرقة الأمير عبد القادر كانت منضوية في كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين والتي انبثقت عنها أيضا جمعية مجاهدي إفريقيا الشمالية التي أصدر رئيسها الأمير سعيد في 1948/01/12م يحثّ فيه على الجهاد ضد الصهيونيين[59] ومن أهداف هذه الجمعية:

- ✓ العمل على تحقيق حرية شعوب شمال إفريقيا وبقية الشعوب الإفريقية الأخرى.
- ✓ السعي نحو ضم شعوب شمال إفريقيا إلى مجلس الأمم المتحدة.
- ✓ العمل على رفع الاضطهاد الديني والسياسي والاقتصادي الذي ترزح تحته الشعوب الإفريقية بصفة عامة وشعوب شمال إفريقيا بصفة خاصة[60].

ج – جمعية الدفاع عن أفريقية العربية: تأسّست هذه الجمعية في دمشق إثر اجتماع عُقد في منزل مفتي المذهب المالكي في سورية الشيخ محمد مكي الكتاني أحد علماء المسلمين المهاجرين من المغرب الأقصى وجرى الاجتماع في جوان 1946م، وقد نصّت المادة الثانية من القانون الأساسي لهذه الجمعية بأن:« غايتها هي جمع كلمة المهاجرين وتقوية الروح الوطنية والروابط القومية والتعريف بقضية البلاد الأفريقية العربية، وقد كان من مؤسسي الجمعية شخصيات جزائرية ومغاربية مهاجرة أمثال: أحمد جودت الهاشمي، كامل عيادة، عبد الغني البجقني، هادي الئيس، كامل التونسي، على الجزائري، عمر فرحات حسن فرحات، محمد المبارك مطيع المرابط وغيرهم من الشخصيات المغاربية»[61]، وكانت الجمعية نشيطة في تنفيذ المهمات التي ألزمت نفسها بها، حيث يتّضح ذلك من وثائقها ومراسلاتها مع العديد من الشخصيات والمؤسسات السياسية والإعلامية، كما يتضح من خلال دعوتها واستضافتها لشخصيات نضالية مغاربية بارزة مثل: علال الفاسي الفضيل الورتيلاني، الأمير عبد الكريم الخطابي، البشير الإبراهيمي، الحبيب بورقيبة يوسف الرويسي الحبيب ثامر...

د– **جمعيات تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت:** يبدو أن جمعية تحرير المغرب العربي هي اسم آخر قد يكون وارثاً لجمعية الدفاع عن إفريقيا العربية، حيث أقيمت في لبنان جمعية في نفس الفترة تحمل نفس الاسم مركزها الرئيسي في بيروت ويرأسها السيد عبد السلام بوعزة الجزائري، التاجر المعروف بتجارة الترانزيت، حيث اشتهرت بأنشطتها المتنوعة والمكثفة لصالح استقلال دول المغرب العربي بالتنسيق مع لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة وضمت في عضويتها من الجزائريين، محمد علي الحسيني الجزائري، عمر فرحات، حسين فرحات، محمد المبارك، ومن التونسيين يوسف الرويسي، وكامل التونسي[62].

ومن الواضح أن هذه الجمعية نظّمت في سوريا حملة خاصة لجلب الدعم للنضال التونسي بالتعاون مع الحزب العربي القومي في "حلب" حيث انتهز الجميع فرصة انعقاد المؤتمر الطبي العربي فيها بتاريخ 1946/08/28م، فحوّلوه إلى مظاهرة سياسية لاستقبال الحبيب بورقيبة وزميله يوسف الرويسي، وقد أصدرت الجمعية بالتنسيق مع الحزب العربي القومي وثيقة من (44) صفحة بعنوان "المظاهرات العربية الكبرى التي قامت في الشهباء لنصرة المغرب العربي «بمناسبة زيارة زعماء الحزب الحر الدستوري التونسي، ويبدو أن هذه الجمعية كانت أول من طرح مسألة الاضطهاد الفرنسي للثقافة العربية في الجزائر، وعموم بلدان المغرب العربي في المحافل الدولية، فقد ورد في تقرير قدّمته هذه اللجنة عام 1948م إلى مؤتمر اليونيسكو في بيروت يحمل عنوان "حالة التعلّم بالمغرب العربي في ظل الاستعمار الفرنسي" وهو عبارة عن كتيب يحتوي ثلاثة تقارير ومقدمتين إحداهما لرئيس الجمعية في لبنان (عبد السلام بوعزة)، أما التقرير الأول فعن الحالة التعليمية والثقافية في الجزائر وقّعة الشاذلي المكي موفَد حزب الشعب الجزائري إلى المشرق العربي[63].

كان لانعقاد مؤتمر المغرب العربي عام 1947م أثره العميق في حركة بلدان شمال إفريقيا بالمشرق وفي الحركات الوطنية داخل الأقطار الثلاثة خاصة[64]، وأن المؤتمر روعي فيه أن يكون الممثلين من الحركات القائمة في شمال إفريقيا حتى يكتسب صفة الإجماعية التي تعطي لقراراته قوة تأييد الأحزاب برمّتها، وقد انعقد هذا المؤتمر برئاسة فخرية من الأمين العام للجامعة

العربية "عبد الرحمان عزام" كما حضر جلسته الافتتاحية شخصيات عربية ولها مكانتها، وناقشت الجلسة الثالثة لمؤتمر المغرب العربي(1947/02/16م) مشروع لجنة توحيد مكاتب الدعاية، فتقرّر تكوين مكتب المغرب العربي، وهو مكتب مشترك بين رابطة الدفاع عن مراكش، والوفد الخليفي في لجان الجامعة العربية وحزب الشعب الجزائري وحزب الدستور التونسي، وبفضل هذا المكتب أصبحت القاهرة مطمح الذين يهتمون بالشؤون المغاربية ومحجّ الوافدين من شمال إفريقيا إلى درجة توصلت معها الحكومة المصرية لتلقي احتجاج من السفارة الفرنسية التي اعتبر المكتب قضية توزيع أوراق التعريف والجوازات الخاصة في إطار تسهيله عملية التعليم للطلبة الوافدين[65]، ولقد قام مكتب المغرب بعدة أعمال من بينها فضح تصرفات الاستعمار عن طريق نشرة منتظمة تصدر ثلاث مرات في الأسبوع، إصدار نشرة خاصة بالصحف التي كانت تصدر في الأقطار الثلاثة، العمل على نشر كتاب عن كل قطر مغربي، ولتدويل قضية بلدان شمال إفريقيا الثلاث، عمل كذلك على نشر كتب بالفرنسية والانجليزية، وفي سنة 1952م، تعزّز مكتب المغرب العربي بقدوم شبان جزائريين بعضهم كان أعضاء في حزب الشعب: محمد خيضر، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد؛ وتزامن هذا الوجود الجزائري بعودة علال الفاسي إلى القاهرة.

لقد ساهم مكتب المغرب العربي في إخراج القضية الجزائرية ومن ثم القضية المغاربية من دائرتها الضيقة إلى المحيط الدولي بوجه عام، والمحيط العربي بوجه خاص، وقد صرحت مجلة فرانس FRANCE : « أن مكتب المغرب العربي أصبح نوعيًا امتدادًا من امتدادات الجامعة العربية أو قسمًا مكملاً لها»[66] ومن الأنشطة التي قام بها الوطنيون الجزائريون بالمشرق أنهم شكّلوا كتيبة داخل فيلق الطلبة العرب وشاركوا في معركة قناة السويس[67]، وكان الاتجاه الراديكالي الداعي إلى العمل المسلح يتزايد داخل مكتب المغرب العربي فبعد سنة واحدة من تشكيل المكتب، تكوّنت في جانفي 1948م لجنة تحرير المغرب العربي برئاسة عبد الكريم الخطابي، وأصبحت المسألة الرئيسة هي التنسيق بين مختلف الأحزاب الوطنية المغاربية لإعلان الكفاح المسلح في كل شمال إفريقيا، ووقّع في تاريخ 29 ماي 1954م بالقاهرة على ميثاق لاتحاد كومندو شمال إفريقيا، وقد سبقه اتفاق سري أبرم في 1951م، مابين ممثلي كل من حزب الاستقلال وحزب الدستور الجديد وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وليس من الصدفة أن يلقّب أوائل رجال المقاومة الجزائرية من طرف الفرنسيين "بالفلاقة"، وفي سنة 1951م تحقق رابط آخر بين الوطنيين الجزائريين في المشرق حين أرسلت إدارة حركة الانتصار بعض مسؤولي المنظمة الخاصة المتابعين أمنياً إلى القاهرة للإفلات من الاعتقال حيث شكّلوا أول وفد خارجي للحزب بالمشرق والذي ضم كل من آيت أحمد، محمد خيضر وأحمد بن بلة، كما أن ممثلي النهج الثوري سيعيشون سنوات مهمة من التقارب المباشر مع لجنة تحرير المغرب العربي[68]، وهناك وقائع وشهادات كثيرة تدعّم فرضية تشكيل اتحاد كومندو شمال إفريقيا، لكن تبقى نادرة ومقتضبة وعلى سبيل المثال، منذ الشهور الأولى للثورة في جنوب تونس ساعد جيش التحرير الجزائري (لزهر شريط وطاهر لسود) على تنظيم وحدات جيش التحرير التونسي، كما أن أنصار"صالح بن يوسف" ساعدوا مباشرة الثوار الجزائريين[69]، كل شيء يؤكد بأن تحالف وحدات جيش التحرير الوطني الجزائري وجيش التحرير التونسي يسجّل واقعيًا في إطار مشروع ثورة عامة بشمال إفريقيا.

لقد لعب مكتب المغرب العربي بالقاهرة دورًا طلائعيًا في إنجاز الوحدة السياسية والمغاربية بصفته مؤسسة انبثقت عن الحركة الوطنية المغاربية بالذات، كما كان امتدادًا دوليًا للكفاح الوطني داخل بلدان المغرب العربي، وقد جاء تأسيس مكتب

المغرب العربي في دمشق سنة 1946م، قبل تأسيس مكتب القاهرة، إلا أن التنسيق بين المكتبين كان محكمًا، سواء على مستوى التصوّر والخطة السياسية أو على المستوى العملي التطبيقي، ثم تأسيس مكتب المغرب العربي بنيويورك سنة 1947م، إلا أنه لم ينجح في إدماج عناصر المغرب العربي حيث اقتصر على مناضلي المغرب الأقصى، بينما قام التونسيون والجزائريون بأنشطتهم على انفراد، قامت جماعات وجمعيات أخرى في برلين وباريس وجنيف بالدعاية لقضية المغرب العربي منذ الثلاثينات لحصوله على الاستقلال.

مما تجدر ملاحظته عن النشاط النقابي للطلاب الجزائريين بصفة عامة أنه كان تقريبًا متوازيًا ومتماشيا مع أحداث الثورة وتطويرها، ففي نفس الوقت الذي كان فيه النشاط الطالبي في الجزائر وفي فرنسا حثيثًا يبحث عن طريقة يجمع بها شمل الطلبة حيثما كانوا، وفي وسائل تعبئتهم والتفافهم حول الثورة تأسّست رابطة الطلبة الجزائريين في مصر في صيف سنة 1956م[70]، أما في سوريا فقد تأسّست قبل ذلك بسنة لجنة الطلبة الجزائريين، وبالضبط في مارس 1955م[71].

ومن العوامل التي ساعدت على تكاثف النشاط السياسي للطلاب الجزائريين أن أعدادهم قد تضاعفت بين سنتي (1957– 1958)م، وذلك بقدوم عدة بعثات طلابية من الجزائر وتونس، ولذلك كان لمكتب المغرب العربي في دمشق الذي كان يرأسه آنذاك يوسف الرويسي، دور في النشاط السياسي الذي لعبه الطلبة الجزائريون في سوريا، ومما يُلفت الانتباه أن الطلبة الجزائريين في سوريا كانوا مهيكلين بطريقة أو بأخرى في أربع منظمات محلية هامة هي(لجنة الطلبة الجزائريين) "1955– 1958"م، التي تحوّلت فيما بين 01 سبتمبر و06 سبتمبر 1958م إلى رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي، ورابطة طلاب المغرب العربي التي تأسّست في سوريا في سنة 1956م[72].

وكان صيف عام 1959م الخطوة الحاسمة التي بلغ فيها طلابنا في المشرق العربي غايتهم في التنظيم والتلاؤم بحيث انضوى جميعهم تحت لواء الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، لقد تعدّدت أنشطة الطلبة الجزائريين في سوريا وشمل مجالات واسعة يصعُب علينا تحديدها وضبطها في هذا المجال، ومما يلاحظ على هذا النشاط أنه ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالقضية الوطنية والتعريف بآفاقها وتطوّر أحداثها داخليًا وخارجيًا، لذلك أنشأوا مجلتين الأولى هي مجلة "كفاح المغرب العربي"(05 أعداد)، والثانية "نشرة ثقافية" (أعداد غير معروفة).

4. **الخاتمة:** إن هذا النشاط الفيّاض للنخبة الوطنية بالمهجر كان يعكس من جهة الحالة الواقعية لنضجهم السياسي، ومن جهة أخرى نوعية وحقيقة التحوّلات التي سيشهدها المجتمع الجزائري فيما بعد الاستقلال، فالمكانة التي كان يحتلها العنصر الجزائري ضمن تلك الحركية الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في تلك الأقطار، إن أنشطة الجزائريين السياسية والجمعوية والصحفية والنقابية والفكرية والأدبية... تحيلنا إلى تبني نتيجة مهمة وهي: أن منطلقات النخب الجزائرية كانت منطلقات ثقافية مضمرة في شخصيتهم من غير تكلف وموارية والتي هي في الأخير وعي مدرك بقضية الوحدة وإيمان يقيني بضرورة التوّحد، بل أن المنطلقات نفسها شكّلت في فترة زمنية سابقة رهاناً حقيقياً في مصير الجزائر، ذلك أن تصفحنا لبرامج وأهداف ومطالب التيارات الوطنية الجزائرية ينتهي بنا إلى خلاصة واحدة وهي اقتران المطلب الوطني بالمطلب القومي من غير تناقض بينهما.

الهوامش:

1- قالت عنه الشرطة الفرنسية سنة 1943م بأنه كان يلعب ورقة ألمانيا لانتصار أطروحات نجم شمال إفريقيا.

2- Ageron(Ch.R),"Contribution à l'étude de la propagande Allemande au Maghreb Pendant la Deuxième Guerre Mondiale", R.H.M, n°(7-8), Tunis, Mois Janvier 1977, P24.

3- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص 208.

4- Ageron , "Contribution à l'étude", R.H.M, N°(7 -8), P26.

5- بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910- 1954)م، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر: (1993-1994)م ، ص 269.

6- الرويسي يوسف، "نشاط مكتب المغرب العربي ببرلين" أكتوبر 1943–مارس1945"، م.ت.م، ع (7– 8) تونس: جانفي 1977م، ص.ص(23-24).

7- الطاهر (عبد الله)، الحركة الوطنية التونسية، ط2، تونس: دار المعارف للطباعة، 1990م ، ص 216.

8- هلال (عمار)، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر: دار هومة، 2004م، ص23.

9- نفسه، ص24.

10- نشرية أصدرتها جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس.

11- الثمرة الثانية، إصدار جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس(1947– 1948)، تونس: مطبعة التليلي، بلا تاريخ، ص.د

12- بلقاسم (محمد)، المرجع السابق، ص 354.

13- رمضان عبد المجيد، ثوار الجزائر، الجزائر: دار نزهة الألباب، 2004 م، ص 58.

14- بلقاسم (محمد)، المرجع السابق ، ص. ص (355 – 356).

15- الورتيلاني (الفضيل)، الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى، 1992م، ص 365.

16- HARBI (M), Aux Origines du Front de Libération Notional : le scission du P.P.A – M.T.L.D, Paris : Christian Bourgeois , 1975 . P175.

17- بلقاسم محمد، المرجع السابق ، ص 358.

18- نفسه، ص 361.

19- HARBI , Aux Origines. P 90.

20- HARBI , Aux Origines. P 90.

21- Harbi(M),Une Vie Debout, Mémoires Politiques,T1, 1945–1962,Alger:1ère Ed, CASBAH,2001, P100.

22- للتوسع طالع :" مؤتمر شمال إفريقيا المسلمين"، المباحث، ع26، مارس 1947م.

23- Guy (Perville), les étudiants Algériens de Université française(1880-1962), Paris: Ed. du C.N.R.S, 1984, PP(111-112).

24- الاتحاد العام لطلبة تونس، المؤتمر القومي الثالث 1955م تونس: مطبعة نشريات حسان مزالي، د.ت، ص.ص(46-47).

25- من ذلك مثلاً أنه خلال شهري ديسمبر 1958م وجانفي 1959م وقع إلقاء القبض على ثلاثين طالبا جزائريا يدرس بفرنسا ثلاثة عشر منهم بباريس 26- ضيف الله (محمد)، المدرج والكرسي، تونس: مكتبة علاء الدين، 2003م، ص 117.

27- نفسه ، ص59.

28- نفسه، ص 60.

29- نفسه، ص.ص(63- 64).

30- هلال (عمار)، المرجع السابق، ص 68، للتوسع حول هذه الظروف يراجع: شاوش (حباسي) "محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع07، الجزائر: 1993م، ص 145.

31- سعد الله (أبو القاسم)، مسار قلم (يوميات)، ج1، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص21.

32- نفسه، ج1، ص 30.

33- نفسه، ص 14.

34- عباس (محمد)، مثقفون في ركاب الثورة: ج2، الجزائر: دار هومة، 2004م، ص ص(60 -61).

35- بن نعمان (محمد)، مولود قاسم نايت بلقاسم، ط2، الجزائر: دار الأمة، 1997م، ص20.

36- سعد الله (أبو القاسم)، مسار قلم، ج2، ص10.

37- ذكر الدكتور إبراهيم فخار في حديثه عن صالح الخرفي أن كعيسي كان رئيسا للطلبة الجزائريين بالقاهرة باسم جمعية العلماء عام 1957م، - راجع - بلحاج (قاسم أحمد)، الشاعر صالح الخرفي، الجزائر: جمعية أنغام الحياة الثقافية، 2004م، ص68.

38- بوشارب (عبد السلام)، تبسة (معالم وآثار)، الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.ص. ص (37- 38).

39-,Centre de documentation National, B5-43, doc n1 الصباح 17 جوان 1980م.

40- Centre de documentation National, B5-43, doc n1 الصباح 18 جوان 1980م.

41- كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي، 1973م، ص 05.

42- مواعدة (محمد)، محمد الخضر حسين، تونس: الدار التونسية لنشر، 1974م ، ص 119.

43- للتوسع في نشاط الوطنيين التونسيين والجزائريين بالمشرق أثناء الحرب العالمية الثانية يراجع: - شاوش (حباسي) المرجع السابق، مجلة الدراسات التاريخية ، ع07، ص. ص(145-147).- الآجري (محمد صالح)، تطور الحركة التونسية، ج1 تونس: الدار التونسية للنشر، 1974م، ص.ص(130-140)، - داهش (محمد علي)، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2004م ، ص.ص(174-178)- الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المغرب: دار الطباعة المغربية، 1948م ، ص.ص(407-408).

44- سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص 243.

45- الورتيلاني، المصدر السابق، ص.ص(284- 286).

46- عبد الباقي (علي محمد)،" أصداء الثورة الجزائرية في الشرق العربي من خلال جهود الورتيلاني"، مجلة سيرتا، ع 7/6 الجزائر: جويلية 1982م، ص 45.

47- الورتيلاني، المصدر السابق، ص 299.

48 - مرحوم (علي)،"مواقف من جهاد الفضيل الورتلاني" الثقافة، ع34، الجزائر: أوت/سبتمبر 1976م، ص.ص(56-58) للتوسع يراجع: - عبد الغفار (محمد حسين)، الحركة الوطنية في تونس (1881- 1929)م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة القاهرة، مصر: 1980م، ص.ص(145- 155)، - بوصفصاف (عبد الكريم)، ج.ع.م.ج ودروها في الحركة الوطنية، الجزائر: دار البعث، 1981م.، ص 348.

49- الزربي (الهادي)، ثورة (1915-1918)م ودورها في تحريرها المغرب العربي، تونس مطبعة الخدمات السريعة، 2002م ص.ص (25- 26).

50- مواعدة، المرجع السابق، ص 120.

51- فضلاء (محمد الحسن)، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، الجزائر: دار هومة، 2000م ، ص 75.

52- الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص 270.

53- الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص 287.

54- الرويسي (يوسف)، " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق"، م.ت.م ، ع12، تونس 1978م، ص 209.

55- الورتيلاني، المصدر السابق، ص.ص (330 – 331).

56- بن العقون (عبد الرحمان)، الكفاح القومي والسياسي، ج3، ، الجزائر: م. و. ك، 1984م.، ص.ص (60 – 61).

57- الوزير، ع 175، تونس : 23 سبتمبر 1924م.

58- نفسه.

59- الخالدي (سهيل) الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في الشام، الجزائر: دار الأمة، 1997م، ص. ص (166- 167).

60- نفسه، ص 168.

61- نفسه، ص 169.

62- بشيري (أحمد)، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، الجزائر : منشورات تالة،2005م، ص ص (54 – 57).

63- الخالدي، المرجع السابق، ص. ص (172- 173).

6 4- Centre de documentation National, B5-43, Op. Cit155 -157-

يراجع أيضًا :- الشوكي (عبد الرحمان السيد)، مصر والحركة الوطنية في الجزائر منذ ح ع01 حتى الاستقلال، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر: 1991م ، ص. ص(148-49). - مكتب المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة 1947/02م، مصر:مطبعة المكتب الثقافية، ب.ت، ص.ص(3-19).

56- جربال (دحو)، جيش التحرير المغاربي، الجزائر: مؤسسة محمد بوضياف، 2004م. ص 150-يراجع السروجي (محمد محمود)، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال، القاهرة: مطبعة المصري،ب.ت.، ص.ص(225- 226).

66- مكتب المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من (15 إلى 22 فيفري 1947)، مصر : مطبعة المكتب الثقافي الدولي ،ب.ت.، ص.ص(225-226). يراجع: - الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص 380.

67- جربال، جيش التحرير، ص157.
68- الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص408. يراجع أيضا: - بشيري، المرجع السابق، ص 56.
69 - ALI(HAROUN), La 7 Wilaya La Guerre du F.L.N en France, Paris, Le Seuil, 1986, P40.
70- عمار (هلال)، نشاط الطلبة، ص 74.
71- نشرة الاتحاد العام للطلبة الجزائريين – فرع دمشق – ع01، دمشق: 1960/01/1م، ص 17.
72- نفسه، ص 87.

الدور الاجتماعي للمدرسة الجزائرية ومكانة الطفل المهام الاجتماعية، الصعوبات والعوائق

د.عبد الباسط هويدي
جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

يعمل المجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية على غرس قيمه واتجاهاته ومعاييره في الأفراد ويشكل بذلك أرضيته الإدراكية أو إطاره المرجعي. والمجتمع يقوم بذلك من خلال العديد من المؤسسات ومن أهمها المدرسة.ولا شك أن للطفل مكانة هامة في المجتمع لذا فإن تنشئته وتعليمه وتلقينه القيم يعد أحد أهم ادوار المدرسة.

وسوف نحاول من خلال هذا المقال التعرف على المهام الاجتماعية للمدرسة والعوائق التي تحول دون أدائها دورها المنوط بها، كما سنتعرف من خلال هذا المقال على مكانة الطفل في هذه المؤسسة وأهمية تعليم الأطفال، وعلى التكامل بين المدرسة وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية بهدف غرس القيم المجتمعية التي تكفل الحفاظ على الناشئة من الآفات الاجتماعية.

Abstract:

Society is working through socialization to instill values and trends and standards in individuals, and so it forms the floor cognitive or referential framework, The Society does so through a variety of institutions, the most important school.

There is no doubt that children have an important place in the Society so the upbringing, education and teach values are one of the most important roles of the school .

We will try through this article to identify the social functions of the school and obstacles that prevent their performance role assigned to it, As we will discuss in this article to the status of the child in this institution and the importance of children's education, and the integration between the school and the rest of socialization institutions in order to instill Society values that ensure the maintenance of the emerging social ills.

مقدمة:

تعتبر المدرسة وسيلة المجتمع لتعليم الناشئة وتهذيبهم وتربيتهم وإعدادهم للمستقبل وهي بذلك تؤدي عدة مهام أهمها ما يتعلق بالمحافظة على بقاء هذا المجتمع و استمراره و ثبات نظمه و معاييره الاجتماعية وقيمه وخبرات ومعارف الأجيال السابقة. و تحقق المدرسة هذا الهدف بنقلها التراث الثقافي للجيل الجديد. وبذلك يكون دور المدرسة هو تنمية السلوك الإنساني وتطويره وتغييره لكي يناسب كل ما هو سائد في مجتمع ما. فالمدرسة تهدف إلى إعداد وتشكيل الفرد للقيام بأدواره الاجتماعية في مكان ما وزمان ما، على أساس ما هو متوقع منه في هذا المجتمع... والمدرسة تنقل لأفراد الجيل الجديد المعارف والخبرات والمهارات والاتجاهات والقيم والمعايير الاجتماعية وأنماط السلوك المتعارف عليها والمحددة ثقافيا...وانطلاقا مما سبق فإن ما تقدمه هذه المؤسسة للطفل يشكل أهمية بالغة لمستقبل الطفل والمجتمع على السواء، وهو ما سنعرض له بالدراسة في هذا المقال.

1- الدور الاجتماعي للمدرسة:[1]

1-1- الأدوار المحافظة للمدرسة:

لازالت المدرسة تحافظ على بعض أدوارها التقليدية، ومن أهمها:

أ- نقل التراث الثقافي: عن طريق المدرسة يمكن نقل الثقافة من جيل إلى جيل وهذه الوظيفة تقوم بها جنباً إلى جنب مع البيت.

ب- تبسيط التراث الثقافي: تقوم المدرسة بتحليل التراث الثقافي وتبسيطه لإعطائه للتلاميذ في مستويات ووفق مراحل نموهم، كما تعمل على تنقية التراث مما قد يعتريه من شوائب.

ج– الانتقاء والاختبار: تقوم المدرسة بتقويم التراث واختيار المناسب منه، كما عليها أن تضع معايير الانتقاء، كما تقوم بعملية التقويم والاختيار للوصول إلى الإيجابيات وتأكيدها ومعرفة السلبيات وتجنبها .

د– الاقتصاد الثقافي: أي التمييز بين العناصر القديمة والجديدة وتحقيق التكامل السليم بين فروع المعرفة بما يسهل تناولها من خلال ابتكار وسائل وأساليب جديدة والبعد عن الأساليب القديمة التقليدية في تقديم المواد الدراسية للطلاب.

هـ– التماسك الاجتماعي: إيجاد نوع من التكيف والانسجام لأبناء المجتمع الواحد بنشر الاتجاهات الثقافية التي تعمل على تآلف وتماسك المجتمع وتحقيق الولاء والانتماء للوطن وتحقيق المصالح المشتركة.

1–2–الأدوار التجديدية للمنظومة التربوية:[2]

أ– التكيف الاجتماعي: تقوم المدرسة بإيجاد درجة عالية من المرونة للتعامل مع المستجدات والمتغيرات وبالتالي تنمية أنماط سلوكية جديدة تتلاءم معها .

ب– تحقيق التقارب والتوازن بين الطبقات: تقوم المدرسة بتحرير كل فرد من الانطواء داخل جماعته ليدخل في معترك الحياة في البيئة الأوسع.

ج– تنمية أنماط اجتماعية جديدة: لا تقتصر وظيفة المدرسة على الجوانب المعرفية أو التعليمية بل تمتد وظيفتها إلى الجوانب الشخصية والاجتماعية للطلاب وتربي فيهم العادات والقيم السوية التي يبتغيها آبائهم ومجتمعهم.

د– تنمية الابتكار والإبداع الفني: المدرسة تنمّي لدى التلاميذ المواهب من خلال تكامل الخبرات في المناهج واستخدام الأساليب والتقنيات الحديثة في التدريس والابتعاد عن الحفظ والتلقين وأن تعمل على إثارة اهتمامات وميول ورغبات التلاميذ بالأنشطة المتعددة.

هـ– إمداد الأفراد بالمهارات لأداء الوظائف المختلفة: أي تزويد المجتمع بأعضاء مؤهلين للقيام بأدوار ووظائف في مجتمعهم من خلال تأهيلهم لتولي الوظائف في مختلف المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمهنية، والنظام التربوي ليس من مهامه فقط تهيئة الفرد للقيام بوظيفة معينة بل تمكنه كذلك من أداء دوره كمواطن واع بمتطلبات الوضع الراهن وباهتمامات شعبه[3].

و– الاختيار التعليمي والوظيفي: بإعطاء التلميذ فرصة انتقاء التخصص العلمي سواء في المرحلة الثانوية أو الجامعية وذلك بترك الطالب يختار ما يناسبه تحت مراقبة دقيقة للعملية التقويمية المدرسية.

ي– المساعدة على تحقيق الحراك الاجتماعي الموجب: توفير بيئة ملائمة للأفراد تسهم في تنمية قدراتهم واستعداداتهم للحصول على مكانة وظيفية واجتماعية راقية داخل المجتمع وبهذا يصبح المجتمع مفتوحا لحراك أعضائه.

ز– المراجعة الناقدة للمذاهب المعاصرة: بأن تكون قادرة على التعامل معها بحيث تستفيد منها مع المحافظة على قيم ومعتقدات المجتمع، والتصدي لكل ما هو دخيل على المجتمع من أفكار لا تتناسب مع أهدافه ومعتقداته.

2– الطفل والمدرسة:

هناك اعتقاد سائد بأن المدرسة تعيد إنتاج المجتمع، والمدرسة ليست مؤسسة تقنية توجد من ذاتها ولأجل ذاتها ولكنها جزء من التفاعل الاجتماعي للمجتمع حيث تنعكس مميزاته ومطالبه فيها[4]، والمدرسة تبعا لذلك لا يمكن عزلها عن الجو العام السائد داخل المجتمع، سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، وهذا ما يفسره العدد المتزايد من الأطفال الذين يتركون المدرسة سنويا، وفي سن مبكرة والمنتمين في أغلب الحالات، إن لم نقل جلها إلى الطبقات الفقيرة والمعدمة.[5] زيادة على ما نراه في بعض القرى والمداشر من عدم تكافؤ الفرص بين الذكور والإناث، ويعود هذا الوضع بالنسبة للمجتمع الجزائري إلى عدة اعتبارات سياسية واقتصادية ترتبط ببنية المجتمع الجزائري، وبالأنساق السائدة في المجتمع، ترتبط كذلك بالتوجهات السياسية العامة التي كانت سائدة قبل الانفتاح السياسي[6].

كما يلاحظ أيضا وبشكل كبير عدم التطابق والتكامل بين مؤسسة المدرسة وبين مختلف مؤسسات المجتمع بشكل عام. بالإضافة إلى غياب سياسة تربوية واعية تأخذ بعين الاعتبار كل النواحي الاجتماعية للطفل، لتفعيل التواصل بين المدرسة والأسرة والمحيط الاجتماعي[7]، وعملية التواصل هاته عملية معقدة تهدف إلى تحقيق التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم وفئاتهم وأدوارهم ومواقعهم والتفاعل الاجتماعي يعتمد على الاتصال حيث يحدث تأثير متبادل في السلوك ويتضمن التفاعل الاجتماعي عناصر ذات تنظيم نفسي واجتماعي لدى الأفراد والجماعات، وعملية معرفية متعددة كالإحساس والإدراك والتفكير وما يترتب على ذلك من تغيرات في سلوك الفرد والجماعة. وتشمل عملية الاتصال هاته علاقة الطفل بالأسرة وبالمدرسة وبالمحيط الذي ينتمي إليه[8].

إن الإشكالية التي تطرح نفسها وبإلحاح داخل حقل سوسيولوجية التربية والتعليم في الجزائر اليوم، هي علاقة المؤسسة المدرسية بمحيطها السوسيو اقتصادي والثقافي للمجتمع، وكيف يمكن تحويلها من مجرد آلة لتكوين أطر الدولة وإعادة إنتاج ذاتها في الزمن، إلى مؤسسة تعليمية تعمل على إعداد أفراد فاعلين ومندمجين داخل المجتمع؟[9]

إن الأسر في غالب الأحيان يلقون على عاتق المدرسة مسؤولية التعليم والتربية، ولا يحملون أيضا أي مشروع دراسي لأبنائهم، كما أن هناك أيضا أجواء أسرية لا تسمح ولا تضمن شروط وأجواء الدراسة. كما أن ضعف الإمكانيات الاقتصادية للأسرة لتلبية حاجيات الطفولة يفضي إلى الاستغناء عن المدرسة قبل ولوجها أو تركها مبكرا، تؤدي بالأطفال إلى البحث عن مدخول إضافي لإعانة العائلة أو تدبير الأمور الشخصية، والحالة التي وصلت إليها المؤسسة التعليمية وكذا طوابير الخريجين العاطلين انعكس سلبا على تحفيز أطفال الطبقات الدنيا إلى الدراسة، بحيث أصبحت المدرسة في نظر الكثير منهم، مضيعة للوقت لوجود سواء إخوة لهم أو جيران موجزون عاطلون، كما أن وجود الأعداد الضخمة من الخريجين العاطلين، أعطى للمدرسة صورة فضيعة في أعين الأطفال الصغار، وخصوصا عندما تكون الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأسرة لا تسمح بشكل كاف لمتابعة الدراسة في ظروف أفضل حيث يضطر الأطفال إلى تفضيل العمل، في سن مبكرة بدلا من ضياع الوقت في المدرسة التي لم تعد تنتج في نظرهم إلا البطالة، ووجود البطالة لدى حاملي الشهادات وبنسبة كبيرة أدى إلى تغيير نظرة الآباء إلى المدرسة، لقد أصبحت تمثل شبحا مخيفا للأسر ذات الدخل المحدود، مما جعل الآباء يترددون الآن حين يسألون عن دور المدرسة، فهم يتحدثون عن واقع معاش مر، وعن مستقبل أسوأ.[10]

إن أغلب العائلات التي ضحت من أجل تعليم أطفالها تتحدث اليوم عن كونها أضاعت الكثير مما تملك من الجهد والوقت والمال، ولا نتيجة لذلك، فلماذا تعاد الكرة من جديد، فالهدف بالنسبة للآباء من الطبقات الدنيا، اليوم هو تعليم أطفالهم إلى حدود الابتدائية فقط، إنهم يقولون هذا يكفي لكي لا يبقى الطفل أميا وبعد ذلك عليه أن يبحث لنفسه عن طريق آخر، قبل فوات الأوان، مما يضع المدرسة مرة أخرى في مأزق، لقد أكدت الأبحاث أن اهتمام الآباء من الطبقة الوسطى بصيرورة العمل داخل المدرسة يعطي حافزا للأبناء للحصول على نتائج جيدة، فبالأحرى الطبقات الغنية، وهذا دليل على حضور الوضعية الاجتماعية والثقافية داخل المدرسة وترجمتها إلى استحقاقات فردية ومواهب شخصية عكس الأطفال المنحدرين من طبقات دنيا الذين لا يجدون أي توافق بين ثقافة المدرسة والأسرة والمحيط الذي يعيشون فيه، فلا يستطيع أن يصل منهم إلى نهاية المسار إلا القليل، وهو ما جعل المدرسة في علاقة غير متكاملة مع المحيط الاجتماعي، وبدت أكثر حاجة إلى إعادة النظر في ذاتها لتجاوز التفاوتات بين التلاميذ بسبب الإرث الثقافي[11].

إن مجمل هاته الأوضاع والتغيرات التي مست الأسرة والمدرسة، كانت سببا وراء تأزم الفوارق الاجتماعية وانتشار الفقر والتهميش، والاستغلال. ولذلك يمكننا القول أن هناك علاقة عضوية بين حالة المجتمع ووضعية منظومته التربوية يتأثر كل منهما بالآخر بشكل مباشر.[12]

3- المدرسة، العوائق والصعوبات:

3-1- الصعوبات التي تعوق المدرسة عن أداء دورها:[13]

أ- أخطاء التوجيه المدرسي: حيث يقبل الطلاب ذوي المستويات المتدنية في الشعب الأدبية أما المتفوقون فيقبلون في الشعب العلمية.

ب-عزلة المدرسة عن مجريات الواقع الاجتماعي: حيث تعيش المدرسة في عزلة عن المجتمع بسبب قصور وسائل التعليم والمناهج عن متابعة التطور في الواقع الفعلي للمجتمع.

ج- الاستغراق في الحاضر على حساب المستقبل: أي عدم وجود تخطيط تربوي على المديين المتوسط والبعيد وفق رؤيا تأخذ بعين الاعتبار الاستعداد للمستقبل.

3-2-أهم المتغيرات والتحولات التي تؤثر على دور المدرسة:[14]

أ-الثورة العلمية والتكنولوجية: فعلى المدرسة أن تستفيد من هذا التقدم مستخدمة الإمكانات التي يوفرها العلم الحديث وثورة الاتصالات.

ب- التغيرات في النمو والحركة السكانية: إن الزيادة السكانية أدت إلى زيادة الطلب على التعليم مما يستدعي محاولة الإصلاح والتطوير للمؤسسات التعليمية.

ج-التوتر بين العالمية والمحلية: يتسارع مفهوم العالمية أو العولمة لكافة الدول مما يؤثر على الثقافة الذاتية لكل دولة فينشا صراع بين المحلية والعالمية.

د– التغيرات الاجتماعية: التغير في العلاقات والقيم الاجتماعية، أدى إلى إعادة هيكلة الأنساق الاجتماعية مما أثر على المؤسسة المدرسية.

هـ– التحولات الاقتصادية: التحول في قاعدة النشاط الاقتصادي من اقتصاد يقوم على الزراعة والصناعة إلى اقتصاد يعتمد على الخدمات والمعلومات، مما قد يؤدي إلى تغيير في المناهج الدراسية.

و– التغيرات الثقافية والقيمية: أدت إلى اختلالات ثقافية وقيمية فعلى المدرسة التركيز على الدور الأخلاقي والقيمي.

3–3–نماذج المدرسة المستقبلية:[15]

أ– المدرسة المتعلمة: وهي تتمحور حول مبدأ التربية المستديمة وأن التعليم عملية مستمرة مدى الحياة وأن الجميع قابل وبحاجة للتعلم.

ب– المدرسة النوعية: وهي تتبنى نظرية الجودة الشاملة، وتركز على مبدأ التحسين المستمر وفق أعلى معايير الأداء، سواء في التحصيل الدراسي أو غيرها.

ج–المدرسة التعاونية: وهي تتبنى مفهوم التعلم التعاوني بين المعلم والمتعلم وبين المتعلمين مع بعضهم وبين المعلمين، و تتيح اشتراك الجميع في نقد المناهج وتقديم المقترحات للتطوير.

د–المدرسة الفعالة: وهي تتبنى مبدأ الفاعلية التربوية، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الأهداف التربوية.

هـ– المدرسة المستقلة: وهي تتبع مبدأ اللامركزية الإدارية في عمليتها الإدارية والتعليمية، وفي علاقاتها المجتمعية، وفي نفس الوقت تتبع قواعد العمل المؤسسي.

و–المدرسة المبدعة: وهي تنمي ملكة الإبداع حيث تعتقد أن كل شخص لديه قدرة على الإبداع والابتكار بشرط أن تتوفر لديه البيئة المناسبة، ويمتد نشاطها إلى المعلم وبقية أعضاء المدرسة.

ي–المدرسة العملية: وهي تربط التعليم باتجاه تهيئة الطالب للعمل، ويكون تعليمها ملبيا لاحتياجات سوق العمل والتنمية الشاملة.

ز–المدرسة المجتمعية: وهي التي تسعى لإقامة علاقات مجتمعية مبنية على أسس رشيدة بينها وبين أسر التلاميذ، ومع المجتمع بكل مؤسساته.

ر–المدرسة الممتعة: وهي تعتمد مبدأ أن التعليم ينبغي أن يكون ممتعا من خلال توفير ما يحقق ذلك في البيئة المدرسية.

الخاتمة:

تطرقنا في هذا المقال للدور الاجتماعي للمدرسة ويتمثل في المحافظة على نقل التراث الثقافي وتبسيطه وكذا المحافظة على التماسك الاجتماعي ثم تحدثنا على الأدوار التجديدية للمدرسة كالتكيف الاجتماعي وتحقيق التقارب والتوازن بين الطبقات وتنمية أنماط اجتماعية جديدة وتنمية الابتكار والإبداع الفني وإمداد الأفراد بالمهارات لأداء الوظائف المختلفة والمساعدة على تحقيق الحراك الاجتماعي الموجب وكذا المراجعة الناقدة للمذاهب المعاصرة ومن ثم انتقلنا للحديث عن مكانة الطفل في هذه المؤسسة، ثم تحدثنا عن العوائق والصعوبات التي تعوق المدرسة عن أداء دورها كأخطاء التوجيه المدرسي والعزلة عن مجريات

الواقع الاجتماعي والاستغراق في الحاضر على حساب المستقبل كما تطرقنا بالحديث إلى أهم المتغيرات والتحولات التي تؤثر على دور المدرسة كالثورة العلمية والتكنولوجية والتغيرات في النمو والحركة السكانية والتوتر بين العالمية والمحلية والتغيرات الاجتماعية والتحولات الاقتصادية التغيرات الثقافية والقيمية وأخيرا تحدثنا عن نماذج المدرسة المستقبلية كالمدرسة المتعلمة والمدرسة النوعية والمدرسة التعاونية والمدرسة الفعالة والمدرسة المستقلة والمدرسة المبدعة والمدرسة العملية والمدرسة المجتمعية والمدرسة الممتعة، وهي جميعها نماذج للمدارس الحديثة التي يمكنها أن تؤدي أدوارا رائدة في مهمة تنشئة الطفل وتلقينه المعارف وترسيخ القيم والمعايير الاجتماعية لديه.

الهوامش:

1. بوفليجات غياب، **التربية والتكوين بالجزائر**،ط3 دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، 2006،، ص 114.
2. بوفليجات غياب، مرجع سابق، ص 115.
3. ج،ت،و.الميثاق الوطني 1976، ص ص 95، 98.
4. محمد عطية الإبراشي، **روح التربية والتعليم**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص 163.
5. تشير إحصائيات، الديوان الوطني للإحصاء، إلى أن نسب التسرب المدرسي، من مرحلة التعليم بلغت سنة 2007، 23 %، ومن مرحلة التعليم الثانوي بلغت، 29.16%.
6. تركي رابح: **مبادئ التخطيط التربوي**،ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 92
7. محمد عبد الله البكر، **تفعيل دور مؤسسات الضبط الاجتماعي في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة** ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب . المجلد 16، العدد 32، 2001، ص 29.
8. السيد سلامة الخميسي، **الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي**، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 2007، ص 217.
9. بوفليجات غياب، نفس المرجع ص 94.
10. بوفليجات غياب، نفس المرجع، ص 105
11. عبد المجيد سيد منصور، **دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي**، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1987، ص 129.
12. بوفليجات غياب، نفس المرجع، ص 106.
13. تركي رابح: **مبادئ التخطيط التربوي**،ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 92
14. محمد عطية الإبراشي، **روح التربية والتعليم**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص 163.
15. محمد عطية الإبراشي، مرجع سابق، ص 169.

التأمينات الاجتماعية للأسرة الجزائرية –على ضوء النصوص التشريعية والتنظيمية–

أ.لطيفة عريق

أ.فتيحة نبار

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

يهدف هذا العمل إلى محاولة التعرف عن واقع التأمينات الاجتماعية للأسرة الجزائرية، فتم تسليط الضوء على مفهوم الأسرة وأنواعها ووظائفها، وكذا مفهوم التأمينات الاجتماعية وتطورها التاريخي، وعلى المخاطر التي تشملها التغطية في التأمينات الاجتماعية من مرض وولادة وعجز ووفاة. وكذا شروط استفادة الأسرة من التأمينات الاجتماعية، إلى جانب التطرق لأهم فوانين التأمينات الاجتماعية التي تمس الأسرة الجزائرية. وكان ذلك عن طريق الاستعانة بالمنهج الوصفي، وقد توصلت هذه الدراسة إلى إن الآسر المنخرطة ضمن مجال التأمينات الاجتماعية يتمتعون بقدر كبير من الحقوق خاصة فيما يتعلق بتخطي المشكلات والأزمات والاستفادة من المناسبات كالولادة. فتصبح هذه الأسر بذلك أكثر واكبر قدرة اقتصادية من الأسر الغير منخرطين ضمن مجال التأمينات الاجتماعية.

Résumé:

Le but de ce travail est pour tenter de cemer la rèalitè de l'assurance sociale pour la famille algèrienne, et on a concentrer sur le concept df la famille, types et fonctions, ainsi que le concept de l'assurance sociale et son dèveloppement historique, et sur les risque couverts par la couverture de l'assurance sociale comme la maladie et la naissance et le dèficit et la mortalitè. Ainsi que les conditios ou la famille peut profiter de l'assurance sociale, en plus d'aborder les lois les plus importantes qui influent sur l'assurance sociale touche la famille algèrienne.

On a utuliser l'approche descriptive, cette ètudeconstatè que les famille impliquèes dans le domaine de l'assurance sociale ont beaucoup de droit en particulier en ce qui concerne à dèpasser les problèmes et les crises et de profiter des occasions comme l'accouchement. Ces famille devient ainsi une plus grande èconomiquecapacitè para port au autres qui sont pas impliquès dans le domaine de l'assurance sociale.

مقدمة:

مع حاجة الإنسان للأمان بدأت تظهر فكرة التأمينات الاجتماعية، فكانت هذه التأمينات في البداية من حق شريحة معينة من شرائح المجتمع ألا وهي العمال، ولكن مع تطور المجتمعات وظهور الدراسات والمواثيق المختلفة أصبحت حق من حقوق كل فرد من أفراد المجتمع.

والأسرة بحسب تعريف معجم علم الاجتماع تعد جماعة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني، ويتفاعلون معا، وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة وبين الأم والأب والأبناء، ويتكون منهم جميعا وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة. فالأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي في المجتمع.

ومع زيادة التخصص وتعقد المجتمع الحديث، وجدت الأسرة نفسها أمام كثير من المتغيرات التي منها ما أثر على خصائصها ووظائفها، فزيادة تكاليف العيش جعلت المتكفل بها يعيش حالة الخوف المستمر من الفقر وعدم القدرة على تلبية متطلبات الأسرة في حالة تركه لعمله أو إصابته بعجز مفاجئ أو نتيجة تقدمه في العمر خاصة مع زيادة إنجاب الأطفال أو مرضهم أو تقدمهم في السن،

فمن بين المتغيرات الإيجابية استفادت الأسرة من قانون التأمينات الذي سهل على هذه الأسر الكثير من العناء والمشقة وكذلك تكبد الخسائر التي تلحق بها نتيجة لمخاطر كالمرض، الوفاة، العجز، الولادة.

وتعد الجزائر من بين الدول التي وسعت كثيرا من نطاق التأمينات الاجتماعية، باعتبارها حق من حقوق الإنسان، كما يعتبر قانون التأمينات الاجتماعية في الجزائر من أحسن القوانين في العالم، فهو الوحيد الذي يضم فوانين خاصة بالأمومة.

الأمر الذي دعا لطرح التساؤل التالي:

- ما هو واقع التأمينات الاجتماعية للأسرة الجزائرية؟

ويندرج عنه تساؤلين فرعيين هما:

1- ما هي أهم المخاطر التي تغطيها التأمينات الاجتماعية للمؤمن وأسرته في الجزائر؟

2- هل هناك حالات من أفراد المجتمع تحتاج للتأمين في الجزائر؟

وترجع أهمية الدراسة إلي:

1- إبراز أهمية التأمين الاجتماعي، حيث يعد دعامة من دعامات الأسرة والمجتمع.

2- باعتبار التأمين الاجتماعي أكبر حصانة اجتماعية واقتصادية، حيث يمس جميع أفراد المجتمع.

كما يرجع الهدف من الدراسة إلى:

- الخروج بأقل الخسائر المادية والبشرية في حالة حدوث مشكل أو أزمة تمس الأسرة، وذلك عن طريق التامين الاجتماعي.

هذا وقد اعتمدت هذه الورقة البحثية على الأسلوب الوصفي من أجل إظهار مدى وحالة استفادة الأسرة الجزائرية من خدمة التأمينات الاجتماعية. وذلك بالرجوع إلى عدة مراجع من كتب ومواقع على شبكة الانترنيت.

1- الأسرة: مفهومها، أنواعها ووظائفها:

1-1- مفهوم الأسرة: لقد ظهرت عدة تعريفات للأسرة تتجه جميعا إلى إبراز الارتباط الدائم بين الرجل والمرأة وما يترتب عن ذلك من إنجاب ورعاية للأطفال والقيام ببعض الوظائف التي لم تسقط عن الأسرة في تطورها من صورة إلى أخرى بتغير المجتمع والثقافة. وسنستعرض بعض أهم التعريفات الأسرة:

يعرف "**كونت**" الأسرة بأنها الخلية الأولى في جسم المجتمع وأنها النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور وأنها الوسط الطبيعي الاجتماعي الذي ترعرع فيه الفرد[1].

أما "**هربرت سبنسر**" فيعرفها بأنها الوحدة البيولوجية والاجتماعية[2].

ويعرف "**ويليام اجبرن**" الأسرة بأنها منظمة دائمة نسبيا مكونة من زوج وزوجة وأطفال أو بدونهم ويرى أن العلاقات الجنسية والوالدية هي المبرر الأساسي لوجود الأسرة وأنها من مميزات الأسرة في كافة المستويات الثقافية[3].

ويرى "**نيمكوف**" أن الأسرة أن الأسرة هي ارتباط يدوم قليلا أو كثيرا للزوجة وللزوج بأطفال أو بلا أطفال أو هو ارتباط رجل وامرأة فقط بالأطفال[4].

نستخلص من التعاريف السابقة أنها أعطت بعض الخصائص للأسرة وهي:

أ-وجود علاقة جنسية زواجية بين رجل وامرأة.

ب-صورة من صور الزواج أو أي ترتيب نظامي تقوم على أساسه هذه الرابطة الزواجية وتستمر على مر الزمن.

ج-مسكن مشترك قد تختص به الأسرة وحدها أو يشاركها فيه عدد من الأسر الأخرى.

وخلاصة القول إن الأسرة تعني من الناحية السوسيولوجية معيشة رجل وامرأة أو أكثر معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع وما يترتب عن ذلك من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال وتربيتهم[5].

1-2- أنواع الأسرة: ثمة عدة أنواع للأسرة تتمثل في:

1-2-1-الأسرة النواة: وتعرف بأنها مؤسسة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفال. وسبب تسميتها بالنواة يرجع لكونها أصغر وحدة أسرية بالمعنى الصحيح من ناحية ولكونها تمثل حجر الأساس لجميع أنواع الأنظمة الأسرة من ناحية أخرى.

ويذهب العالمان الأمريكيان "**نورمان بال وازرا فوجل**" إلى أن معظم الأفراد يمرون في مسيرة حياتهم بوحدتين من هذا النوع من الأسر:

أ-الأسرة الأولية أو الأساسية أو أسرة التنشئة أو أسرة التوجيه.

ب-الأسرة النواة التي يتخذ فيها الشخص وضعية الزوج أو الأب تسمى أحيانا بالأسرة الزواجية أو أسرة الإنجاب[6].

1-2-2-الأسرة الممتدة: أو الأسرة المركبة وهي أكبر من الأسرة النواة وتمتد عبر عدة أجيال يعيشون تحت سقف واحد أو في بيوت متجاورة تربطهم روابط الزواج أو النسب أو التبني، وينتشر هذا النوع في أقطار الوطن العربي وبعض البلدان الأسيوية والإفريقية وأمريكا اللاتينية.

1-2-3-الأسرة البوليجامية والبوليأندرية: ويتكون هذان النوعان من الأسرة من أسرتين نواتين أو أكثر مرتبطة بزيجات اجتماعية أي أن أحد الوالدين المتزوجين مشترك كما هو الحال بالنسبة للرجل المتزوج بأكثر من امرأة في وقت واحد وهذا ما يطلق عليه الأسرة البوليجامية ويوجد هذا النوع في المجتمعات التي تبيح تعدد الزوجات مثل الأقطار العربية والبلدان الإفريقية.

أما الأسرة البوليأندرية فتكون فيها المرأة متزوجة بأكثر من رجل في وقت واحد وقد ذكر الباحثين "**ملفيل جيكوب سوبيرنهارد ستيرن**" أن هناك تقارير تفيد بان هذا النوع من الزواج كان موجودا في الفيليبين والتبت والتودا جنوب الهند وبين الماركيسانيين في جزر المحيط الهادي وشرق إفريقيا وبين الاسكيمو والشوشونيين في غرب الولايات المتحدة الأمريكية[7].

1-3- وظائف الأسرة: للأسرة وظائف عديدة نجملها فيما يلي:

1-3-1- وظيفة تنظيم السلوك الجنسي والإنجاب: حيث يعد الزواج اتفاقا تعاقديا يعطي العلاقات الجنسية والاجتماعية التي تكون الأسرة طابعا رسميا ثابتا فالمجتمع لا يسمح بالعلاقات الجنسية بغير زواج وأن كان ذلك يسمح قد يسمح في بعض المجتمعات الأخرى.

1-3-2-العناية بالأطفال وتربيتهم: أن الأسرة هي المسؤولية عن التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة قواعدها من صورة تؤهله وتمكنه من المشاركة مع غيره من أعضاء المجتمع.

1-3-3-التعاون وتقسيم العمل: يكون داخل الأسرة بين الرجل والمرأة في المسائل المتعلقة براحة الأطفال وتربيتهم وتوجيههم ويلاحظ أن الإشراف على المنزل ورعايته من الأعمال المنوطة بالمرأة فقط.

1-3-4-الإشباع: أن الأسرة هي الجماعة الأولية التي توفر للطفل أكبر قدر من الحنان والعطف، وهذا يتوقف على قدر كبير من التكامل الانفعالي والعاطفي عند أعضاء الأسرة على مبلغ ما يتوفر أهم من إشباع لرغباتهم المتعددة.

1-3-5-تهيئة أسلوب الحياة في المجتمع: إن الأسرة مدرسة لأفرادها فهي تقوم بدور التنشئة الاجتماعية كما أنها تعمل على نقل التراث الاجتماعي من جيل لآخر وتعلمهم السلوك والآداب والدين[8].

2-ماهية التأمينات وشروط الاستفادة الأسرة منها وأهم القوانين المتعلقة بها:

2-1-مفهوم التأمينات الاجتماعية: إن نظام التأمينات الاجتماعية وجد ليغطي المخاطر الاجتماعية التي قد يتعرض لها الإنسان عامة والعامل أو الموظف خاصة، ومن هذا المنطلق فإن تحيد مفهوم التأمين الاجتماعي يستلزم بدءا تحديد مفهوم الخطر الاجتماعي:

2-1-1-الخطر: هو عبارة عن حادثة محتملة لا يتوقف تحقيقها على إرادة أحد طرفي العلاقة التأمينية وخاصة إرادة المؤمن له، والخطر أيضاً هو الحادث غير سار العادة، يترتب عليه نقص في الدخل أو زيادة في الأعباء أو تدهور في صحة الإنسان، ومما سبق نرى أن أنواع المخاطر ومسبباتها متعددة، ولكنها لا تخضع جميعها لقانون التأمين الاجتماعي، بل يخضع لهذا الأخير فقط ما يسمى بالمخاطر الاجتماعية، ويقصد بها تلك الأخطار التي يتعرض لها الإنسان ككائن اجتماعي ومثالها المرض والموت والعجز والبطالة .....الخ[9].

ويعرف الخطر الاجتماعي بأنه الناتج عن الحياة في المجتمع، وبمعنى آخر فإن الخطر الاجتماعي وثيق الصلة بالحياة الاجتماعية للفرد وبوجوده[10].

2-1-2-تعريف التأمين: ويعرف التأمين بصفة عامة من منظور الوضعية بأنه عبارة عن عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي إلى المؤمن له أو إلى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو إيرادا مرتباً أو أي عوض مالي آخر، في حالة وقوع الحادث أو تحقيق الخطر المبين بالعقد، وذلك في نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن[11].

2-1-3-تعريف التأمينات الاجتماعية: تعرف التأمينات الاجتماعية بأنها مجموعة الوسائل المستخدمة لتحقيق وضمان الأمن الاقتصادي لأفراد المجتمع[12].

2-2-أهداف التأمينات الاجتماعية: يلعب قانون التأمين الاجتماعي دور لا يمكن إنكاره في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

2-2-1-الأهداف الاجتماعية: وتتمثل في:

أ-توفير الرعاية الاجتماعية والأمان الاجتماعي للعمال يؤدي لرفع مستوى معيشتهم ولتوفير الاستقرار في علاقات العمل.

ب-يساعد ذلك أيضا على إزالة أو تضييق الفوارق الطبقية بين طرفي علاقة العمل مما يؤدي لمزيد من التضامن بينهما وهو يضمن توفير الأمن الاجتماعي على المستوى العام.

ج-يرفع المستوى الصحي والمعيشي للعمال على تحقيق التنمية الاجتماعية[13].

د-منح معاش للمؤمن له الذي يضطره العجز عن التوقف عن عمله[14].

2-2-2-الأهداف الاقتصادية: وتتمثل في:

أ-أن الاستقرار الاجتماعي الذي يحققه هذا القانون يعمل على زيادة الإنتاج بما يؤدي لزيادة الدخل القومي والفردي.

ب-أن نظم التأمينات الاجتماعية توفر مدخرات هامة يؤدي الاستثمار الجيد لها إلي دفع علة التنمية.

ويضاف إلى ذلك أن قانون التأمين الاجتماعي يضمن للعامل عند تحقق الخطر المؤمن منه الحصول على مبالغ مالية معقولة يمكن توجيهها لمجالات الاستثمار والادخار وهو ما يساعد المؤسسات الاقتصادية على المساهمة الفعالة في التنمية الاقتصادية للمجتمع[15].

ومنه يعتبر التأمين الاجتماعي من أهم الوسائل التي تستعملها الدولة لإرساء التضامن الاجتماعي، كما أنه يضمن وجود مورد دائم في حالة إصابة المؤمن له في حالة مرض أو عجز أو تقاعد أو بطالة، كما يتضح لنا أن التأمين هو عبارة عن نظام تعويضي من طرف الإدارة العمومية لفائدة المواطن المستفيد من التغطية الاجتماعية وعائلته.

2-3-أنواع التأمينات: للتأمين عدة أنواع نذكر منها وأهمها:

2-3-1-التأمين على الحياة.

2-3-2-الحوادث الشخصية:

أ-الوفاة بحادث

ب-العجز أو فقدان الأعضاء من حادث

ج-التعطيل الأسبوعي

د-النفقات الطبيعية من حادث

2-3-3-تأمين السيارة

2-3-4-تأمين ضد الحريق والسرقة لحماية المحلات والمنازل والمستودعات والبضائع.

2-3-5-تأمين الاستشفاء داخل المستشفى من جراء حادث والمرض.

2-3-6-تأمين ورش البناء[16].

2-4-مبادئ التأمين: (التأمين أو ما يعبر عن التأمين المعروف بين العالم بالضمان):

إن المبادئ العامة للتأكد من وجود مصالح للضمان منها:

2-4-1-أن يكون الخطر حقيقيا.

2-4-2-أن يكون لدى الأشخاص المعرضين للخطر شعور بمسؤولية الخسارة وإلا يكونوا بموقف من يريد الربح أو الابتزاز.

2-4-3-الحوادث المذكورة يجب إن تكون ذات صفة قاطعة لسرعة القدر.

2-4-4-ألا يكون الخطر قصدا من قبل المضمون[17].

2-5-المخاطر التي تشملها التغطية في التأمينات الاجتماعية:

إن قانون رقم 11/83 مؤرخ في 21 رمضان عام 1403 الموافق لـ 2 يوليو سنة 1983 يتعلق بالتأمينات الاجتماعية،المعدل والمتمم:

وطبقا للمادة 3 من الأمر رقم 95-01 تحل (في أحكام هذا القانون) الكلمات المرتب المعتمد كأساس في حساب اشتراكات الضمان الاجتماعي *محل كلمات* أجرة المنصب ففي المادة الأولى يهدف هذا القانون إلى إنشاء نظام وحيد للتأمينات الاجتماعية، وفي المادة الثانية تغطى التأمينات الاجتماعية المخاطر التالية:

المرض-الولادة-العجز –الوفاة[18].

2-6-شروط استفادة الأسرة من الضمان الاجتماعي:

المادة 3-يستفيد من أحكام هذا القانون كل العمال سواء أكانوا أجراء أم ملحقين بالأجراء أيا كان قطاع النشاط الذي ينتمون إليه، والنظام الذي كان يسري عليهم قبل تاريخ دخول هذا القانون حيز التطبيق.

المادة 4-يستفيد من الأداءات العينية الأشخاص الطبيعيون غير الأجراء الذي يمارسون بالعقل لحسابهم الخاص نشاطا حرا صناعيا أو تجاريا أو حرفيا أو فلاحيا أو أي نشاط آخر مماثل وفقا للشروط المحددة في التنظيم المعمول به.

كما يستفيد الأشخاص المذكورين أعلاه من الأدوات المتقدمة المتمثلة في منحه الوفاة والعجز.

المادة 5-يستفيد من الأداءات العينية:

المجاهدون وكذا المستفيدون من المعاشات بموجب التشريع الخاص بالمجاهدين ومعطوبين حرب التحرير الوطني عندما لا يمارسون أي نشاط مهني.

الأشخاص المعوقين بدنيا أو عقليا الذين لا يمارسون أي نشاط مهني.

الطلبة.

المستفيدين من دعم الدولة لفائدة الفئات المحرومة والمعوزة.

المادة 6-ينطوي وجوبا تحت التأمينات الاجتماعية الأشخاص الذين يشتغلون في التراب الوطني أيا كانت جنسيتهم سواء أكانوا يعملون بأية صفة من الصفات،وحيثما كان لصالح فرد أو جماعة من أصحاب العمل، ومهما كان مبلغ أو طبيعة أجرهم، وشكل وطبيعة أو صلاحية عقد عملهم أو علاقتهم فيه[19].

2-7-أهم قوانين التأمينات الاجتماعية التي تمس الأسرة:

لقد ورد النص على المخاطر التي تشملها التغطية من مجال التأمينات الاجتماعية كما أسلفنا في المادة الثانية(02)من القانون 83/11 وهي واردة على سبيل الحصر لا المثال، وهي تشمل كل من المرض، الولادة، العجز والوفاة.

2-7-1-المرض والولادة:

يعرف المرض أو الداء كما يصطلح عليه علميا بأنه حالة غير طبيعية تصيب الجسم أو العقل البشري محدثة تأثير فيه أو ضعف في الوظائف.ولما كان المستفيد من التأمين من أحد أفراد الأسرة أو مجموعة هذه الأفراد معرض للمرض في غير الظروف والحالات التي تدخل في إطار التأمين عن حوادث العمل والأمراض المهنية، أصبح من الضروري إيجاد نوع من أنواع التأمين لتغطيته وهو ما تجلى في التأمين على المرض في إطار التأمينات الاجتماعية[20].

ويستوي في ذلك أن يكون المرض من العلل القصيرة أو الطويلة الأمد،على ألا تتجاوز مدة الثلاث (03) سنوات،لأنه في هذه الحالة تتحول التغطية والتعويض من باب التأمين عن المرض إلى باب التأمين عن العجز، غير أنه إذا استأنف المؤمن له اجتماعيا العمل بهذا انتهاء مدة الثلاث (03) سنوات واعتراه مرض مصنف ضمن الأمراض الطويلة الأمد،فإنه يتاح له أجل جديد وبنفس المدة بشرط أن يكون ذلك بعد سنة كاملة على الأقل من تاريخ استئنافه العمل وإلا يكون التوقف الجديد بسبب ذات المرض الذي بسببه توقف عن النشاط السابق، كما تنص على ذلك[21] المواد الآتية من القانون 83/11.

المادة 7-تشمل أداءات التأمين على المريض.

الأداءات العينية: التكفل بمصاريف العناية الطبية والوقائية والعلاجية لصالح المؤمن له، وذوي حقوقه.

الأداءات النقدية: منح تعويضة يومية للعامل الأجير الذي يضطر إلى التوقف مؤقتا عن عمله بسبب المرض.

القسم الأول: الأداءات العينية:

المادة 8-تشمل الأداءات العينية للتأمين على المرض تغطية المصاريف الآتية: العلاج- الجراحة-الأدوية- الإقامة بالمستشفيات-الفحوص البيولوجية والكهروديوغرافية والمجوافية والنظرية-علاج الأسنان واستخلافها الاصطناعي- النظارات الطبية- العلاج بالمياه المعدنية والمتخصصة المرتبطة بالأعراض والأمراض التي يصاب بها المريض-الأجهزة والأعضاء الاصطناعية- الجبارة الفكية والوجهية- إعادة التدريب الوظيفي للأعضاء الاصطناعية- إعادة التأهيل المهن- النقل بسيارة الإسعاف أو غيرها من وسائل النقل عندما تستلزم حالة المريض ذلك-الأداءات المرتبطة بالتخطيط العائلي.

المادة 9-يتم التكفل بمصاريف تنقل المؤمن له أو ذوي حقوقه أو عند الاقتضاء، موافقة ضمن الشروط المحددة بموجب التنظيم إذ تم استدعاؤه من أجل مراقبة طبية أو خبرة من قبل هيئة الضمان الاجتماعي أو لجنة العجز أو عندما يستحيل العلاج في بلدية إقامته.

المادة 10-لا يجوز تقديم الأداءات إلا إذا وصفت العلاقات من طرف طبيب أو شخص مؤهل لهذا الغرض بموجب التنظيم.

المادة 11-لا تشمل المصاريف الأسنان الاصطناعية سوى الأجهزة الوظيفية أو العلاجية أو تلك الضرورية لممارسة بعض المهن،وتحدد هذه المهن عن طريق التنظيم.

المادة 12-تقدم الأداءات المنصوص عليها في المادة 08 أعلاه، دون تقيد للمدة إذا استوفى المؤمن له، عند تاريخ العلاجات الشروط المخولة للحقوق.

المادة 13-يجب إرسال الملف الطبي أو تقديمه إلى هيئة الضمان الاجتماعي خلال الأشهر الثلاثة(03) التالية للعمل الطبي الأول ما لم يتعلق الأمر بعلاج طبي مستمر، وفي هذه الحالة يجب تقديم الملف خلال الثلاثة(03) أشهر التالية لإنهاء العلاج.

يترتب عن استيقاء الإجراءات المنصوص عليها في الفقرة السابقة عقوبات قد تؤدي إلى سقوط الحق في الأداءات بالنسبة للفترة التي استحال فعلا خلالها على هيئة الضمان الاجتماعي ممارسة رقابتها باستثناء حالة القوة القاهرة المثبتة من قبل المستفيد.

القسم الثاني: الأداءات النقدية:

المادة 14–للعامل الذي يمنعه عجز بدني أو عقلي مثبت طبيا عن مواصلة عمله أو استئنافه، الحق في تعويضة يومية تقدر كما يلي:

من اليوم الأول (01) إلى اليوم الخامس عشر (15) الموالي للتوقف عن العمل 50 % من الأجر اليومي بعد اقتطاع اشتراك الضمان الاجتماعي والضريبية.

اعتبار من اليوم 16 الموالي لتوقفه عن العمل 100% من الأجر المذكور وأعلاه في حالة المرض الطويل المدى أو الدخول إلى المستشفى تطبيق نسبة 100 % اعتبارا من اليوم الأول من توقفه عن العمل.

المادة 15– تستحق التعويضة اليومية عن كل يوم أو غيره، على أن لا تتجاوز واحدا على ستين (1/60) أو واحدة على ثلاثين (1/30)، حسب الحالة من الأجر الشهري الممنوح والمعتمد كأساس في حساب الأداءات.

المادة 16–تدفع التعويضات المشار إليها في المادة 15 أعلاه طوال مدة فترة أقصاها ثلاث(03) سنوات محسوبة، وفقا للشروط التالية:

إذا تعلق الأمر بعلل طويلة الأمد، يجوز دفع التعويضية اليومية طوال فترة مدتها ثلاث (03) سنوات ومحسوبة من تاريخ إلى تاريخ عن كل علة.

وفي حالة توقف يتبعه استئناف للعمل يتاح أجل جديد مدته ثلاث (03) سنوات على أن تمر على هذا الاستئناف سنة على أقل.

إن تعلق الأمر بعلل من غير العلل الطويلة الأمد تدفع التعويضية اليومية على نحو يضمن طوال فترة ما مدتها سنتان متتاليتان، يتقاضى فيها العامل ثلاثمائة تعويضة يومية على الأكثر وذلك على علة أو عدة علل.

المادة 17– تترك التعويضية اليومية جارية كلية أو جزئية، طوال فترة تحدد مدتها هيئة الضمان الاجتماعي.

إذ أقر بأن استئناف العمل والعمل المؤدي كفيلان بالمساعدة على تحسين الحالة الصحية للعامل.

إذا اقتضت حالة العامل إعادة تدريبه وظيفيا،وإعادة تأهيله مهنيا بحيث يتأتى له شغل منصب مناسب لحالته. على أن لا تتعدى هذه الفترة بسنة كاملة الأجل المقدر بثلاثة سنوات المنصوص عليها في المادة 16 أعلاه، وذلك في حدود الأجر المتقاضى سابقا.

المادة 21–ترفع قيمة التعويضات اليومية حسب تطور الأجر الخاضع لاشتراكات عامل من نفس الفئة المهنية التي ينتمي إليها العامل المعني بالأمر.

المادة 22–لا يمكن أن يكون مبلغ التعويضة اليومية بنسبة 100 % أدنى من (08) أضعاف المبلغ الصافي لمعدل الساعات للأجر الوطني أدنى[22].

وكذلك باعتبار من الحالات المرضية الخاصة التي قد تتعرض لها المرأة العاملة أو المستفيدة من التأمين، فقد نصت الفقرة الثانية (02) من المادة (02) على التأمين عن المخاطر المتعلقة بالأمومة، ذلك أن حالة الحمل والوضع أيضا تعتبر من الحالات المرضية التي تؤدي إلى التوقف عن النشاط، وبالتالي فإن المرض في مجال التأمينات الاجتماعية لا يقتصر مفهومه على المعني الضيق بل أنه يشمل فيما يشمل حالة الحمل والوضع بالنسبة للمرأة العاملة أو المستفيدة من التأمين، وبالنظر إلى خصوصية المخاطر المتعلقة بالأمومة، فقد نظمها المشرع بأحكام خاصة، بحيث يتم التكفل بالمرأة العاملة عبر كل المراحل المرتبط بها سواء كان ذلك أثناء الحمل أو خلال الوضع وتبعاته، وحتى إلى ما بعد الولادة أيضا[23]. فقد نصت المواد الآتية من القانون 83/11 على:

المادة 23-تشم لأداءات التأمين على الولادة:

الأداءات العينية: كفالة المصاريف المترتبة عن الحمل والوضع وتبعاته.

الأداءات النقدية: دفع تعويضة يومية للمرأة العاملة التي تضطر بسبب الولادة إلى الانقطاع عن العمل.

المادة 24–لا يجوز منح أداءات التأمين على الولادة ما لم يتم الوضع على يد طبيب أو مساعدين طبيين مؤهلين، ما عدى ما خالف ذلك لأسباب قاهرة.

المادة 25–تقدم أداءات التأمين على الولادة إذا تعلق الأمر بوضع عسير أو بتبعات الوضع المرضي.

لا يمكن في هذه الحالة أن تكون مدة الأداءات العينية والنقدية الممنوحة ونسبتها أقل من الأداءات التي ينص عليها التأمين على الولادة.

القسم الأول: الأداءات العينية:

المادة 26–تعوض المصاريف المتعلقة بالتأمين على الولادة وفقا الشروط التالية:

تعوض المصاريف الطبية والصيدلية على أساس 100% من التعريفات المحددة عن طريق التنظيم.

تعوض مصاريف إقامة الأم والمولود في المستشفى على نفس الأساس لمدة أقصاها ثمانية أيام.

المادة 27–تحدد الشروط التي تجري وفقها الفحوص قبل الوضع وبعده وكذا المراقبة التي قد تجريها هيئة الضمان الاجتماعي قبل الولادة وبعدها عن طريق التنظيم.

القسم الثاني: الأداءات النقدية:

المادة 28–يكون للمرأة العاملة التي تضطر إلى التوقف عن عملها بسبب الولادة الحق في تعويضة يومية تساوي 100% من الأجر اليومي بعدها اقتطاع اشتراك الضمان الاجتماعي والضريبة.

المادة 29–تتقاضى المؤمنة لها شريطة أن تتوقف عن كل عمل مأجور أثناء فترة التعويض، تعويضة يوميه لمدة أربعة عشرة (14) أسبوعا متتاليا، تبدأ على الأقل بستة (06) أسابيع منها قبل التاريخ المحتمل للولادة، وعندما تتم الولادة قبل التاريخ المحتمل، لا تقلص فترة التعويض المقدر بأربعة عشرة (14) أسبوعا[24].

الفرع الثاني: العجز الوفاة:

تنتهي خدمة المؤمن له كليا عن ممارسة النشاط المهني إما بعجزه أو بوفاته، فالشخص يعتبر عاجزا كليا إذا فقد قدرته عن العمل بصفة كاملة في مهنته الأصلية حتى وإن كان قادرا على الكسب عموما، كما يعتبر أيضا عاجزا مستديما من لا يقدر عن الكسب بوجه عام، كما قد يحدث أن يصاب العامل بعجز جزئي بحيث لا يذهب قدرته عن العمل بصفة كلية، إلا أنه لا يمكنه من الاستمرار في مزاولة نشاطه المهني[25]، ففي المادة 31 من القانون 83/11 يستهدف التأمين على العجز منح معاش للمؤمن له الذي يضطره العجز إلى الانقطاع عن عمله[26].

وهنا لابد أن نشير إلى أن تأمين العجز هو في الغالب نتيجة لما بعد تأمين المرض، بمعنى انه أذا كان المؤمن له في حالة عجز مؤقت عن العمل (في إطار التأمين على المرض)، وتجاوزت مدة التأمين الثلاث (03) سنوات. فهنا تتحول التغطية تلقائيا من باب التامين على المرض إلى باب التأمين على العجز، بحيث تتولى هيئة الضمان الاجتماعي النظر في حقوق المؤمن له من باب التأمين على العجز دون انتظار طلب المعني بالأمر، والذي يجوز له في بعض الحالات التقدم به في تقاعس الهيئة في تحويله. ويختلف تصنيف العجز بإخلاف الهيئة التي ينتمي إليها المؤمن له[27]،ففي المادة 36 يصنف العجز من حيث تحضير مبلغ المعاش إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: العجزة الذين مازالوا قادرين على ممارسة نشاط مأجور.

الصنف الثاني:العجزة الذين يتعذر عليهم إطلاقا القيام بأي نشاط مأجور.

الصنف الثالث:العجزة الذين يتعذر عليهم إطلاقا القيام بأي نشاط مأجور ويحتاجون إلى مساعدة من غيرهم[28].

أما فيما يتعلق بالوفاة، وباعتبارها حالة طبيعية تنتهي على أثرها خدمة المؤمن له كليا عن ممارسة النشاط المهني، فقد ورد في نص المادة الثانية (20) من القانون 83/11 النص على إدراج خطر الوفاة ضمن الأخطار التي تشملها التغطية في مجال التأمينات الاجتماعية، وقد وردت عدة تعريفات علمية لحالة الوفاة اتفقت من مجموعها على أنها حالة انعدام وظائف الدماغ وساق الدماغ والنخاع الشوكي بشكل كامل ونهائي، وذلك نتيجة الانعدام الفجائي لدوران الدم في الأوعية الدموية وعن حادث عمل، بغض النظر عن سببها على أنه يجب أن تثبت الوفاة بالشهادة الدالة على ذلك.

ويهدف التأمين على الوفاة إلى توفير الحماية لذوي حقوق المؤمن له الذي قطع دخلهم بسبب الوفاة، وما يصاحب ذلك من ارتباك في نظام الأسرة نتيجة فقدها لعائلها وانقطاع مورد رزقها، وكل ذلك لضمان مواجهة المصاريف العاجلة الناجمة عن الوفاة.فمنحة الوفاة إذن هي من الأصل موجهة لمواجهة المصاريف الناتجة عن وفاة المؤمن له، إضافة إلى تعويض انقطاع موارد الدخل التي كان يضمنها لذوي حقوقه قيد حياته[29].فقد شملت المواد الآتية على:

المادة 47–يستهدف التأمين على الوفاة إفادة ذوي حقوق المؤمن له المتوفي، المعرفين في المادة 67 أدناه من منحت الوفاة.

المادة 48–يقدر مبلغ رأسمال الوفاة باثنتي عشرة (12) مرة مبلغ الأجر الشهري الأكثر نفعا، المتقاضى خلال السنة السابقة لوفاة المؤمن له والمعتمد كأساس لحساب الاشتراكات.

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقل هذا المبلغ عن اثني عشرة(12) مرة مبلغ الأجر الوطني الأدنى المضمون.

يدفع مبلغ رأسمال الوفاة دفعة واحدة فور وفاة المؤمن له.

المادة49–يدفع رأسمال الوفاة لذوي حقوق المتوفي كما حددته المادة 67 من هذا القانون.

المادة 50–في حالة تعدد ذوي الحقوق توزع منحة الوفاة بينهم بأقساط متساوية.

المادة 51–يستفيد ذوو الحقوق صاحب معاش العجز أو معاش التقاعد أو معاش التقاعد المسبق، أو ريع حادث العمل على أن لا يقل هذا المبلغ عن الحد الأدنى المنصوص علية في المادة 41 من هذا القانون[30].

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الاستفادة من منحة الوفاة لا يشترط فقط أن تكون أثناء فترة خدمة المؤمن له، أي أثناء وخلال ممارسته لمهنته أو نشاطه، وإنما هي مقدرة كذلك لذوي حقوق صاحب معاش العجز أو معاش التقاعد أو معاش التقاعد المسبق أو ربع حادث العمل الموافق لنسبة عجز عن العمل المعادلة ل50 % على الأقل، حيث وبناءا على ما هو مقرر في المادة 51، فإنه يحق لذوى الحقوق الأشخاص المذكورين الاستفادة من منحة الوفاة دون الإخلال بالحقوق الأخرى التي يخولهم إياها التشريع الخاص بالتأمينات الاجتماعية، لاسيما منها التعويضات التي تقدمها هيئات الضمان الاجتماعي في باب التأمين على المرض[31].

أحكام مشتركة:

حق ذوي الحقوق في الادعاءات العينية: ففي المادة 66 يستفيد ذوو الحقوق المؤمن لهم اجتماعيا من الأداءات المشار إليها في المادتين 8و26 بالنسبة للزوج فقط، وفي المادة 8 بالنسبة للأولاد والأصول.

المادة 67 –يقصد ذوي الحقوق:

زواج المؤمن له، غير انه لا يستحق الاستفادة من الأداءات العينية إذا كان يمارس نشاطا مهينا مأجورا، وإذا كان الزوج نفسه أجيرا، يمكنه أن يستفيد من الأداءات بصفته ذا حق عند ما لا يستوفي الشروط المنشئة للحقوق بحكم نشاطه الخاص.

الأولاد المكفولين البالغون اقل من الثامنة عشرة (18) سنة حسب مفهوم التنظيم المتعلق بالضمان الاجتماعي.

-يعتبر أيضا أولادا مكفولين:

-الأولاد البالغون أقل من خمس وعشرين (25) سنة والذين أبرم بشأنهم عقد تمهين يمنحهم أجرا يقل من نصف الأجر الوطني الأدنى المضمون.

-الأولاد البالغون اقل من واحد وعشرين (21) سنة والذين يواصلون دراستهم، وفي حالته ما إذا بدأ العلاج الطبي قبل سن الواحد والعشرين (21)، لا يعتد بشرط السن قبل نهاية العلاج.

-الأولاد المكفولين والحواشي من الدرجة الثالثة المكفولين من الإناث مهما كان سنهم.

-الأولاد مهما كان سنهم الذين يتعذر عليهم ممارسة إي نشاط مأجور بسبب عاهة أو مرض مزمن، ويحتفظ بصفة ذوي الحقوق الأولاد المستوفون شروط السن المطلوبة الذين تحتم عليهم التوقف عن والتمهين أو الدراسة بحكم حالتهم الصحية.

-يعتبر مكفولين أصول المؤمن له أو أصول زوجه عندما لا تتجاوز مواردهم الشخصية المبلغ الأدنى لمعاش التقاعد.

المادة 68-يستفيد ذوو حقوق المسجون الذي يقوم بعمل تنفيذ العقوبة جزائية كما حددتهم المادة 67 أعلاه من الأداءات العينة على المرض ورأسمال الوفاة المنصوص عليهما في المادتين 8و67 من هذا القانون.

القسم الرابع: حق الأشخاص العاطلين عن العامل قيد الأداءات:

المادة 69-يتمتع بالحق في الأداءات العينية للتأمينات عن المرض وينشئه من أجرى له:

معاش مباشر للعجز من التأمينات الاجتماعية.

ريع عن الحادث عمل أو مرض مهني يناسب عجزا عن العمل يساوي 50 %على الأقل.

معاش تقاعد 4-معاش تقاعد منقول 5-معاش تقاعد بدل معاش عجز 6-منحة تقاعد 7-منحة تقاعد منقولة8-منحة للعمال المسنين الأجراء 9-مساعدة عمرية 10-معاش عجز منقول 11-معاش تقاعد منقول بدل معاش عجز منقول 12-ريع عن حوادث أو مرض مهني للزوج أو الولد اليتيم أو الوالد أو الوالدة 13-تعويض بعنوان التامين على البطالة 14-معاش تقاعد مسبق.

المادة 70-يتمتع بالحق في الأداءات العينية للتأمين عن الولادة وينشئه أجرى له:

معاش مباشر للعجز من التأمينات الاجتماعية.

ريع عن حادث عمل أو مرض مهني يناسب عجزا عن العمل يساوي 50% على أقل.

معاش تقاعد مباشر وفقا للشروط التي يحددها التنظيم.

تعويض بعنوان التأمين على البطالة.

معاش تقاعد مسبق[32].

***الأحكام التشريعية المتعلقة بالأداءات العائلية والمتواجدة في القوانين المالية:**

المادة 160-2 -تحول إلى ميزانية الدولة 75 % من المبلغ الإجمالي للنفقات المترتبة على المنح العائلية في الاقتطاعات خارج الإدارات، والتي هي -حاليا على عاتق المستخدمين.

يستمر التكفل بمنحت الدراسة من قبل المستخدمين.

المادة 160-3-يتكفل المستخدم بتعويض الأجر الواحد (ت-أ-و).

تحديد كيفيات تطبيق هذه المادة عند الحاجة عن طريق التنظيم.

مرسوم تنفيذي رقم 97-151 مؤرخ في 03 محرم عام 1418 الموافق 10 مايو 1997، يحدد نسبة تكاليف تسيير المنح العائلية وعلاوة الدراسة.

في المادة الأولى تحدد نسبة نفقات التسيير الخاصة في المنح العائلية وعلاوة الدراسة الواقعة على عاتق ميزانية الدول ومدفوعة إلى هيئة الضمان الاجتماعي المختصة ابتداء من سنة 1997 ب03 % من مبلغ الاعتمادات المخصصة لهذا الجانب، والتي تسيرها الهيئة المذكورة بعنوان السنة المالية لسنة 1996[33].

ومنه فإن أهم المخاطر التي تغطيها التأمينات الاجتماعية، والتي تناولناها بالدراسة في هذه الورقة البحثية هي المرض، الولادة، العجز، الوفاة، فهي تؤمن وجود مورد دائم في حالة تعرض المؤمن له طوال حياته للأخطار، وكذا أفراد أسرته بعد وفاته. إلا أن هناك بعض الحالات التي لم يمسها التأمين الاجتماعي مثل التكفل باليتامى والمساكين وأطفال الشوارع الذين لا يتوفرون على أية مورد مالي، فعلى الدولة التكفل والعناية بهذه الفئات.

كذلك تحتاج التأمينات الاجتماعية تقديم خدمات إضافية للمنتمين إليها كإنشاء نوادي صحية رياضية للذين تعرضوا لأخطار مهنية. والعمل على زيادة وعي الأفراد بأهمية التأمين الاجتماعي، وذلك عبر وسائل الاتصال الحديثة، كفتح مواقع إلكترونية من أجل الإجابة عن تساؤلات الموظفين والمنتمين لهذا القطاع.

الهوامش:

(1) السيد عبد العاطي وآخرون: الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، (د.م.ن)، 2006، ص7.

(2) نفس المرجع، ص7.

(3) نفس المرجع، ص8.

(4) نفس المرجع، ص8.

(5) نفس المرجع، ص9.

(6) أحمد سالم الأحمر: علم اجتماع الأسرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2004، ص ص 17-18.

(7) نفس المرجع، ص ص 19-18.

(8) السيد عبد العاطي وآخرون: مرجع سابق، ص ص 12-13.

(9) مصطفى أحمد أبو عمرو: مبادئ قانون التأمين الاجتماعي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010، ص 58.

(10) نفس المرجع. ص58.

(11) مجموعة من الكتاب: الجديد في مجال التامين والضمان في العالم العربي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2007، ص 232.

(12) مصطفى أحمد عمرو: مرجع سابق، ص65.

(13) نفس المرجع، ص ص 73-74.

(14)(_____):التأمينات الاجتماعية على ضوء الممارسة القضائية، مقال منشور على الموقع:
.www.djelf.info/vb/showthread.php?t=508476يوم 2012/03/12 على الساعة 14:25.

(15) مصطفى أحمد أبو عمرو: مرجع سابق، ص ص 73-74.

(16) مجموعة من الكتاب: الجديد في مجال التأمين والضمان في العالم العربي، مرجع سابق، ص87.

(17) نفس المرجع، ص85.

(18) (_____): قانون الضمان الاجتماعي (نصوص تشريعية وتنظيمية)، الطباعة للرهان الرياضي الجزائري، الشراقة، ط2، ص ص 303-304.

(19) نفس المرجع. ص ص 304-305.

(20) (_____): التأمينات الاجتماعية على ضوء الممارسة القضائية، مرجع سابق.

(21) نفس المرجع.

(22) (_____): قانون الضمان الاجتماعي (نصوص تشريعية وتنظيمية)، مرجع سابق، ص ص 305-309.

(23) (_____): التأمينات الاجتماعية على ضوء الممارسة القضائية، مرجع سابق.

(24) (_____): قانون الضمان الاجتماعي (نصوص تشريعية وتنظيمية)، مرجع سابق، ص ص 311-312.

(25) (_____): التأمينات الاجتماعية على ضوء الممارسة القضائية، مرجع سابق.

(26) (_____): قانون الضمان الاجتماعي (نصوص تشريعية وتنظيمية)، مرجع سابق، ص 312.

(27) (_____): التأمينات الاجتماعية على ضوء الممارسة القضائية، مرجع سابق.

(28) (_____): قانون الضمان الاجتماعي (نصوص تشريعية وتنظيمية): مرجع سابق، ص 313.

(29) (_____): التأمينات الاجتماعية على ضوء الممارسة القضائية، مرجع سابق.

(30) (_____): قانون الضمان الاجتماعي (نصوص تشريعية وتنظيمية)،مرجع سابق، ص ص 315-316.

(31) (_____): التأمينات الاجتماعية على ضوء الممارسة القضائية،مرجع سابق.

(32) (_____)، قانون الضمان الاجتماعي (نصوص تشريعية وتنظيمية)، مرجع سابق، ص ص 322-325.

(33) نفس المرجع، ص 234.

إضطرابات اللّغة و الكلام لدى الطفل على ضوء إختبار الرورشاخ – دراسة عيادية ل 20 حالة طفل في مرحلة الكمون.

د.زيوي عبلة

جامعة الجزائر 2

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخّص

تطمح هذه المبادرة إلى دراسة التوظيف النفسي لدى الأطفال الذين يعانون من إضطرابات اللّغة و الكلام من خلال إختبار الرورشاخ الذي تمّ تطبيقه على 10 حالات عيادية لأطفال يمرون بمرحلة الكمون.

تعدّ إضطرابات اللّغة و الكلام من بين إضطرابات النمو و الوظائف الأدائية لدى الطفل و بالتحديد تلك التي تمس نموه اللفظي، حيث نجد عدة أنواع من هذه الإضطرابات كما تبينه التصنيفات النوزوغرافية، إذ تتمثل في الإضطرابات التي يتميز فيها إكتساب الكلام بالإختلال أو التأخر. سوف تفحص هذه الدراسة فرضية أن إضطرابات اللغة و الكلام هي إضطرابات النشاط النفسي، حيث تتميز فيها تصورات الكلمات بعدم الإستقرار و يرتبط إختلال تطور الترميز الكلامي بفشل الوظيفة الرمزية للعاطفة.

الكلمات المفتاحية:إضطرابات اللّغة و الكلام، إضطراب النشاط النفسي، الوظيفة الرمزية.

Résumé

L'auteure se propose de se pencher sur la question de la fonction symbolique dans les troubles de la parole et du langage chez un groupe constitué de 10 enfants appartenant à la période de latence à travers le test de Rorschach .

Comme le soulignent les classifications nosographiques, les troubles du langage et de la parole sont des troubles où l'acquisition du langage est caractérisée par un dysfonctionnement ou un retard depuis les premières étapes du développement. Cette contribution va tester l'hypothèse selon laquelle les troubles du langage et de la parole sont des troubles du travail psychique dans lequel les représentations des mots se caractérisent par l'instabilité et l'échec de la fonction symbolique de l'affect .

Mots clés :Les troubles du langage et de la parole, le fonctionnement psychique, la fonction symbolique.

الإشكالية

تعدّ إضطرابات اللّغة و الكلام من بين إضطرابات النمو و الوظائف الأدائية عند الطفل و بالتحديد تلك التي تمس نموه اللفظي، حيث نجد عدة أنواع من هذه الإضطرابات كما تبينه التصنيفات النوزوغرافية الفرنسية و العالمية (CFTMEA, DSM, CIM)، و تتمثل في الإضطرابات التي يتميز فيها إكتساب الكلام بالإختلال أو التأخر منذ المراحل الأولى من النمو مع غياب أي إصابة عصبية أو فيزيولوجية على مستوى جهاز النطق، الأجهزة الحسية أو وجود تأخر عقلي. (Misès. R, 2012)

و لقد أثار موضوع اللّغة و الكلام إهتمام النظرية التحليلية الفرويدية، حيث قام س. فرويد بنشر أول أعماله حول الأفازيا (1891)، كما تبين من خلال تطبيقه العيادي حول الحالات الهستيرية (1895) إهتمامه بإضطرابات اللّغة و الكلام، حيث فرّق س. فرويد بين تصورات الأشياء و تصورات الكلمات من المنظور العصبي ثم إحتفظ بها فيما بعد في النظرية التحليلية.

تتمثل تصورات الأشياء في إستثمار الآثار الذكراوية خاصة البصرية للأشياء، حيث تحتفظ هذه التصورات في جهاز اللاشعور و هي توافق لدى الطفل الشيء المدرك و المستثمر في غيابه، أما تصورات الكلمات ، فتسمح بالوصول إلى الجهاز الثانوي للتفكير أي ما قبل الشعور. (Taly. V, 2012)

عندما يعيش الطفل في محيط مثير بقدر الكفاية، يتطور كلامه، و غالبا ما يتعرف المحيطين به على غرضه من خلال تواصلاته ما قبل الكلامية، لتتزايد سيرورة الإكتساب، حيث يكتسب نظام يسمح له ببناء لغته و توسيعه بصورة غير محدودة.

و يرتبط تطور اللغة مع نمو سيرورات العقلنة، و في هذا الإطار يوضح Watzlawick مظهري اللغة، حيث يتمثل أولهما في النظام الحقيقي للتواصل و الذي يدعى digital ، أما الثاني analogique حيث فيسمح بالتواصل بطريقة مباشرة بواسطة الإيماءات، الحركات، تغيرات الصوت و تنوع التجارب العاطفية. (Diatkine. R, 1997)

إن كل هذا يجعنا نطرح التساؤل التالي: ما هي مميزات التوظيف النفسي لدى الأطفال الذين يعانون من إضطرابات اللغة و الكلام؟

عرض و تحليل نتائج البحث

للإجابة عن هذا التساؤل، سنعرض معطيات المقابلة العيادية و إختبار الرورشاخ الذي تمّ تطبيقه على 10 حالات عيادية لأطفال يمرون بمرحلة الكمون.

1. نتائج المقابلة العيادية

الرمز	السن	الجنس	العرضية النفس مرضية
1	8	ذكر	مشاكل في التعلم، إفراط حركي، تأخر في الكلام
2	7	أنثى	مشاكل في التعلم، إفراط حركي، اضطراب في النطق
3	8	ذكر	صعوبات في التركيز، إفراط حركي، تأتأة، التبول اللاإرادي الليلي
4	9	ذكر	صعوبات في التركيز، إفراط حركي، ميول لإيذاء الذات عن طريق التشويه الجلدي، التأتأة ، البدانة، التبول اللاإرادي الليلي
5	12	أنثى	البدانة، مشاكل في التعلم، تأخر في الكلام
6	7	ذكر	مشاكل في التعلم،صعوبات في التركيز، تأخر في الكلام، طابع إنطوائي
7	6	ذكر	مشاكل في التعلم، النسيان، تأخر في الكلام، طفل متبنى
8	8	ذكر	مشاكل في التعلم، النسيان، صمم جزئي، مرض الصرع، تأخر في الكلام
9	8	ذكر	مشاكل في التعلم، صمم جزئي، تأخر في الكلام
10	8	ذكر	تأتأة ، التبول اللاإرادي الليلي
11	12	ذكر	مخاوف، تأتأة
12	9	ذكر	تأتأة ، التبول اللاإرادي الليلي
13	8	ذكر	تأخر في الكلام، طفل متبنى
14	7	ذكر	التبول اللاإرادي الليلي، تأتأة، طابع هوسي منذ معايشة لحرق الأب و هو في حالة إدمان للمنزل
15	9	ذكر	تأتأة منذ معايشة حادث مرور مع الأخت
16	9	ذكر	مشاكل في التعلم، صعوبات في التركيز، نسيان،إلتهاب السحايا، تأخر في الكلام
17	6	أنثى	طفلة متبنية، تأتأة
18	6	أنثى	مشاكل في التعلم، صعوبات في التركيز، إفراط حركي، إضطراب في النطق
19	8	ذكر	مشاكل في التعلم، تأخر في الكلام، غرابة السلوك، عنف الأب
20	9	أنثى	مشاكل في التعلم، إضطراب في النطق، غرابة السلوك

جدول رقم 1 : جدول يوضّح خصائص مجموعة البحث.

يبيّن الجدول الخاص بمميزات الأطفال الذين يعانون من إضطرابات اللّغة و الكلام إرتفاع نسبة الذكور مقارنة بالإناث، حيث يترافق هذا الإضطراب مع الإفراط الحركي بصورة محبذّة.

كما يبيّن الجدول توزّع الأطفال إلى 8 حالات تعاني من التأتاة، 9 حالات تعاني من تأخر في اللّغة و 3 حالات تعاني من إضطراب النطق الذي يرتبط بنطق خاطئ لبعض الحروف حيث يدخل في إطار صعوبات تكيفية مع الغلاف العائلي بالنسبة للحالة 2 مثلا التي كانت تعيش في بلد أجنبي ثم إنتقلت في سن 6 سنوات، أين واجهت صعوبات مدرسية مرتبطة بالتواصل، الفهم و خاصة اللغة. و في محاولتها لتعلّم اللغة العربية، ظهرت لديها مشاكل في نطق بعض الحروف مما إستدعى متابعة أرطوفونية. أما بالنسبة للحالة 20، فترتبط مشاكلها النطقية مع غرابة سلوكاتها كالضحك بدون سبب، النظر الحاد. و لقد أتت الحالة برفقة أمها التي تميزت هي الأخرى بإضطراب التأتاة و تشتت التفكير، بالإضافة إلى عدم الإسقرار.

و لقد تميزت العرضية النفس مرضية لدى كل الأطفال بالإمتزاج، خاصة التأتاة التي تقترن بالإفراط الحركي و التبول اللاإرادي (بالنسبة ل 5 حالات)، كما تظهر كإستجابة عرضية لمعاش صدمي مثل بالنسبة للحالة 14 الذي تصفه أمه بأنه أصبح قلقا و أنه يتعامل بالإندفاعية مع الآخرين، كثير الحركة إلا أثناء النوم الذي يتميز بأنه جد عميق إلى درجة أنها تصفه قائلة 'تقولي ميت'. و عن تأتأته، فتربطها أمه بالحريق الذي تسبب فيه أبوه و هو في حالة لا وعي، حيث أنه يتابع لدى طبيب عقلي منذ أن توقف عن الإدمان على المخدرات. لقد مثّل الحدث هلعا في الوسط العائلي، خاصة و أن الطفل الذي كان يبلغ 6 سنوات، تلقى الخبر و هو عائد من المدرسة. منذ تلك اللحظة، تصف الأم إبنها بأنه أصبح كثير الضحك بدون سبب و أنه يشعر بالرعب. و أيضا بالنسبة للحالة 15 الذي أصبح يعاني من التأتأة منذ مشاهدته لحادث مرور وقع لأخته الكبرى عندما كان عمره 4 سنوات، حيث تصفه أمه قبل ذلك الحدث 'كان ناطق و شاطر'، غير أن المعاش الصدمي مسّ الوظيفة النطقية حيث تغيّرت سلوكاته 'مايهدر والو'. و عن المعاش الصدمي أخبرنا الطفل 'هاذيك الطونوبيل كحلة، جات تجري، ضربتها، طاحت، دار بيها الغاشي، ماشفيتش، شفت برك، الخلعة'.

لقد أتت معظم الحالات مرفقة بالأم، حيث تميزت هذه الأخيرة بالتهيج، علاقة دخيلة تصل إلى طابع اللاتمايز في الحدود من خلال التدخل خاصة في الحياة الدراسية، الإجابة المسبّقة، الشتم و التقليل من شأن الطفل مثل بالنسبة للحالة 20 التي أخبرتنا في المقابلة عن رغبتها في أن تصبح طبيبة، حيث أجابتها أمها بسخرية و أسف 'نندب'، أو بالنسبة للحالة 19 الذي وصفه أبوه 'sauvage'، حيث أخبرنا أنه يبرحه ضربا و رغم ذلك، فهو غير قادر على التركيز في المدرسة، أما أمه فلقد تميزت بالصمت التام و صعوبة التعبير الكلامي نظرا لتكلمها باللهجة الخاصة بمنطقتها، مما يجعل تواصلها مع العائلة صعبا.

و عموما، فلقد أظهرت الأمهات إستثارة مفرطة مرتبطة خصوصا بالمشاكل العلائقية العائلية، مثل بالنسبة للحالة 18، التي أتت مصاحبة مع أمها، إذ تميز إطار المقابلة بالإجتياح نظرا لكثرة شكاوي الأم حول سوء المعاملة التي تعاني منها من طرف العائلة التي تصل إلى درجة أن أم زوجها تضربها بالعصا و تشتمها أمام أبناءها. إذ تظهر عدم قدرة الأم على إحتواء الإثارات الخارجية من خلال إصابة الأم لدى حالتين بالدّاء السكري (الحالة 14، 15).

يبدو إذن أن للغلاف العائلي دور في شرح إضطرابات النطق والكلام لدى الطفل، و في هذا الإطار، تشير الدراسات في علم النفس الطفل إلى أن أي إضطراب في العلاقة مع الأم أو بديلها قد يؤثر على نمو و سلوك الطفل، إذ تلعب العلاقة بالموضوع دورا هاما في تطور الوظائف المعرفية حيث يظهر ذلك بصورة مبكرة على مستوى الكلام.

نجد بالنسبة للحالة 10 مثلا الذي أخبرتنا أمه أن زوجها إنفصل عنها بعد كثرة المشاكل بسبب غضبه و أفكاره البرانويدية المتعلقة بإعتقاده بأنها تخونه، لكنه و بعد طلاقه من زواجه الثاني، عاود الرجوع إليها، غير أنه أبقى على طابعه الإندفاعي، إلى درجة أنه يضرب أبناءه و يشتمهم لأتفه الأسباب. و أمام ذلك، فلقد ظهر لنا من خلال المقابلة الحركات الإكتئابية لدى الأم، ليصبح الطفل تعويض للحاجة العاطفية.

كما تبين من خلال المقابلة خطورة الغلاف العائلي، لتكتسي العلاقات بين الفردية الطابع السادو- مازوشي حيث يقوم الطفل على صورة غلاف إستثارة بالدفاع بطريقة حركية- بدائية ضد الحركات النزوية الخطيرة، مثل بالنسبة للحالة 3 الذي أتى مرفقا بوالدته و أخته، حيث أظهرت هذه الأخيرة سلوكات إنحرافية مرتبطة بالتصنت و التقرب الشديد أمام باب المكتب، التواصل مع أخيها طيلة المقابلة بصوت مرتفع منذ قاعة الإنتظار مما يشير إلى العلاقة الإستعرائية- التبصرية، و في هذا الصدد، فلقد أخبرنا الطفل عن تبوله اللاإرادي بأنه مرتبط بالألعاب التي يقوم بها ليلا مع أخته (حيث ينام برفقتها و والديهما)، حيث يتمثل محتوى اللعب في التبول على الآخر.

أما أمه، فتميزت بالمرور إلى الفعل العدواني بسبب عدم قدرتها على التحكم في الوضعية العائلية بصورة عامة، إذ أصبحت تعاني من الصداع النصفي و ارتفاع الضغط الدموي منذ أن إكتشفت بأن زوجها يخونها، مضيفة بأنها تعيش الفقر الشديد و رغم ذلك، فإن زوجها يتظاهر بالغنى، ليجلب أنظار الفتيات، في حين، فهي تقضي معظم أوقاتها و هي تعتني بأمه التي تعاني من الشلل الكلّي. و عن سلوكاته في المنزل، فلقد أخبرتنا بأنه منذ ولادة إبنها، و هذا نظرا لعدم رغبته في أبناء آخرين، أضبح زوجها جد عدوانيا، إلى درجة أنه قام يوما بحمل إبنه رضيعا و هو في حالة بكاء و قام بقدفه بقوة على صدر أمه.

2. نتائج الرورشاخ

Refus	Ban	RC%	F. Compl	T.R.I	H%	A%	F+%	F%	D%	G%	R	الحالة
0	1	30	3E/0k	0K /0,5C	10	80	0	50	70	30	10	1
0	2	68	3k/0E	2K /1C	9	32	29	64	68	32	22	2
0	0	33	3k/0,5E	1K /1C	33	20	56	60	60	40	15	3
0	3	24	1k/0E	0K /1 ,5C	0	100	15	76	18	82	17	4
1	1	53	3k/0E	0K /1,5C	0	59	46	76,5	76,5	23,5	17	5
0	4	46	5k/0E	0K /1C	0	92	86	54	69	31	13	6
5	1	14	0 K/0E	0K /0C	14	57	43	100	71	29	7	7

6	2	67	0k/0E	0K /4C	17	33	50	33	67	33	6	8
0	3	50	1k/0E	0K /0C	14	86	57	93	57	43	14	9
1	3	20	1k/0E	0K /2C	10	90	100	20	50	50	10	10
0	1	23	2k/0E	1K /3C	15	54	50	15	38	62	13	11
0	3	42	3k/0E	2K /2,5C	25	67	60	42	50	50	12	12
0	3	36	4k/0,5E	3K /0,5C	45	64	75	36	36	64	11	13
0	1	27	1k/0E	0K /0,5C	0	100	37,5	73	27	73	11	14
0	3	48	3k/1E	1K /3C	15	59	56	67	74	26	27	15
6	1	25	0k/0E	1K /0,5C	25	75	100	75	0	100	4	16
2	3	40	1k/0E	0K /0C	0	100	71	90	70	30	10	17
0	3	42	2k/0E	0K /0,5C	42	42	43,75	84	58	37	19	18
0	0	38	1k/0E	0K /0,5C	45	45	45	65	54	46	13	19
6	2	50	0k/0E	0K /6,5C	0	100	100	100	75	25	4	20

جدول رقم 2 : جدول يوضّح نتائج إختبار الرورشاخ.

أما نتائج الرورشاخ فلقد تميزت بإنتاجية منخفضة (إلا بالنسبة ل 6 حالات التي تتميّز معظمها بالإفراط الحركي)، ترافقت هذه الأخيرة بإنخفاض نسبة الأجوبة الشكلية كدليل على فشل الدفاعات الرقابية ما عدا بالنسبة لستة حالات التي تميزت بإفراط في إستثمار الحدود الشكلية و هذا ما يتماشى مع طرق التناول التي بينت إستثمار التناول الجزئي للوحات مما قد يشير إلى عدم قدرة هؤلاء الأطفال على التحكم في الإثارات نظرا لإجتياح قلق إضطهادي مرتبط بموضوع خطير مثل بالنسبة للحالات 7، 11، 15، 17، 18، و التي قامت بإسقاط موضوع مخيف منذ اللوحة I، مثلا الحالة 7 الذي أجاب منذ اللوح الأولى في التطبيق الأول لإختبار الرورشاخ 'ما نعرفوش، ما عرفش هذا ما عمباليش، كيما كحلوش هذا كحلوش، هذايا كحلوش'، حيث تبيّن التعاليق صعوبة التعبير اللفظي. و يشير فقر التداعيات إلى عدم إمكانية الطفل على إسقاط التصورات نظرا لهشاشة و خطورة المواضيع المستدخلة، و يظهر ذلك من خلال التمرير البعدي (le retest) الذي قمنا به بعد مجموعة من الحصص العلاجية التي دامت مدّة سنة بطلب من الأخصائية الأرطوفونية، حيث تمكّن الطفل من إسقاط مواضيع و التعبير عن ذلك لفظيا ليعطي الإجابة 'شجرة، شجرة فيها شيطان هو راو قاعد فيها و عندو نيف، عندو يدو عندو رجلين'، ليأخذ الموضوع طابع مشحون بالنزوات العدوانية- الجنسية الخطيرة. كما نجد إسقاط لموضوع غير حاوي بالنسبة للحالة 11 الذي تميّز بروتوكوله عموما بإسقاط مواضيع خطيرة و غير الآمنة 'وحش'، 'غول'، إذ تزول الحدود النفسية بظهور الألوان، خاصة اللون الأحمر الذي أحيى قلق بدائي في اللوحة II 'هذا آو يشبّه شغل شكل تع كلية تع كبش و كي كنت صغير شغل دّم آو يسيح، شغل كبدة' مضيفا في إختبار إختيار اللوحات إلى بدائية الصورة الأمومية و التبعية الفمية قائلا 'خاطش شغل كبدة كيما حنا نقولو كي ولدتني، كيما كبدة و بديت نكبر بديت نتغذى من الحبل السرّي'.

و قد تؤدي خطورة المواضيع الداخلية لدى البعض الآخر (الحالة 2، 5، 8 و 20) إلى الكف الشديد و ضعف ديمومة المواضيع حيث يتماشى ذلك مع عدم النضج العاطفي مثل بالنسبة للحالة 20 الذي إكتسى بروتوكولها طابع الخوف الشديد و الصمت بالإضافة إلى كثرة التمتمة و إرتفاع عدد اللوحات المرفوضة (6 لوحات) والذي يدل على هشاشة ديمومة المواضيع الداخلية. و أمام ذلك، فلقد تمكّن بعض الأطفال من الدفاع ضد هشاشة الحدود بإسقاط لأجوبة جلد (Chabert, 1983) مثل بالنسبة للحالتين 13 و 19 اللذان أعطيا أجوبة ذات محتوى لباسي منذ اللوحة I 'هذا أو لابس chapeau' بالنسبة للحالة 13 و 'كاين tricot' بالنسبة للحالة 19.

و بالفعل، فلقد بينت نتائج الصدى اللوني إرتفاع عدد الأجوبة في اللوحات اللونية و الذي قد تشير إلى صعوبة التعامل مع المثيرات التي تشكل خطرا نزويا على الحدود النفسية و الذي قد يصل لدى البعض إلى تهديد الهوية، إذ تنخفض نسبة الأجوبة الإنسانية لدى معظم الحالات لتشير إلى وجود إشكالية مرتبطة بالحدود مثل بالنسبة للحالة 18 الذي تميّز بروتوكولها بتعاليق غريبة مثل 'وعلاش ما تكتبيش فوق الطابلة' (اللوحة I)، 'هاوليك طاطا حليمة' (اللوحة VIII)، 'بورورو وحدو، بورورو واحد و طبيبة'، حيث يشير التفكك في الكلمات إلى وجود تفكك في التفكير، و أمام إرتفاع الإستثارة، يظهر من خلال غياب الأجوبة الحركية الإنسانية صعوبات التعامل مع هذه الأخيرة. و رغم ذلك، فلقد تمكن البعض من الأطفال من إسقاط حياة هوامية الذي يطغى عليها القطب الليبيدي- العدواني مثل بالنسبة للحالة 12 في اللوحة II 'راهم يدّاربو واحد الزوج، زوج رجال برّا' أو الحالة 13 في اللوحة III 'هاذو زوج دراري يدّربو هكذا'، و رغم ذلك، فتبقى تقمصاتهم الإنسانية عموما ثابتة لتبتعد بذلك إشكاليتهم عن المجال البدائي.

و من ناحية تصور الذات و الصور الوالدية، فيبيّن تحليل المحتويات إلى وجود إسقاط لمواضيع إضطهادية من جهة و مواضيع تحمل بعد كلية القدرة من جهة أخرى مثل بالنسبة للحالة 13 الذي أجاب في اللوحة I 'زوج رجال شادين حوايج، عندو جناحتين، يطيرو'.

و لكن عموما، فلقد تمكّن معظم الأطفال من إسقاط تصور بسيط أو مبتذل في اللوحة V 'فراشة'، 'زاوش'، 'خفاش' مما يدل على تماسك صورة الذات.

يمكن إذن التفكير في أن إضطرابات اللّغة و الكلام هي إضطرابات النشاط النفسي حيث تتميز فيها تصورات الكلمات بعدم الإستقرار و يرتبط إختلال تطور الترميز الكلامي بفشل الوظيفة الرمزية للعاطفة.

3. عرض مختصر لحالة لقمان:

لقد تمّ توجيه الطفل لقمان (9 سنوات) إلى مكتب المساعدة النفسية من طرف المختصة الأرطوفونية التي تعالجه منذ أصيب بالتأتأة 'يقوقو' بعد مشاهدته لحادث مرور وقع لأخته الكبرى و عمره 4 سنوات.

يعيش لقمان في عائلة تتكوّن من 9 أفراد، حيث أتى للمقابلة العيادية برفقة أمه التي تعاني من مرض الدّاء السكري و هي تجهل تماما سبب إصابتها، رغم أنها تتكلّم تارة عن المشاكل اليومية، ولكن دون أن تربط ذلك بمرضها.

تميّزت الأم أثناء المقابلة العيادية بالميل إلى الصمت و تفادي النظر، بالإضافة إلى العصبية المفرطة، حيث أشارت إلى رغبتها في شفاء إبنها الذي يتميّز عن بقية إخوته بصعوبات النطق رغم إمكانياته المعرفية في النجاح المدرسي.

أما لقمان، فتميّز على عكس أمه، بكثرة الإستثارة، الحركة و الكلام بتلقائية، الرغبة في اللّعب و الميل إلى لمس أعضاءه الجنسية.

يبيّن بروتوكول الرورشاخ إستثمار واضح للوضعية، حيث تميّز خطاب لقمان بالإستثارة اللفظية، المشاركة النشيطة، كما ظهرت بالإضافة إلى تلقائية التداعيات، تعاليق مرفقة بالأجوبة.

تأتي الأجوبة الشاملة لتشير إلى قدرة الطفل على التكيّف مع الواقع الخارجي، أما الأجوبة الجزئية و الأجوبة الحسّية و الحركية، فتشير إلى غنى الواقع النفسي، و التي تظهر في بعض الأحيان بصورة خامة مشيرة إلى الأثر التخريبي للنزوات الجنسية و العدوانية.

و عموما، ترتبط الإشكالية بالقدرة، حيث يأتي إنكار الصور الوالدية في إختبار الإختيار للحدّ من قوّة المواضيع التي تهدّد النرجسية القضيبية.

لقد سمحت لنا الحصص العلاجية بتعديل إضطراب التأتأة لدى لقمان بفضل إستدخال التجارب الحسية- الحركية من خلال نشاطات اللعب للتفريغ عن الفائض في الإستثارت في إطار علاقة إسنادية و عاطفية و إعادة دفع سيرورة الترميز الثانوي، و إدماج الأم في مشروع المساعدة النفسية من خلال المقابلات العيادية المنتظمة و التواصل في حيز عائلي حميمي و مستقّر.

بروتوكول الرورشاخ :

اللوحة I

GblFC'Obj (يقوم لإمساك اللوحة) هذا 1. قيينا، آ قناع يلبسوه ش شغل ه هاكا تحكميه و تدوريه، شكلو هاو القناع، هاوليك تع الودنين و هاوليك العينين [Ddbl26]، و هذا هاوليك من نيف هكا ... GblFC'A ما آه 2. ذئب هذا، ذئب هذا، شغل هكا، تخيلتو هكا، نديرلو نديرلو جسم في راسو و كامل ذئب و هكذا و كامل، لعينين، لعينين و و الشكل هذا ذئب هذا.

اللوحة II

GKH عمبالك واش واشنو كنت راح نقولك (يبتسم)، شغل 3. زوج صحاب شغل هكا يتخامسو هكذا، GF-A شغل يتخامسو هاك، توأم ياه، و هذايا واسمو هذا 4. سلطعون، سطّاعون، هكا عندو مخالب هنايا كبار، و هامليك عينيه، عينيه هاذو خارجين [D3]، و هاوليك الصدفة، الصدفة تاعو هاذيا الكحلة، حيوان بحري هو يعيش ف فالبحر و و و في في الشاطئ.

اللوحة III

DF+ABan فرااشة هاذيا، هاذ هاذيا 5. فراشة، تبان هايليك الجناح تعها [D3]، و هذا شكل مب مبتسم DkanA هكا [D1] ... (يحاول تقديم اللوحة) ماعرفتش واشنو، هذا ض 6. ضفدع يقفز، ياخي المبتسم تاعو، دايما مبتسم و هاوليك لسانو لسانو يخرج، و هاذي الفراشة ي يصيدها بلسانو [D7]، و هاذو عينيه، تبان عين [Ddd6]، هاذيا العين تاعو خا خارجين.

اللوحة IV

(يقلب اللوحة) شغل هذا 7. شرير هكايا، عندو يديه و هذاك الرداء تاعو الشرير فيه هكا، هكا، GFClob(H) معوّج و هاوليك هذاك الشرير [D1]، هذا الرداء تاعو [G-D1]، و هامليك شغل خارجين هكا (يشير بيديه)، هكا (يشير بجسده) ماعمباليش واسمهم هذاك فالميكي عندو رداء، إيه.

اللوحة V

(يحاول إرجاع اللوحة) آه عرفتو هذا خ 8. خفاش بصّح تاعو طويل بزّاف ماشي خفاش، تاعو طوال بزّاف ه هذا الراس، 9. راس أ أرنب و هاذوما بصّح هاذو واشن نعرف 10. كائن بحري هكا يشبهلوبصّح ماعمباليش واسمو هامليك عينيه كيما هو [D9]، و هايليك بقع بيضا هي صغيرة بزّاف، كائن بحري، هايليك بصّح صغيرة بزّاف، ن نقدر نشوف أنا؟ (مشيرا إلى اللوحة الموالية). GF+ABan DF+Ad DblFC'A

اللوحة VI

هذا شغل ش هذا هذا شغل 11. جناح جناح [D3] هكا زوج جناح و هذا شغل ب 12. بخار يخرج هكا كي يقلّع [D1] هذا، طائر ولاّ، هذا ماعلابالیش واشنو ن نعرف بزّاف الحيوانات، نعرفهم كامل، النسر، الح الحرباء، الحرباء الإسبانية هكا شغل فيه خطوط. DiF-Ad

اللوحة VII DkobFrag

ها 13. هاذوما رجلين، هاذوما الزوج رجلين ت تبان س سحابة شغل 14. سحابة جاز عليها صاروخ، سحابة جاز عليها صاروخ هاذيا complet شغل سحابة هكايا complet أومبعداجاز عليها صاروخ، ماكانش صاروخ بصّح تقدري شوفي شكل تع صاروخ، هاذوما [D4]، هاذوما الزوج نشوفهم رجلين آه؟ آه؟ آه؟ لالا بين زوج رجلين و خلاص مافيهمش ه هاذوك تع صبع ولاّ زوج صباعي تسما ما تع إنسان، ما تع حيوان ر ر رجلين و خلاص... هاذوما رجلين، صعيبة هاذي، و لوخرا. DF+Ad/Hd GFEFrag

اللوحة VIII

إيه ساهلة هاذي ه هاذيا شغل ح 15. حرباء شوفي هاذي حرباء ح ح حرباء ح حرباء [D1]، ي ي شتي هاذوما الرجلين هايليك الحرباء ثلث رجلين و هايليك عين وحدة و هايليك ذيل الذيل تعها آآه، ه هذا 16. يبان نمر يا، هذا شغل خ خروف يطلع كاش حاجة خ خروف خروف و 17. خروف يطلعو آه؟ شغل شجرة تبان هكا حابطة هكا حابط، آه؟ الشكل، هاوليك اللون خضر بين زوج اللون و الشكل يكوّنو شجرة ... و هاذيا تبان كيما هاذيك لّي تحمي القلب [D5] ، 18. الرئة و هذا شغل عظم تع سمكة (إجابة إضافية: [DF+Anat])، ياخي كاين فالإنسان كاين هاكا، بصّح بصّح ما ما داروهش مليح شغل يخصّو هكا، يدير هكا راني حطيتها. DF-A DF+A DkanCA/Bot DF-Anat

اللوحة IX

بقاو ثلاثة، هاذوما 19. عيون نحلة نا ناموسة عيونها هامليك كبار قدّ الناموسة عيون الناموسة راس نا الناموسة راس ناموسة هاوليك صغيور [D6] ... مافهمتهاش ما ماعرفتش هاذوما واشنو، ما عرفتهاش هاذوما الزوج آخ؟ ماعلابالیش ي يشبه لض ضر لي ي 20. يلبسوه لعجايز هكا يلبسوه و كامل ماعلابالیش شغل خ ما هكا يجي خ خمار طويل بزّاف تديرو هكا شغل حاجة ملور الخ خمار كي يجي طويل بزّاف و وهاذوما يشبهو لر 21. رجلين رجلين حذاء و هامليك، الحذاء و DF-Ad

الرجلين [D3]. DF-Vêt

اللوحة X DF-Hd/Vêt

ها هاذيا تشبه 22. لنملة، هاذي [D11] و هاذيا تشبه 23. لزاوش زوج زواوش [D2] و هاذيا 24. لعنكبوت [D1] هامليك هامليك هي الصعيبة و هاذيا تشبه 25. لورقة آه؟ اللون و الشكل [D12] بين زوج هاذيا زاوش و هاذيا نملة زوج نملات و هاذيا عنكبوت هامليك زوج ما ماعرفتش هاذو و ها هذا يشبه 26. لرداء [D9] تع تع السرّاقين شغل يديرو قناع أومبعدايديرو رداء هكا فيستا طويلة يخبّو روحهم كلش قلتلك واش فيها واش يشبه كل حاجة ... هاهاذيا تشبه DF+A

27. مانيطة [D6] هكا يلعبو بيها ف les matchs فال play خلاص قلتلك كلش ها ق DF+A

قلتلك كلش. DF+ABan

DCFBot

DF+Vêt

DF-Obj

تحقيق الحدود:

III هذا هذا وحدو برك يش يشبه لطائر راس طائر ولاّ هاذاك تع من منقار تاعو آه؟ مايقدرش.

إختبار الإختيار:

اللوحتين الإيجابيتين: I هذا عجبني على الشكل تاعو شباب و هاذو العينين و الشكل تاعو شباب و هذا الق القرون هكا جاية هاذيا تشبه لوذن كبش و هاذيا تشبه ل لهاذلك القرن هذاك الن النعجة و هذا يشبه لشكل ذئب و لعينين ذئب و وحدوخرا و و و هاذيا ش شغل تشبه لراس طفل و راس طفل لّي لّي يتخامسو هكا II.

اللوحتين السلبيتين: هاذيا هاذيا تع ر رجلين ماشي ملاح عندها جناح تانيك بصّح الراس شباب بصّح هاذ الوذنين ماشي شابين هاذوما هكا طوال برّاف. و هاذي شابّة علابالي الجناح هذا شباب بصّح هذايا الرأس ماشي شباب هذا و هاذوما شارب شغل هكا كي كيما تع قط ما عجبنيش ت تخصّو ثلاثة ماشي زوج لازم ثلاثة تكون فيه.

اللوحة الأمومية: آه؟ آه؟ حتى وحدة.

اللوحة الأبوية: حتى وحدة.

اللوحة الذاتية: حتى وحدة.

اللوحة المخيفة: آه؟ آه؟ هاذيا IV شغوول شرير تخلع و و و هـ هذا تفرجتو ي ي يحمي الجيش complet من الأشرار الكبار الزعماء بصّح هو زعيم الزعماء.

المخطط النفسي :

F%=67%	A=15	F=18	G%=26%	R=27
F+%=56%	H=1	K=1	D%=74%	T.R.I=1K /3C
A%=59%	Obj=1	kan=1		F.Compl=3k/1E
H%=15%	Frag=2	CF=1		RC%=48%
Ban=3	Vêt=2	FC=3		
	Bot=1	kanC=1		
	(H)=1	FE=1		
	Anat=1	kobE=1		
	Hd/Vêt=1			
	A/Bot=1			
	Ad/Hd=1			

قائمة المراجع :

AMERICAN PSYCHIATRIC ASSOCIATION (1996): « MINI DSM- IV. Critères diagnostiques», (Washington DC, 1994), Traduction française par J- D. GUELFI et al, Paris, Masson.
CHABERT. C (1998): « La psychopathologie à l'épreuve du Rorschach », Paris, Dunod, 2éme édition.
FREUD.S et BREUER.J (1985) : « Etudes sur l'hystérie », tr. fr. 1956, Paris, PUF.
MARCELLI. D (2009): « Enfance et psychopathologie », Paris, Masson.
MISES. R (2002): « Une nouvelle édition de la classification française des troubles mentaux de l'enfant et de l'adolescent : la CFTMEA R- 2000», in Neuropsychiatr Enfance Adolesc, pp. 233- 261.
TALY. V (2012): « Le traitement de l'affect chez les enfants dysphasiques », in Psychologie Clinique et Projective, Volume 18, pp. 261-277.

درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين

د.نافد سليمان العجب

جامعة الأقصى– غزة–فلسطين

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

هدفت الدراسة للتعرف إلى درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل التربوي الناجح من وجهة نظر المعلمين، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، ومقياس من إعداده حول معايير التواصل الناجح، وتكونت عينة الدراسة من (179) معلماً ومعلمة من مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح، وتم التأكد من صدق الاستبانة وثباتها، حيث بلغ معامل الثبات لها (0.961)، وبعد تحليل الاستبانة توصل الباحث إلى نتائج عديدة أهمها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير الجنس (معلمين – معلمات)، سنوات الخبرة ، والمرحلة الدراسية (ابتدائي ، إعدادي)، وجنس المدرسة(مدرسة ذكور ، مدرسة إناث، مدرسة مشتركة).

Abstract :

Degree of commitment of managers of UNRWA schools in Rafah criteria for successful communication from the perspective of teachers

The study aimed to identify the degree of commitment of managers of UNRWA schools in Rafah standards to communicate educational successful from the standpoint of teachers, the researcher used the descriptive method of analysis, and the scale of preparation on the standards of communication successful, the study sample consisted of (179) teachers from UNRWA schools in Rafah was to ensure the veracity of resolution and stability, where total reliability coefficient a (0.961), and after analyzing the questionnaire, the researcher on the results of several most important: there is no statistically significant differences in estimating the degree of commitment of managers of UNRWA schools in Rafah standards communicate the successful from the perspective of teachers attributable to the sex variable (teachers - parameters), years of experience, and grade (elementary, preparatory), and sex of the school (school boys, school girls, a joint school).

المقدمة

إن من السنن الاجتماعية التي تقوم عليها حياة الناس سنة الاتصال والتواصل، حيث أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده دون أن يتواصل مع الآخرين، لأن متطلبات الحياة كثيرة ومتنوعة ومعقدة، لا يقوى الفرد وحده على أن يقوم بها، لذا يحتاج لمساعدة الآخرين، وهذا يستلزم التواصل معهم بكل أنواع التواصل، كذلك فإن من طبع الإنسان أن يميل للتواصل مع الآخرين استئناساً بهم وخروجاً من وحشة التفرد.

"ويعتبر التواصل في حياة الإنسان كالهواء والماء لان الإنسان اجتماعي بطبيعته ويعتمد وجوده على درجة قدرته على التواصل مع نفسه، ومع بيئته ومع الآخرين" (حنون،2009، 2)، ويمثل الاتصال روح الحياة البشرية وعمودها الفقري ، وسر نشوء المجتمعات وقيام الحضارات الإنسانية ، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة بقول الله تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (الحجرات ،13).

ومن الأدوات والوسائل العظمى التي يتمتع بها الإنسان أداة اللغة، والتي تمثل وسيلة التواصل الرئيسة في علاقات الناس بعضهم ببعض، حيث يتفاهم الناس عن طريقها، إضافة إلى هذه اللغة فإنهم يمتلكون اللغة الرمزية (غير اللفظية)، من خلال إيحاءات وتعابير الوجه وحركات الجسم، وإشارات اليد، والرموز المرسومة وغيرها.

وتزداد أهمية الاتصالات كلما زادت أهمية الميدان الذي تحدث فيه ، والهدف الذي تجرى من أجله ، ومن هنا ندرك أهمية الاتصالات في العملية التربوية ، والتي تمثل بحق جوهرة العمل الإنساني لأنها تستهدف صياغة الفرد وإعداده لتحمل المسئوليات في بناء المجتمع.

ومن أهداف التواصل البشري التأثير المتبادل بين طرفي التواصل، بغية تغيير السلوك أو تعديله أو تعزيزه، وهذا ما يمكن تسميته بالتواصل التربوي ، وأكثر ما يظهر هذا التواصل داخل المؤسسات التربوية التي يعتبر ذلك من أهم أهدافها، ومن هنا كان لزاماً توفير الأجواء الصحية لنجاح هذا التواصل على مختلف الصعد التربوية (بين المدير والمعلمين، بين المعلمين أنفسهم، بين المعلمين والطلاب، بين المدرسة والمجتمع المحلي وأولياء أمور الطلاب، بين المدير والمستويات الإدارية العليا).

ويعد التواصل بين المدير والمعلمين من أهم وأخطر صور التواصل التربوي السابقة، لأن العملية التربوية يتوقف نجاحها على نجاح التواصل بينهما، فإن شاع التوافق بينهما وانتشر التفاهم انعكس ذلك على أداء المعلمين في تعاملهم مع الطلاب انعكاساً إيجابياً، وساهم في بناء أجواء إيجابية بين الطلاب أنفسهم، ومن شأن ذلك رفع المستوى التحصيلي لهم، وتغيير سلوكهم إلى الأفضل.

ونظراً لتعدد الجهات المسئولة عن العملية التعليمية في قطاع غزة، فهناك المدارس الحكومية ومدارس وكالة الغوث، والمدارس الخاصة ، ولكل جهة فلسفتها في إدارة العملية التعليمية ضمن الإطار العام الذي تقرره وزارة التربية والتعليم الفلسطينية وخاصة في جانب المنهاج المقرر، ولذا يمكن رؤية صور عديدة للتواصل التربوي ، وبحكم عمل الباحث كمدير مساعد في مدارس وكالة الغوث الدولية بمدينة رفح ، فقد اختار موضوع الدراسة الذي يهدف إلى معرفة درجة التزام مدراء مدارس الأونروا بمدينة رفح بمعايير التواصل التربوي الناجح من وجهة نظر المعلمين، مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي من خلال استبانة تضمنت أربعة مجالات لتحديد معايير التواصل الناجح وهي (شخصية المدير المرسل، علاقة المدير بالمعلمين، وسائل الاتصال وقنواته، الرسالة او محتوى اتصال المدير)، وذلك من أجل الوقوف على واقع هذا الاتصال في مؤسسة وكالة الغوث، ومعرفة نقاط الضعف والقوة، ومن ثم طرح تصور لعملة التواصل الناجح بين المدير والمعلمين بما يساعد في تطوير وتحسين العملية التعليمية/ التعلمية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: تناولت هذه الدراسة موضوع التواصل الفعال بين مديري المدارس والمعلمين الذين يعملون معهم، ولذا تتلخص مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

ما درجة التزام مديري مدارس الأونروا بمدينة رفح بمعايير الاتصال التربوي الناجح من وجهة نظر المعلمين؟

وتتطلب الإجابة على هذا التساؤل الرئيس، الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما أهمية ودور التواصل التربوي في نجاح العملية التعليمية في مدارس وكالة الغوث الدولية؟
2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) تعزى لمتغير الجنس (معلمين ومعلمات).
3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) تعزى لمتغير سنوات الخدمة في الوكالة .

4- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) تعزى لمتغير المرحلة الدراسية (ابتدائي- إعدادي).

5- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) تعزى لمتغير جنس المدرسة (ذكور –إناث- مشتركة).

6- ما التصور العملي لتحسين التواصل التربوي بين مديري مدارس وكالة الغوث و معلميهم؟

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة للتوصل إلى معايير التواصل الناجح بين مديري مدارس وكالة الغوث و المعلمين من خلال تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

1- بيان أهمية ودور التواصل التربوي في نجاح العملية التعليمية في مدارس وكالة الغوث الدولية.

2- التعرف على إمكانية وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) تعزى لمتغيرات (الجنس (معلمين ومعلمات)-سنوات الخدمة في الوكالة – المرحلة الدراسية- جنس المدرسة).

3- اقتراح تصور عملي لتحسين التواصل التربوي بين مديري مدارس وكالة الغوث و معلميهم.

فرضيات الدراسة: تتمثل فرضيات هذه الدراسة فيما يلي:

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) تعزى لمتغير الجنس (معلمين ومعلمات).
2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) تعزى لمتغير سنوات الخدمة في الوكالة .
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) تعزى لمتغير المرحلة الدراسية (ابتدائي- إعدادي).
4. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمعايير التواصل الناجح عند مستوى ($\alpha \geq 0.05$) تعزى لمتغير جنس المدرسة (ذكور –إناث- مشتركة).

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في:

1- التوصل إلى معايير التواصل الناجح بين مديري مدارس وكالة الغوث و المعلمين، مما سينعكس إيجابياً على تحسين العملية التعليمية/التعلمية

2- ستوفر هذه الدراسة للمشرفين على العملية التعليمية في وكالة الغوث أو الحكومة أو المدارس الخاصة؛ تصورات عملية تساعدهم على توفير أجواء أفضل للتواصل بين المديرين والمعلمين.

3- المساعدة في عملية تقييم أداء المديرين في المدارس.

4- إثراء الأدب التربوي في موضوع التواصل بما سيخدم الباحثين في هذا المجال.

5- فتح الباب لدراسات مستقبلية حول مهارات التواصل التربوي في مدارس الحكومة والمدارس الخاصة ومؤسسات التعليم المختلفة.

منهج الدراسة: اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والذي يهدف إلى وصف الظاهرة وتحليلها وربطها بالواقع الاجتماعي الذي يوجد فيه الإنسان مع ربط نتائجها بنتائج ما توصلت إليه الدراسات الأخرى (أبو هين،2001، 138)، للتعرف على واقع التواصل بين مديري مدارس وكالة الغوث والمعلمين، ومن ثم تقييم هذا التواصل، والخروج من هذه الدراسة بتوصيات عملية لتحسين هذا التواصل.

أداة الدراسة:

ولتحقيق ذلك قام الباحث بإعداد استبانه حول معايير التواصل الناجح بين مديري المدارس والمعلمين، تكونت من (42) فقرة موزعة على أربع مجالات هي: شخصية المدير المرسل، وعلاقة المدير بالمعلمين، ووسائل التواصل وقنواته ، والرسالة أو محتوى اتصال المدير.

وتم توزيع الاستبانة على عينة عشوائية من معلمي مدارس وكالة الغوث والبالغ عددهم (200) معلماً ومعلمة من المجتمع الأصلي للعينة والبالغ عددهم (1100) أي بنسبة 18%، حيث استجاب منهم (179) معلماً ومعلمة (95 معلمة،84 معلم) أي بنسبة (89.5%) (مكتب التعليم بوكالة الغوث-محافظة رفح).

ولمعالجة البيانات إحصائياً تم استخدام: اختبار (ت)، اختبار التباين الأحادي- التجزئة النصفية ومعامل الفا كرونباخ- النسب المئوية والمتوسطات الحسابية والرتب والانحراف المعياري.

حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة فيما يلي:

الحد الموضوعي: وهو معايير التواصل التربوي بين مديري مدارس وكالة الغوث والمعلمين.

الحد المؤسسي: مدارس وكالة الغوث في محافظة رفح.

الحد الزماني : العام الدراسي 2010-2011 الفصل الثاني.

مصطلحات الدراسة: تضم هذه الدراسة عدداً من المصطلحات التربوية كما يلي:

التواصل التربوي: هو "العملية المستمرة، التي يتم فيها تبادل الخبرات أو التوجيهات أو المعلومات أو الآراء ... بين طرفين أو أكثر داخل المدرسة ، عبر رسائل لفظية أو غير لفظية ، تؤدي إلى إحداث علاقة تفاعل وتفاهم ومشاركة حية ، بحيث يتم التأثير على أنماط السلوك أو الأداء ، بغرض المساعدة في تحقيق أهداف المدرسة التربوية". (الدعس،2009، 66).

ويعرف الباحث التواصل التربوي إجرائياً: بأنه العملية التي يقوم من خلالها مدير المدرسة بتبادل الخبرات والتوجيهات مع المعلمين العاملين معه، ويتوقف نجاحها على مجموعة من المعايير التي تتعلق بأربعة مجالات هي: شخصية المدير، علاقته بالمعلمين، وسائل التواصل المستخدمة، محتوى التواصل.

الاتصال التربوي: ذكر "عابدين": " أن الاتصال وظيفة أو مهمة رئيسية من مهام مدير المدرسة، وهو عملية يتم من خلالها نقل المعلومات والبيانات والأفكار والإرشادات والمقترحات من شخص لآخر أو لمجموعة أشخاص، وإحاطتهم علماً بها، وتبادلها بينهم بوسيلة أو أكثر من الوسائل الممكنة" (عابدين،2001، 179) ، وعرفه "ديسلر" بأنه " إطلاق المعلومات وإصابة الهدف " (ديسلر،2004،1) ، ولذا فإن الجزء الصعب في عملية الاتصال هو ضمان أن رسالتك قد أصابت هدفها وتم فهمها والاستجابة لها .

ويمكن التفريق بين الاتصال والتواصل على اعتبار أن التواصل هو عملية اتصال دائمة ومستمرة وتأخذ العلاقة الإنسانية بين المتواصلين في الاعتبار بحيث يعمل هذا الاتصال على تعميق هذه العلاقة وتنقيتها من عوامل الضعف، أما الاتصال يعني توجيه رسالة من طرف لآخر دون تلقي أي رد عليها، كما هو الحال في المحاضرات أو خطب الأئمة للمصلين، أو خطب الرؤساء للجماهير ، بينما التواصل يعني الرد على المحاضرين والأئمة والرؤساء.

مدارس وكالة الغوث برفح : وهي المدارس التي تشرف عليها منظمة وكالة الغوث الدولية في محافظة رفح، والبالغ عددها 41 مدرسة مابين مدارس ذكور ومدارس إناث (ابتدائي وإعدادي)، ومدارس مشتركة (ابتدائي).

الدراسات السابقة

(حنون،2009) نماذج التواصل السائدة مع المعلمين والمعلمات لدى مديري ومديرات المدارس الإعدادية في وكالة الغوث في محافظات الضفة الغربية وعلاقتها بالولاء التنظيمي من وجهة نظر المعلمين والمعلمات.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على نماذج التواصل مع المعلمين السائدة لدى مديري ومديرات المدارس الإعدادية في وكالة الغوث في محافظات الضفة الغربية وعلاقتها بالولاء التنظيمي من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، وللإجابة عن أسئلة الدراسة والتحقق من فرضياتها قام الباحث باستخدام استبانتين ، الأولى لقياس نماذج التواصل لدى المديرين والمديرات من وجهة نظر المعلمين والمعلمات ، والثانية لقياس الولاء التنظيمي لدى المعلمين والمعلمات، وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها: أنموذج بائع الأزهار[1] هو أفضل النماذج ، وبلغ المتوسط الحسابي للولاء التنظيمي (4.06) وبنسبة عالية (81.2%)، ولا

[1] هذا النموذج التواصلي يلبي حاجات المعلمين والمعلمين ويقف عند تلك الحاجات بشكل فيه احترام لشخص المعلم ولشخصية المعلمة، وكما أن هذا الأنموذج يهتم بالمناخ التنظيمي المؤسسي بشكل ايجابي يبعث على ا لراحة في نفوس المعلمين والمعلمات، ويوفر لهم البيئة المدرسية الملائمة لمزاولة عملهم بشكل مريح حيث أن المدير أو المديرة يسعون ضمن هذا الأنموذج إلى تقديم وعرض أفضل ما عندهم من جهد وأنشطة تتوافق ورغبات المعلمين أو المعلمات ضمن حدود القوانين المدرسية المعمول بها في وكالة الغوث، وكما وينظر إلى الأمور بعين التفاؤل (حنون، 2009، 121).

توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة($\alpha \leq 0.05$) في نماذج التواصل والولاء التنظيمي تعزى لمتغير الجنس والتخصص وعدد سنوات الخبرة والمنطقة التعليمية، في حين انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية على نموذجي بائع الأزهار والساحر تعزى لمتغير المؤهل العلمي، بينما وجدت علاقة دالة إحصائيا بين الولاء التنظيمي ونماذج التواصل عند مستوى($\alpha \leq 0.05$.

(الدعس،2009): معوقات الاتصال والتواصل التربوي بين المديرين والمعلمين بمدارس محافظة غزة وسبل مواجهتها في ضوء الاتجاهات المعاصرة.

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن معوقات عملية الاتصال والتواصل التربوي بين المديرين والمعلمين بمدارس محافظة غزة من وجهة نظر المديرين والمعلمين أنفسهم وسبل مواجهتها في ضوء الاتجاهات المعاصرة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث قام بتصميم استبيانين للكشف عن هذه المعوقات من وجهة نظر المديرين والمعلمين، واشتمل على خمسة مجالات هي كالتالي : المعوقات المتعلقة ب: مدير/ة المدرسة ، المعلمين والمعلمات ، الرسالة الاتصالية التواصلية ، وسيلة الاتصال والتواصل ،البيئة المحيطة بالعملية الاتصالية التواصلية.

وتوصل الباحث إلى أن أهم المعوقات هي المتعلقة بالبيئة المحيطة بالعملية الاتصالية التواصلية،وأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى المؤهل والخدمة للمديرين والمعلمين، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى جنس المعلمين، والمرحلة التعليمية ونوع المهنة (مدير–معلم).

وأوصى الباحث بالاهتمام بالبيئة الاتصالية وتدريب المديرين والمعلمين على آلية الاتصال الفعال.

(الفرا،2008):تطوير الاتصال الإداري لمديري المدارس الثانوية بمحافظات غزة في ضوء الإدارة الالكترونية.

هدفت هذه الدراسة لمعرفة درجة توافر متطلبات تنفيذ الاتصال الإداري الالكتروني في المدارس الثانوية بمحافظة غزة، ولتحقيق ذلك اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، واستخدم استبانة للتعرف على درجة تطور الاتصال الإداري ، حيث توصل إلى نتائج أهمها: درجة توافر متطلبات تنفيذ الاتصال الإداري الالكتروني في المدارس الثانوية بمحافظة غزة ضعيفة، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المديرين حسب الجنس أو المؤهل العلمي أو مدة الخدمة، وأوصى الباحث بتبني وزارة التعليم الفلسطينية لمشروع الإدارة الإلكترونية.

(طبش، 2008) : دور نظم وتقنيات الاتصال الإداري في خدمة اتخاذ القرارات "حالة تطبيقية على وزارة التربية والتعليم في قطاع غزة".

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور نظم وتقنيات الاتصال الإداري في خدمة اتخاذ القرارات في وزارة التربية والتعليم بقطاع غزة، وستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث طبق استبانة ومقابلات مع عينة البحث، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:أن توظيف تقنيات الاتصال الحديثة يساهم بشكل كبير في سرعة أداء المهام واتخاذ القرارات، وأوصت الدراسة بنشر الوعي التقني للاتصالات بين العاملين في الوزارة، والعمل على إنشاء حكومة إلكترونية.

(الكبيسي، 2007) درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية لمهارات الاتصال الفعال وعلاقتها بمستوى الرضا الوظيفي لدى المعلمين في دولة قطر.

هدفت هذه الدراسة تعرف درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية لمهارات الاتصال وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى المعلمين في دولة قطر ، وقد طبقت الدراسة على عينة طبقية بلغ عدد أفرادها (230)معلمًا ومعلمة موزعين على جميع المدارس الثانوية في دولة قطر .وقد تم بناء استبانتين أحداهما لتعرف درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية لمهارات الاتصال الفعال والأخرى لتحديد مستوى الرضا الوظيفي لدى المعلمين في دولة قطر ، وتم التحقق من صدق المحتوى للأداتين ، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن درجة ممارسة مهارات الاتصال كانت مرتفعة).إذ جاءت ثلاثة مجالات بمستوى مرتفع فقد بلغ المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (3.47).

(الصغير،2003) بناء برنامج تدريبي لتطوير مهارات الاتصال لمديري المدارس الثانوية في محافظة اربد في ضوء احتياجاتهم التدريبية.

هدفت دراسة الصغير إلى تطوير بناء برنامج تدريبي لتطوير مهارات الاتصال لدى مديري المدارس الثانوية العامة في محافظة إربد في ضوء احتياجاتهم التدريبية، وتكون مجتمع الدراسة من مديري ومديرات المدارس الثانوية العامة في محافظة اربد، (وبلغ عددهم198) مديرًا ومديرة ، موزعين على ست مديريات . وقد تكونت عينة الدراسة من (102) مديرًا / 2003. ومديرة من أفراد مجتمع الدراسة للعام الدراسي2002 .

واستخدمت في هذه الدراسة استبانه الاحتياجات التدريبية، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن مديري ومديرات المدارس الثانوية العامة أبدوا احتياجًا تدريبيًا بدرجة كبيرة جدًا في (33) فقرة بنسبة(62.2%) ضمن مجالي الأداة، وأبدى مديرو المدارس الثانوية احتياجًا تدريبيًا بدرجة كبيرة(في 20) فقرة بنسبة (% 37.8) ضمن مجالي الأداة .ودلت خلاصة الدراسة على أن الاحتياجات التدريبية تكمن في مجالي الأداة (مجال الاتصال اللفظي ومجال الاتصال غير اللفظي).

(الحوراني،2003) : مهارات الاتصال لدى مديري المدارس الثانوية في محافظة اربد من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية .

هدفت للتعرف على مهارات الاتصال لدى مديري ومديرات المدارس الثانوية في محافظة إربد من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية، وقد تكونت عينة الدراسة من (385)معلمًا ومعلمة، موزعين على مديريات تربية محافظة اربد الست .وقد اختيرت عينة الدراسة بطريقة عشوائية طبقية، وقد تم تطوير البيانات ثم التأكد من صدقها وثباتها.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن مستوى مهارات الاتصال لدى مديري ومديرات المدارس الثانوية كانت بدرجة كبيرة، كما أظهرت النتائج المتعلقة بمتغير الجنس وجود فرق ذي دلالة إحصائية تعزى إلى متغير الجنس ولصالح الإناث، بينما لا توجد فروق عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيري الخبرة والمؤهل العلمي.

(صادق والدرويش والعماري،2002) : الرضا عن العمل وعلاقته بالرضا عن الاتصال لدى مديري ومديرات مدارس التعليم العام بدولة قطر.

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الرضا عن العمل والرضا عن الاتصال لدى مديري ومديرات مدارس التعليم العام بدولة قطر ، وقد استخدم الباحثون لتحقيق هذا الهدف المنهج الوصفي التحليلي، وقد تم تطبيق استبانتين، استبانة للرضا عن الاتصال والأخرى للرضا عن العمل، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

توافر الرضا عن العمل وعن الاتصال لدى مديري ومديرات المدارس القطرية، ووجود علاقة إيجابية دالة بين الرضا عن العمل والرضا عن الاتصال، وكان من توصيات هذه الدراسة:

ضرورة اهتمام الهيئة الإدارية بتطوير مهارات الاتصال لدى العاملين في المدرسة، وأن يكون لكل مدير فلسفة واضحة للاتصال مستمدة من فلسفة الاتصال للنظام التربوي، ترتكز على حق العاملين في الحصول على المعلومات اللازمة لتسهيل أعمالهم.

(خليل :2001) الاتصال الإداري في مجال التعليم بجمهورية مصر العربية – دراسة ميدانية.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع الاتصال الإداري في مجال التعليم العام بجمهورية مصر العربية ، والتعرف على أبرز العوامل التي تعوق ممارسته بدرجة عالية من الكفاءة.

وتقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ، حيث أعد الباحث استبياناً مكوناً من ستة محاور رئيسة تدور حول الاتصال الإداري من حيث (الاتجاهات – أنواع الاتصال الإداري – الأدوات– المهارات– المعوقات– الخصائص).

وتوصل الباحث إلى نتائج أهمها : انخفاض مستوى إتقان الكثير من مهارات الاتصال الإداري لدى العاملين في مجال الإدارة.

(الفارسي،2001): تصورات مديري المدارس الحكومية نحو نمط الاتصال الإداري السائد في وزارة التربية والتعليم في سلطنة عمان.

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة نمط الاتصال الإداري السائد في وزارة التربية والتعليم في سلطنة عمان من وجهة نظر مديري المدارس الحكومية، وصمم الباحث استبانه اشتملت على أربعة أنماط هي: الاتصال الكتابي والشفهي وغير اللفظي والاتصال بناء على الاتجاه (الطرق)، وتوصل الباحث إلى نتائج من أهمها: أن المديرين يمارسون عدة أنماط للاتصال الإداري وأكثرها الاتصال الشفهي، وأوصى باستخدام أنماط متطورة من الاتصال الإداري كالحاسوب، وتدريب المديرين ورفع كفاية الاتصال لديهم.

(الأسمر،2000): مدى توافر مهارات الاتصال الفعال لدى مديري المدارس الأساسية الحكومية والخاصة في محافظة إربد من وجهة نظر المعلمين.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى توافر مهارات الاتصال الفعال لدى مديري المدارس الأساسية الحكومية والخاصة في محافظة إربد من وجهة نظر المعلمين، وصممت الباحثة استبانه اشتملت على أربع مجالات هي مهارة الكتابة ومهارة القراءة ومهارة الاستماع ومهارة التحدث، وتوصلت الدراسة إلى توافر مهارات الاتصال الفعال لدى مديري المدارس الأساسية الحكومية والخاصة في محافظة إربد بدرجة كبيرة، وأوصت الباحثة بإقامة دورات ومشاغل تربوية ودراسات مشابهة لتطوير مهارات التواصل لدى المديرين.

(الخوالدة، 2000) : معوقات الاتصال التي تواجه مديري المدارس الأساسية في محافظة جرش في التواصل مع المعلمين وأولياء الأمور والطلبة.

هدفت الدراسة إلى معرفة معوقات الاتصال التي تواجه مديري المدارس الأساسية في محافظة جرش بالأردن مع المعلمين وأولياء الأمور وكذلك الطلبة.

ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمعرفة المعوقات من خلال تطبيق استبانة وأسفرت الدراسة عن نتائج أهمها : ضيق وقت المدير، وكثرة أعماله وانشغاله ، و ضعف مهارات المعلمين في التواصل، شعور المعلمين بأن أولياء الأمور يتدخلون في شؤونهم.

(رويس وهويليReyes & Hoyle 1990) : رضا المعلمين عن تواصل المدير معهم.

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مدى رضا المعلمين عن التواصل الذي يقوم به المدير اتجاههم.

تم توزيع استبانة على (600) معلم، وتم اختيارهم من (20) مدرسة ، وتم اختيار المدارس بشكل عشوائي ، وتم تعبئة (560استبانة خضعت جميعها للتحليل الإحصائي ، ونهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وتشير نتائج هذا البحث إلى : اختلاف درجة رضا المعلمين عن التواصل الذي يقوم به المدير باختلاف العمر والجنس ، وكذلك يختلف الدور الذي يقوم به المدير باختلاف العمر والجنس.

-تزيد سنوات خدمة التدريس لكلا الجنسين من مدى تقبل المعلمين للتواصل الذي يقوم به المدير.

-تزيد درجة التعليم الأكاديمي من مدى تقبل المعلمين للتواصل الذي يقوم به المدير.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال تحليل الباحث للدراسات السابقة ومقارنتها بالدراسة الحالية وجد الباحث أن هذه الدراسة اتفقت مع الدراسات السابقة في النقاط التالية:

1. تدور جميع هذه الدراسات حول موضوع الاتصال الذي يحدث في المؤسسات التعليمية، وإن كان من زوايا متنوعة (المعوقات- المهارات- الرضا الوظيفي- النماذج-الاتصال الالكتروني).
2. استخدمت جميع الدراسات المنهج الوصفي التحليلي.
3. اتفقت أغلب الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس (ذكر وأنثى)، ومتغير الخبرة (سنوات الخدمة)، ما عدا دراسة الحوراني التي أثبتت وجود فروق لمتغير الجنس لصالح الإناث، ودراسة رويس وهويلي التي أثبتت وجود اختلاف في درجة رضا المعلمين عن التواصل الذي يقوم به المدير يعزى إلى متغير الجنس والخدمة (الخبرة).

وتميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة أو بعضها في النقاط التالية:

1. تركز هذه الدراسة على التواصل التربوي بين المديرين والمعلمين بينما ركزت جميع الدراسات السابقة على الاتصال الإداري ما عدا دراسة الدعس حول معوقات الاتصال والتواصل، ودراسة رويس وهويلي عن رضا المعلمين عن تواصل المدير معهم.
2. ركزت هذه الدراسة على مدى التزام المديرين بمعايير التواصل الفعال من وجهة نظر المعلمين، بينما ركزت الدراسات المشابهة كدراسة الكبيسي والحوراني والأسمر على مدى توفر مهارات الاتصال لدى المديرين من وجهة نظر المعلمين، والالتزام يشير بالضرورة إلى التطبيق العملي بينما توافر المهارات يشير إلى المعرفة النظرية بشكل اكبر من التطبيق.
3. تناولت هذه الدراسة التواصل التربوي في مدارس وكالة الغوث بمحافظة رفح-قطاع غزة، ولم تتناول أي دراسة سابقة مدارس وكالة الغوث عدا دراسة حنون التي ركزت على نماذج الاتصال والولاء التنظيمي.

الإجابة على السؤال الأول: ما دور التواصل التربوي في نجاح العملية التعليمية في مدارس وكالة الغوث الدولية؟

بدأت وكالة الغوث الدولية بالإشراف علي التعليم الفلسطيني في المدارس التابعة للاجئين الفلسطينيين في مطلع الخمسينات ، وأنشا في عام 1965م معهد التربية لتقديم التدريب والخدمات التعليمية للعاملين في المجال التعليمي وهم (المشرفين والمديرين والمعلمين) وذلك لمساعدتهم في إعداد الخطط الإشرافية والمدرسية ، ثم شرعت دائرة التعليم بالوكالة بعمل خطة ثنائية لمدة سنتين لتدريب المشرفين التربويين والمديرين والمعلمين علي تطوير المناهج وعملية التخطيط المدرسي لتحسين أداء المعلمين التعليمي ، ومنذ قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية وبدء تحسن الوضع التعليمي الفلسطيني ، بدأت الوكالة بوضع خطة

خمسية طويلة المدى في الفترة 2000-2004م ، نظراً للظروف التي مرت علي الشعب الفلسطيني تم تعديل الخطة بخطة جديدة للعام2009/20005 مع المحافظة علي عناصر الخطة الأولي.(العاجز،نشوان،2005)

واقع التواصل في وكالة الغوث:

بناء على ما ورد في (دورة التواصل للمديرين التي عقدها مركز التطوير التربوي في عام 2011) أظهرت ورشة العمل التي عقدت مع عدد من موظفي الوكالة:

1. أن التواصل وجهاً لوجه هو أكثر وسائل التواصل المفضلة لدى الموظفين، لكن هذه الوسيلة التي تتمثل في الاجتماعات؛ لا يتم إدارتها بشكل فعال، فالتواصل فيها يكون في اتجاه واحد فقط، ولا يدعم الحوار المفتوح.
2. نحو 26% فقط من الموظفين يشاركون في الاجتماعات نصف الشهرية المنتظمة، يقول أحدهم"كل الاجتماعات التي نحضرها ليست سوى تعليمات، نحن لا نناقش أفكارنا أو مشاكلنا".
3. نحو 16% فقط من الموظفين يشعرون أن صوتهم مسموع من بين (11000) موظف ضمن خمس برامج رئيسة وثلاث أقسام أخرى داعمة.

وإدراكاً من وكالة الغوث لأهمية التواصل بين العاملين فيها والمستفيدين منها فقد رفعت الأونروا خلال العام 2010-2011 شعار "عام التواصل" في جميع المدارس التابعة لها، ووضعت رؤية لها جاء فيها :" خلق جو عمل يشعر فيه الموظفون بأنهم مطلعون على أخبار الأونروا مع وضوح البرامج والأنشطة؛ ما نقوم به ولماذا نقوم به، وخلق جو عمل يشعر فيه الموظفون من جميع المستويات بالاحترام كأناس مشاركين، ولهم دور في الوكالة، وأن يشعروا بأن صوتهم واحتياجاتهم مسموعة".

يلاحظ في هذه الرؤية أنها تركز على ثلاثة أمور في قضية التواصل وهي: (إطلاع الموظفين على أخبار الوكالة- شعور الموظفين بالاحترام والمشاركة- الشعور بأن صوتهم مسموع).

واتبعت من أجل تحقيق هذا الشعار آليات عديدة منها:

1. عقد دورات في التواصل الفعال على جميع المستويات الوظيفية العاملة فيها.
2. الاجتماعات الدورية بين المستويات الإدارية العليا والمستويات الأقل بمعدل مرة أو مرتين في الشهر كاجتماعات رئيس البرنامج بمدراء المناطق، واجتماعات مدراء المناطق بمدراء المدارس، واجتماعات مدراء المدارس بالمعلمين.
3. إصدار نشرة شهرية وتقارير نصف شهرية عن أخبار الوكالة في مجالاتها المختلفة، كذلك اعتماد عدة مواقع إلكترونية على الشبكة العنكبوتية (الانترنت)، للتواصل مع الموظفين، والمجتمع المحلي.
4. التواصل مع المجتمع المحلي من خلال لجان مجالس أولياء الأمور في المناطق، والاحتفالات ولقاءات المدارس مع أولياء الأمور، وكذلك لجان المرأة، وبرنامج حقوق الإنسان، وبرنامج معالجة صعوبات التعلم الخاص بالطلاب ضعاف التحصيل، وما تبع ذلك من إجراءات للتواصل مع أهالي الطلاب مثل الفحص الطبي الشامل للطلاب للتعرف على أسباب الرسوب، التعليم التفاعلي المحوسب وتوزيع أجهزة لاب توب (XO) على الطلاب عام 2010-2011، التعليم المساند في المدارس، التغذية اليومية للطلاب.

5. تنفيذ برامج التعليم الصيفي للطلاب الراسبين، و المخيمات الصيفية التي تضم الطلبة الراغبين من مدارس الوكالة أو الحكومة أو الخاصة.

6. إحياء يوم العائلة السنوي لموظفي الوكالة وأُسَرِهم، حيث يجتمعون في أجواء مرح وتفاعل.

كل هذه الأنشطة وغيرها عمقت روح التواصل بين إدارات التعليم في وكالة الغوث والمجتمع المحلي، وجعل لها حضوراً فاعلاً بين الفلسطينيين، إلا أن هذا التواصل يعاني من عقبات وعدم ثقة في بعض إجراءات الوكالة والتي تصطدم مع الثقافة الفلسطينية كدين وعادات، مثل محاولة الوكالة تدريس موضوع "الهولوكست" في مادة حقوق الإنسان، والاهتمام الزائد بهذه المادة وإرسال الطلاب المتميزين في رحلات إلى دول أوربية وعالمية، تتجاوز أحياناً العرف والعادات الفلسطينية.

أما بالنسبة لأنماط التواصل التربوي بين المستويات الإدارية المختلفة في وكالة الغوث فقد مرت بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: التواصل التقليدي : حيث اعتمد التواصل فيها على المراسلات الورقية (البريد المدرسي)، والاتصالات الهاتفية والزيارات المباشرة للمسئولين للمدارس، والاجتماعات الدورية والطارئة.

المرحلة الثانية: الاتصال الالكتروني (المدرسة المحوسبة) : حيث تم تزويد إدارة المدارس بأجهزة حاسوب ، وتوصيلها بشبكة داخلية للوكالة (اكسترانت)، وتعيين بريد إلكتروني لكل مدرسة ودائرة بتاريخ 2005/10/30، وبذا تم الاستغناء عن المراسلات الورقية بشكل كبير، إضافة إلى حوسبة كثير من العمليات الإدارية كبرنامج الاختبارات الموحدة، والذي يرصد درجات وأحوال الطلاب، وبرنامج إجازات الموظفين، وبرنامج مبادرة الانضباط والاحترام لمتابعة سلوك الطلاب، وبرنامج ألعاب الصيف، والتلفزيون التعليمي(Taalam T.V.) في مايو 2011، وبرنامج بوابة الموظفين لمتابعة شئون الوكالة المختلفة عام 2011، وبرامج أخرى عديدة.

إجراءات الدراسة وخطواتها ونتائجها

تتناول هذه الإجراءات وصفاً لمنهج الدراسة، وأفراد مجتمع العينة التي طبقت عليها الدراسة المستخدمة، وطرق إعدادها، وصدقها وثباتها، كما يصف إجراءات الدراسة وتطبيقها، وأخيراً المعالجات الإحصائية التي اعتمد عليها الباحث في تحليل الدراسة.

أولاً: مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية الأساسية في المدارس التابعة لوكالة الغوث الدولية في محافظة رفح والبالغ عددهم حسب إحصاء مكتب مدير منطقة رفح التعليمية (1100) معلماً ومعلمة .

ثانياً: عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (179) معلماً ومعلمة (95 معلمة ، 84 معلم) ، تم اختيارهم لتتوفر فيهم كل فرضيات الدراسة، فمنهم ذكور وإناث، ومنهم من يمثل مدارس الذكور ومنهم من يمثل مدارس الإناث،وهم ذوو خبرات مختلفة حسب سنوات الخدمة، ومنهم من يمثل المرحلة الإبتدائية وآخرون يمثلون المرحلة الإعدادية، ويبين الجدول رقم (1) ذلك.

جدول رقم (1) يوضح توزيع العينة حسب المتغيرات (الجنس ، سنوات الخبرة المرحلة الدراسية، جنس المدرسة)

المتغير	البيان	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	84	%46.9
	أنثى	95	%53.1
	المجموع	179	%100
سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	37	%20.7
	5-10 سنوات	46	%25.7
	أكثر من 10سنوات	96	% 53.6
	المجموع	179	%100
المرحلة الدراسية	ابتدائي	97	%54.2
	إعدادي	82	%45.8
	المجموع	179	%100
جنس المدرسة	ذكور	84	%46.9
	بنات	62	%34.6
	مشتركة	33	%18.5

	المجموع	179	%100

يلاحظ من الجدول أن أغلب العينة من المعلمات (إناث) ذوات خبرة فوق 10 سنوات ويدرسن في المرحلة الابتدائية وخاصة المدارس المشتركة ومدارس البنات.

ثالثاً/ أداة الدراسة: قام الباحث ببناء الاستبانة من خلال مراجعة العديد من الدراسات السابقة و الاستفادة من خبرات العديد من المختصين، بهدف التعرف على مدى التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين، وتم عرض الاستبانة في صورتها الأولية على السادة المحكمين، ثم تعديل فقرات الاستبانة في صورتها النهائية في ضوء التعديلات المطلوبة.

وتكونت الاستبانة من أربعة مجالات هي: شخصية المدير المرسل، علاقة المدير بالمعلمين، وسائل الاتصال وقنواته، الرسالة أو محتوى إتصال المدير، وتضم (42) فقرة موزعة على المجالات الأربعة.

رابعاً / صدق الأداة: قام الباحث بعرض فقرات الاستبانة على مجموعة من المحكمين للتأكد من قدرتها على قياس متغيرات الدراسة ، وتم تعديل الاستبانة بناء على توصياتهم.

خامساً/ ثبات الأداة: قام الباحث باستخدام معامل ألفا كرونباخ لتحديد الثبات وكان قيمته (0.961).

طريقة التجزئة النصفية: قام الباحث بتقسيم المقياس إلى قسمين (الفردية والزوجية) وذلك من عينة قوامها 179 معلم ومعلمة من معلمي المرحلة الابتدائية والإعدادية الأساسية .

جدول رقم (2)

معاملات الثبات بطريقة التجزئة النصفية للمقياس

البيان	معامل الثبات	مستوى الدلالة
العبارات الفردية	0.927	0.05
العبارات الزوجية		

يتضح من الجدول السابق أن معامل الارتباط للدالة الإحصائية عند مستوى دلالة 0.05 وهذا يدل على ثبات أداة الدراسة.

سادساً/ تطبيق الأداة: قام الباحث بتوزيع الاستبانة على معلمي ومعلمات المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية الأساسية مراعياً اختلاف الجنس وسنوات الخبرة ومرحلة المدرسة وجنسها ، وتم جمعها ومعالجتها إحصائياً.

سابعاً/ المعالجات الإحصائية: استخدم الباحث معامل (ألفا كرونباخ) والتجزئة النصفية والانحراف المعياري والنسبة المئوية والرتب واختبار (ت) ، واختبار التباين الأحادي .

نتائج الدراسة وتفسيرها: قام الباحث بتحليل النتائج باستخدام الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسب المئوية والرتب من أجل الإجابة على المعايير الدالة على درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين من حيث الجنس وسنوات الخبرة والمرحلة الدراسية وجنس المدرسة .

وللاجابة على السؤال الرئيس الذي ينص على ما درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ؟

تم استخدام النسب المئوية والرتب كما هو موضح في الجدول رقم (3)

جدول رقم (3)

جدول يوضح فقرات استبانة درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الرتبة
	أولاً: شخصية المدير المرسل				
1	يتمتع بشكل جذاب ومظهر أنيق.	1.19	0.438	%82.1	2
2	يطرح القضايا والآراء بصدق وموضوعية.	1.27	0.483	%74.3	8.5
3	يتقبل آراء الآخرين ولو كانت مخالفة لرأيه.	1.47	0.564	%55.9	40
4	ذو شخصية قوية تؤثر إيجابياً فيمن يتعامل معها.	1.35	0.501	%65.9	28

5	اجتماعي قادر على بناء علاقات قوية مع الناس.	1.32	0.527	%69.8	20
6	يتمتع أسلوب المدير بالصراحة وعدم التحيز.	1.41	0.527	%64.2	33
7	يوظف لغة التواصل غير اللفظي (لغة الجسم) بنجاح.	1.54	0.601	%51.4	42
8	يتواضع في تعامله مع الآخرين.	1.26	0.500	%76.4	7
9	يدير الوقت اللازم للتواصل مع الآخرين بمهارة.	1.32	0.525	%70.4	18
	ثانياً: علاقة المدير بالمعلمين				
10	يقدر جهود المعلمين ويثني عليهم.	1.31	0.511	%70.9	15
11	يشارك المعلمين في مناسباتهم الشخصية.	1.24	0.492	%78.2	4
12	يدخل السرور على المعلمين بالابتسامة والكلمة الطيبة.	1.37	0.581	%67.0	23.5
13	يركز على الإيجابيات ولا يقف طويلاً عند السلبيات.	1.46	0.620	%59.8	37
14	يصغي باهتمام للمعلمين أثناء حديثهم ولا يقاطعهم.	1.36	0.577	%67.0	23.5
15	يعتمد سياسة الباب المفتوح مع المعلمين.	1.46	0.620	%59.8	37
16	يستخدم الاتصال المتبادل من وإلى المعلمين.	1.28	0.476	%72.6	13
17	يفوض الصلاحيات لمن يثق في قدراتهم من المعلمين.	1.24	0.457	%76.5	6
18	يعدل في توزيع المهمات والامتيازات على المعلمين.	1.52	0.611	%53.6	41
19	يطور قدرات معلميه بالدورات واللقاءات التربوية.	1.43	0.570	%60.3	36

20	ينصح المعلمين على انفراد دون إحراج لهم أمام الآخرين.	1.38	0.570	%66.5	25.5
21	يعطي تغذية راجعة للمعلم بعد القيام بالزيارة الصفية دون لوم ولا تأنيب.	1.23	0.479	%78.8	3
22	يعقد اجتماعات للمعلمين حسب الحاجة دون إثقال عليهم.	1.32	0.588	%73.2	12
23	يقوم أداء المعلمين تقويما موضوعيا منزها عن العلاقات الشخصية.	1.40	0.595	%65.4	31
24	يوفر المعلومات اللازمة للمعلمين بانسيابية دون معوقات أو تأخير.	1.35	0.514	%65.9	28
25	يعقد لقاءات للمعلمين حول الاتصال والتواصل التربوي.	1.30	0.541	%73.2	11
	ثالثاً: وسائل الاتصال وقنواته				
26	تتصف بالوضوح والموضوعية.	1.27	0.471	%73.7	9
27	تتنوع بين وسائل اتصال لفظية وغير لفظية.	1.31	0.499	%70.4	18
28	تلفت نظر المستقبِل إلى التركيز على المحتوى.	1.36	0.528	%65.4	31
29	يختار المدير الوقت والمكان المناسب للاتصال.	1.38	0.582	%66.5	25.5
30	تعتمد الاتصال المباشر عند الحاجة دون وجود وسطاء.	1.30	0.506	%72.1	15
31	تستخدم التقنية الحديثة في الاتصال بالمعلمين.	1.44	0.571	%59.8	37
32	تتصف بوضوح الهدف ودقة المضمون	1.30	0.486	%70.4	18
	رابعاً: الرسالة أو محتوى اتصال المدير				
33	تتجدد باستمرار يثير اهتمام المعلمين.	1.44	0.530	%57.4	39
34	تتميز بالقدرة على الإقناع.	1.37	0.550	%65.9	28

35	تتسم بالجاذبية والتشويق.	1.39	0.544	%63.1	35
36	تتميز بسلامة اللغة.	1.16	0.374	%83.2	1
37	تتصف بالاختصار والإيجاز.	1.29	0.524	%74.3	8.5
38	تتميز لغتها باللطف والأدب.	1.22	0.434	%77.7	5
39	تتوافق الرسائل الشفهية مع الرسائل المكتوبة بلا تناقض.	1.29	0.502	%73.2	11
40	تحتوي الرسالة على مواضيع تتصل بحاجات المعلمين.	1.32	0.505	%68.7	21
41	تشجع لغة الرسالة على الالتزام بمضمونها.	1.33	0.507	%68.2	22
42	تناسب الرسالة وصياغتها طبيعة المعلم وميوله وخصائصه.	1.35	0.503	%65.4	31

ومن أجل تفسير النتائج اعتمد الباحث النسب المئوية الآتية:

80%فأكثر درجة كبيرة جدًا، % 70-79.9درجة كبيرة، 60- .% 69.9 درجة متوسطة، 50 – .% 59.5 درجة قليلة، أقل من % 50 درجة قليلة جدًا.

أشارت نتائج تحليل الجدول أعلاه إلى أن أعلى ستة فقرات هي :

– الفقرة رقم (36) ، والتي نصت على " تتميز بسلامة اللغة " والتي نسبتها (83.2%)، ويليها رقم (1) والتي نصت على " يتمتع بشكل جذاب وأنيق " والتي نسبتها (82.1%) ، ويليها رقم (21) والتي نصت على " يعطي تغذية راجعة للمعلم بعد القيام بالزيارة الصفية دون لوم ولا تأنيب " والتي نسبتها (78.8%) ، ويليها الفقرة رقم (11) والتي نصت على " يشارك المعلمين في مناسباتهم الشخصية " والتي نسبتها (78.2%) ، وتأتي بعدها الفقرة رقم (38) التي نصت على " تتميز لغتها باللطف والأدب " والتي نسبتها (77.7%) ، ويليها الفقرة رقم (17) ، والتي نصت على " يفوض الصلاحيات لمن يثق في قدراتهم من المعلمين " والتي نسبتها (76.5%).

– وهذه النتائج تشير إلى اهتمام مديري المدارس بالعلاقات العامة مع المدرسين بما يضمن احترامهم لهم، كحسن المخاطبة والمشاركة الاجتماعية والتوجيه اللطيف والاستفادة من جهود المعلمين في العمل المدرسي، وتمثل هذه المهارات عاملاً مهماً في كسب الآخرين وضمان التزامهم العام بالأنظمة التعليمية، وتوفير أجواء وحدة العاملين في المدرسة.

–وأشارت أيضا نتائج تحليل الجدول أعلاه إلى أدنى ستة فقرات هي :

– جاءت الفقرة رقم (7) ، والتي نصت على" يوظف لغة التواصل غير اللفظي (لغة الجسم) بنجاح " والتي نسبتها (51.4%) في المرتبة السادسة في الفقرات الأدنى ، ويأتي بعدها الفقرة رقم (18) في المرتبة الخامسة ، والتي نصت على" يعدل في توزيع المهمات والامتيازات على المعلمين " والتي نسبتها (53.6%) ، ويأتي بعدها الفقرة رقم (3) في المرتبة الرابعة، والتي نصت على " يتقبل آراء الآخرين ولو كانت مخالفة لرأيه " والتي نسبتها (55.9%) ، ويأتي بعدها الفقرة رقم (33) في المرتبة الثالثة، والتي نصت على " تتجدد باستمرار يثير اهتمام المعلمين " والتي نسبتها (57.4%) ، وتليها الفقرة رقم (13) في المرتبة الثانية، والتي نصت على " يركز على الايجابيات ولا يقف طويلا عن السلبيات " والفقرة رقم (15) ، والتي نصت على " يعتمد سياسة الباب المفتوح مع المعلمين " والفقرة رقم (31) ، والتي نصت على " تستخدم التقنية الحديثة في الاتصال بالمعلمين" والتي نسبتهم (59.8) في المرتبة الأولى من أدنى ست فقرات، وهذا يشير إلى ضعف مهارات التواصل الستة المذكورة لدى مديري المدارس.

– ويمكن تفسير تدني النتائج السابقة بسبب ضعف تطوير المديرين لأساليب التواصل كتوظيف لغة الجسم أو استخدام التقنية الحديثة، وكذلك ضعف تقبل الرأي الآخر المخالف والرغبة في إحكام السيطرة على المدرسة والمعلمين لنجاح العمل، ومن هنا يخشى المديرون من سياسة الباب المفتوح وتقبل الرأي الآخر، ويوزعون المهام دون استشارة المعلمين.

– **وللاجابة عن السؤال الثاني والذي ينص على: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة لدرجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى الجنس؟** قام الباحث بالتحقق من السؤال الأول من خلال الفرضية "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلم تعزى إلى متغير الجنس (معلمين – معلمات)" باستخدام اختبار T

جدول رقم (4)

المتوسط والانحراف المعياري والقيمة المحسوبة في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى لمتغير الجنس(معلم،معلمة)

المقياس	الجنس	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت "	مستوى الدلالة
	ذكر	84	1.32	0.090	0.275	0.409
	أنثى	95	1.31	0.096		

يتبين من الجدول أعلاه : أن قيمة مستوى الدلالة sig = 0.409 أكبر من α=0.05 حيث يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير الجنس (معلمين – معلمات) ، ويفسر الباحث ذلك أن كلا الجنسين من الذكور والإناث من المعلمين يعايش نفس الظروف (المكان والزمان والمؤثرات) في المدارس الأساسية الدنيا والمدارس الإعدادية.

كذلك وجود قوانين وأنظمة مشتركة تسنها وكالة الغوث على الجميع، و يخضع الجميع لنفس الإعداد والتأهيل في وكالة الغوث ، والتي تساعد المعلمين والمعلمات على اكتساب نفس الخبرات والمهارات دون النظر إلى اعتبارات الجنس.

وللاجابة عن السؤال الثالث والذي ينص على: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة لدرجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى سنوات الخدمة؟

قام الباحث بالتحقق من السؤال الثاني من خلال الفرضية "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى متغير سنوات الخبرة" باستخدام اختبار (**One Way ANOVA**)

جدول رقم (5)

نتائج تحليل التباين الأحادي ANOVA درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى متغير سنوات الخبرة

	مجموع المربعات	درجة الحرية	معدل المربعات	دالة الاختبار	مستوى الدلالة
بين المجموعات	3227.76	2	1613.88	1.18	0.531
داخل المجموعات	240714.3	176	1367.69		
المجموع	272990.3	178			

يتبين من الجدول أعلاه : أن قيمة مستوى الدلالة sig =0.531 أكبر من α=0.05 حيث يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى متغير سنوات الخبرة، ويفسر الباحث هذه النتيجة: بأن تعرف المعلم على درجة التزام المديرين بمعايير التواصل الناجح لا يحتاج إلى سنوات طويلة، فأي مدة يعيشها المعلم مع المدير كافية لأن يكتشف من خلال التعامل الميداني درجة التزام المدير بهذه المعايير، وكذلك إخضاع المعلمين والمعلمات الجدد إلى دورات تأهيل مطور ة تراعي أحدث المستجدات، كل هذا يرى الباحث أنه أسهم في تبادل المعلمين والمعلمات الجدد الخبرة من زملائهم القدامى، عدا على أن خطة التطوير المدرسي التي تتبناها مدارس وكالة الغوث ساهمت في الوقوف على حاجات جميع المعلمين والمعلمات بغض النظر عن سنوات الخبرة.

وللاجابة عن السؤال الرابع والذي ينص على: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة لدرجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى متغير المرحلة الدراسية؟

قام الباحث بالتحقق من السؤال الثالث من خلال الفرضية "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير المرحلة" باستخدام اختبار (**One Way ANOVA**)

جدول رقم (6)

نتائج تحليل التباين الأحادي ANOVA حول درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى متغير المرحلة

	مجموع المربعات	درجة الحرية	معدل المربعات	دالة الاختبار	مستوى الدلالة
بين المجموعات	4128.97	1	4128.97	0.806	0.519
داخل المجموعات	903370.83	177	5103.79		
المجموع	272990.3	178			

يتبين من الجدول أعلاه : أن قيمة مستوى الدلالة sig =0.519 أكبر من α=0.05 حيث يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير المرحلة (ابتدائي ، إعدادي).

ويفسر الباحث هذه النتيجة بأن العلاقات الإنسانية بين المدير والمعلمين لا تتغير بتغير المرحلة التعليمية، لأنها علاقات تقوم على نفس أساليب التواصل الإنساني المعروف في كل المؤسسات، لذا لن تتغير هذه العلاقات بتغير المرحلة التعليمية.

وللاجابة عن السؤال الخامس والذي ينص على: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد العينة لدرجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى متغير جنس المدرسة؟

قام الباحث بالتحقق من السؤال الثالث من خلال الفرضية "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير جنس المدرسة" باستخدام اختبار (**One Way ANOVA**)

جدول رقم (7)

نتائج تحليل التباين الأحادي ANOVA درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين ويعزى إلى متغير جنس المدرسة

	مجموع المربعات	درجة الحرية	معدل المربعات	دالة الاختبار	مستوى الدلالة
بين المجموعات	6523.342	2	3261.67	0.303	0.135
داخل المجموعات	903370.83	176	10764.58		
المجموع	272990.3	178			

يتبين من الجدول أعلاه : أن قيمة مستوى الدلالة sig =0.135 أكبر من α=0.05 حيث يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير جنس المدرسة (مدرسة ذكور ، مدرسة إناث، مدرسة مشتركة).

ويفسر الباحث هذه النتيجة بأن العلاقات الإنسانية بين المديرين والمعلمين– كما سبق القول في النتائج السابقة– لا تتاثر بتغير المكان ولا الزمان في الغالب، وعليه فتغيير جنس المدرسة لا يؤثر على درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين، إضافة إلى تعرض جميع المعلمين والمديرين إلى نفس الظروف التدريبية والبيئية والثقافية التي توحد معايير الحكم على السلوك التواصلي.

الخلاصة

بناءً على نتائج الدراسة الحالية ومناقشتها فقد بينت نتائج الدراسة الأمور التالية:

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير الجنس (معلمين – معلمات)

2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير سنوات الخبرة (أقل من 5 سنوات ، 5-10 سنوات ، أكثر من 10سنوات).

3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير المرحلة الدراسية (ابتدائي ، إعدادي).

4- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة التزام مديري مدارس وكالة الغوث بمدينة رفح بمعايير التواصل الناجح من وجهة نظر المعلمين تعزى إلى متغير جنس المدرسة(مدرسة ذكور ، مدرسة إناث، مدرسة مشتركة)

وللإجابة عن السؤال السادس والذي ينص على: ما التصور العملي لتحسين التواصل التربوي بين مديري مدارس وكالة الغوث و معلميهم؟

فإن الباحث يضع تصوره المقترح لتحسين التواصل التربوي بين مديري مدارس وكالة الغوث و معلميهم مستنداً إلى نتائج الدراسة الحالية، و نتائج الدراسات السابقة التي ورد ذكرها في هذه الدراسة، والأدب التربوي والأفكار المعاصرة في الاتصال والتواصل التربوي، و إطلاع الباحث وخبرته خاصةً أنه يعمل الآن مديراً مساعداً في إحدى مدارس الوكالة بمحافظة رفح بقطاع غزة- فلسطين.

من أجل تحسين التواصل التربوي بين المديرين والمعلمين في المدارس؛ فلا بد من تحسين العناصر التي تتضمنها عملية الاتصال وهي:

1- مهارات المرسل أو المصدر كالمدير مثلاً فلا بد أن يحدد هدفه من الاتصال والتواصل أولاً، وأن يكون متصفاً بما يلي: (المظهر الأنيق- الموضوعية- احترام الرأي الآخر- قوة الشخصية- اجتماعي- عدم التحيز- توظيف التواصل الجسمي- التواضع- إدارة الوقت- تقدير الآخرين- الود والابتسامة- التركيز على الإيجابيات- حسن الإصغاء- سياسة الباب المفتوح- تفويض الصلاحيات-العدل- التطور وتطوير الآخرين- النصح الأمين- النزاهة في التقويم- الإدارة الفعالة-الانفتاح).

2- الرسالة: أن تكون (نظيفة جذابة في مظهرها، كاملة في عناصرها، واضحة في معناها، صحيحة في مبناها، مؤدبة في ألفاظها، مختصرة في عباراتها، متجددة في مواضيعها، مقنعة في حجتها،غير متناقضة مع غيرها، معبرة عن حاجات المعلمين، مناسبة لميولهم وخصائصهم).

3- قناة الاتصال أو الوسيلة: واضحة، مباشرة، متطورة، متنوعة،غير مشوشة، جذابة، تساعد المستقبل على التركيز، سريعة في نقل المعلومات، مناسبة للمستقبل وللمعلومات التي تحملها.

4- المستقبل: كالمعلم مثلاً فعلى المدير أن يعرف خصائص المستقبل وطبيعته حتى يتمكن من مخاطبته 0عدم مقاطعة المستقبل أثناء حديثه، على المستقبل أن ينتقد الفكرة التي يطرحها المرسل ،وليس شخص المتحدث، عدم الشك في نوايا المرسل.

1- التغذية الراجعة أو ردة الفعل: وهي عملية تعبير متعددة الأشكال ، تبين مدى تأثر المستقبل بالرسائل التي نقلها المرسل إليه بالطرق أو الوسائل المختلفة0

7- البيئة المحيطة بالعملية الاتصالية التواصلية: مفهوم شامل يشمل كل ما يؤثر في كفاءة وفاعلية وصول الرسالة بشكل جيد إلى المستقبل وإدراكها ، كالبيئة الاجتماعية من الثقة والاحترام والتواصل مع المجتمع المحلي، والبيئة السياسية من البعد عن الصراعات والحزبيات، والبيئة النفسية من الهدوء والجمال والراحة النفسية، و التحفيز والإثابة للمحسنين، والبيئة الفيزيقية من الترتيب والنظافة والهدوء للمكان ومناسبة الزمان للتواصل.

وتتطلب عملية الاتصال بمختلف مستوياتها وظروفها ست مهارات أساسية يجب على المرسل والمستقبل أن يتقنها لكي تتم العملية التربوية بكفاءة وفاعلية عالية . وتتلخص هذه المهارات فيما يلي:

1. **مهارات التحدث:** وهو الاهتمام بمحتوى الحديث ومضمونه ومراعاة الفروق الفردية بين الأفراد واختيار الوقت المناسب للحديث ومعرفة أثره على الآخرين .
2. **مهارات الكتابة:** وهي تدريب العاملين على الكتابة الإدارية الموضوعية الدقيقة وتجنب الأخطاء الهجائية والإملائية ، وهذا يتطلب تطوير التفكير وزيادة حصيلة معلومات العاملين اللغوية وترقيه أسلوبهم في الكتابة .
3. **مهارة القراءة** : وهي زيادة سرعة الفرد في القراءة وفهمه لما يقرأ .
4. **مهارة الإنصات** : اختيار العامل ما يهمه من معلومات وبيانات مما يصل إلى سمعه، علماً أن 75% من المشرفين تنقصهم مهارة الاستماع و أن قيامهم بالاستماع الجيد سيساعد على تدفق المعلومات و توفير مناخ الثقة بين الطرفين المدير و المرؤوس.
5. **مهارة التفكير** : وهي سابقة أو ملازمة أو لاحقة لعملية الاتصال.
6. **مهارة التواصل غير اللفظي** : حيث يمثل 65% من عملية التواصل، ويتضمن (حركات الجسم، نبرة الصوت، تعبيرات الوجه، حركة العيون واليدي...).

توجيهات عملية للمديرين من أجل تواصل فعال ناجح:

1. استمع للمعلمين، فالاستماع لهم أفضل طريقة ليشعروا أنك مهتم بهم وأنهم مهمون.
2. صفق لهم وامدحهم حين ينجحون في إنجاز عمل ناجح، أو يطرحون فكرة إبداعية.
3. نادهم بأحب الأسماء إليهم، فالإنسان مجبول على حب سماع اسمه أو كنيته أو رتبته الوظيفية.
4. في حال توجيه سؤال إليك من أحدهم؛ توقف قليلاً قبل أن تجيبه، فهذا يشعره بأنك فكرت في سؤاله، وأنه يستحق التفكير فيه.
5. التواصل وجهاً لوجه لأن 87% من المعلومات تدخل عقول الناس عن طريق عيونها.

6. أعلمهم بالتغذية الراجعة لاستفساراتهم وإلى أين وصل موضوعهم، ولا تهمل ذلك بداً.
7. أعر انتباهك لكل شخص موجود في المجموعة وليس لقائد المجموعة فقط.
8. شكل للمعلمين مجلساً عبر الاختيار الحر ليمثلهم ويطالب بحاجاتهم ويساعدك في حل مشكلاتهم.
9. صنف معلميك من حيث التواصل إلى الأنماط التالية: الخبير، المسيطر، الخجول، المشاكس، المتصيد، الثرثار، الفهلوي؛ وحدد سياسة تواصل مناسبة لكل صنف، ولا تعتمد سياسة واحدة للجميع.
10. يمكنك مع بداية العام الدراسي أن توزع استبانه على المعلمين للتعرف على شخصياتهم وحاجاتهم والنموذج الذي يفضلونه من المدراء، ليكون ذلك أساسا لخطة التواصل معهم.
11. حدد موعداً ثابتاً للقاءات الدورية (شهرية أو نصف شهرية)، وأرسل جدول الأعمال قبل الموعد بيومين ليتمكن المعلمون من التفاعل معك في الاجتماع، وحدد سقفاً زمنياً لانتهاء الاجتماع، وشجع الجميع على التحدث والنقاش، وبعد الاجتماع أرسل محضر الاجتماع لهم للتوقيع عليه.
12. احتفظ بمفكرة أو ملف يحتوي على معلومات هامة عن كل معلم كالاسم والهاتف وتاريخ الميلاد والتخصص والهوايات والحاجات التدريبية، وراجعه قبل مقابلة المعلم.
13. عليك بأرشفة الاتصالات المهمة للرجوع لها وقت الحاجة.
14. ابحث عن المعلومة من مصدرها الأول وليس من مصادر ثانوية، حتى لا تظلم معلماً بسبب وشاية مغرضة.
15. أعلن من بداية العام عن مسابقة المعلم المتميز وحدد معاييرها بدقة على شكل انجازات محسوسة يمكن قياسها، واحتفل نهاية العام مع معلميك لتكريم المعلمين المتميزين.
16. تخصيص لوحة تعلق عليها انجازات المعلمين وعبارات الشكر والتقدير لهم.
17. تخصيص بريد إلكتروني لكل معلم يستقبل من خلاله النشرات والأخبار المتعلقة بالمدرسة وإدارة التعليم ومواد إثرائية لتطوير قدراته، ومساعدته في عملية التعلم.
18. توظيف برنامج الرسائل القصيرة(SMS) للتواصل السريع مع المعلمين.

التوصيات والاقتراحات:

- عقد دورات تدريبية وورشات عمل وأيام دراسية للمديرين والمعلمين ، حول عملية الاتصال والتواصل التربوي الفعال.
- تدريب المديرين و المعلمين على الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في عملية الاتصال والتواصل ،ومواكبة التغيرات، لرفع كفاءة الاتصال والتواصل التربوي داخل المدرسة.
- بناء ميثاق أخلاقي لمهنة التعليم يلتزم به المديرون والمعلمون ، ينظم الشؤون المتعلقة بأخلاقيات هذه المهنة وآليات التواصل الفعال مثل : النزاهة والعدالة وانسياب المعلومات، واحترام وقت العمل الرسمي ، الانضباط في المهنة.
- تضمين برامج إعداد المعلمين ، مساقاً عن الاتصال والتواصل التربوي الفعال، يجمع بين الجنب النظري والعملي، ويكون أحد معايير التوظيف للمعلمين.
- العمل على تطوير أنموذج تواصل" بائع الأزهار " بشكل علمي يؤدي إلى خلق مدارس آمنة ومحفزة.
- إجراء دراسات مشابهة للدراسة الحالية حول مهارات التواصل التربوي في المدارس الحكومية والمدارس الخاصة على مستوى المدن الفلسطينية المختلفة.

- تأصيل موضوع التواصل التربوي من خلال الفكر التربوي الإسلامي، ومصادره الأساسية كالقرآن والسنة، والكشف عن جهود علماء التربية المسلمين في القديم والحديث.
- دراسة التواصل التربوي على مستوى الأسرة، والمؤسسات المجتمعية ذات العلاقة بالتربية.
- دراسة مقارنة للتواصل التربوي بين التعليم في فلسطين وإسرائيل.
- دراسة مقارنة بين نماذج التواصل التربوي السائدة في قطاع غزة على مستوى المدارس الحكومية والوكالة والخاصة.

المراجع

1. أبو هين، فضل (2001): تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي لدى الشباب الفلسطيني المشارك في انتفاضة الأقصى، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الخامس، العدد الثاني، ج1، يونيو.
2. الأسمر، هنادي (2000): مدى توافر مهارات الاتصال الفعال لدى مديري المدارس الأساسية الحكومية والخاصة في محافظة إربد من وجهة نظر المعلمين، **رسالة ماجستير** غير منشورة، عمان، الأردن.
3. حنون ، بكر (2009): نماذج التواصل السائدة مع المعلمين والمعلمات لدى مديري ومديرات المدارس الإعدادية في وكالة الغوث في محافظات الضفة الغربية وعلاقتها بالولاء التنظيمي من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، **رسالة ماجستير** غير منشورة، **جامعة النجاح الوطنية، نابلس .فلسطين**.
4. الحوراني، حابس .(2003) .مهارات الاتصال لدى مديري المدارس الثانوية في محافظة اربد من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية) .**رسالة ماجستير** غير منشور ة(، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
5. خليل، سالمة أحمد محمود (2001) : الاتصال الإداري في مجال التعليم بجمهورية مصر العربية دراسة ميدانية ، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية" ،**المؤتمر السنوي التاسع(الإدارة التعليمية في الوطن العربي في عصر المعلومات)**،جامعة عين شمس، دار الفكر العربي، القاهرة.
6. الخوالدة، أحمد محمد : (2000) معوقات الاتصال التي تواجه مديري المدارس الأساسية في محافظة جرش في التواصل مع المعلمين وأولياء الأمور والطلبة" ، **رسالة ماجستير غير منشورة**، إربد، جامعة اليرموك، الأردن.
7. الدعس، زياد أحمد (2009): معوقات الاتصال والتواصل التربوي بين المديرين والمعلمين بمدارس محافظة غزة وسبل مواجهتها في ضوء الاتجاهات المعاصرة، **رسالة ماجستير** غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
8. دورة التواصل للمديرين التي عقدها مركز التطوير التربوي–وكالة الغوث الدولية، في عام 2011 بغزة–فلسطين.
9. صادق، حصة والدرويش ، أنيسة والعماري ، بدرية(2002) : الرضا عن العمل وعلاقته بالرضا عن الاتصال لدى مديري ومديرات مدارس التعليم العام بدولة قطر. "، مجلة العلوم التربوية، ع(3) ، ص19–31.
10. الصغير، كليب .(2003) .بناء برنامج تدريبي لتطوير مهارات الاتصال لمديري المدارس الثانوية في محافظة اربد في ضوء احتياجاتهم التدريبية) . **رسالة ماجستير** غير منشورة(،جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان،الأردن.
11. طبش، مصعب(2008) : دور نظم وتقنيات الاتصال الإداري في خدمة اتخاذ القرارات "حالة تطبيقية على وزارة التربية والتعليم في قطاع غزة"، **رسالة ماجستير** غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
12. عابدين، محمد (2001): **الإدارة المدرسية الحديثة**، جامعة القدس، القدس، فلسطين. الفارسي،عبد الله (2001): تصورات مديري المدارس الحكومية نحو نمط الاتصال الإداري السائد في وزارة التربية والتعليم في سلطنة عمان، **رسالة ماجستير** غير منشورة، جامعة اليرموك، عمان، الأردن.

13. العاجز،فؤاد: نشوان،جميل(2005): تطوير أداء المعلمين في ضوء برنامج المدرسة كمركز تطوير التابع لوكالة الغوث الدولية بغزة، بحث مقدم **للمؤتمر العلمي السادس بعنوان " التنمية المهنية المستدامة للمعلم العربي "**، جامعة القاهرة – فرع الفيوم – كلية التربية من 23-24/ أبريل / 2005.

14. الفرا، نعيم (2008):تطوير الاتصال الإداري لمديري المدارس الثانوية بمحافظات غزة في ضوء الإدارة الالكترونية، **رسالة ماجستير** غير منشورة، الجامعة الإسلامية،غزة، فلسطين.

15. الكبيسي، نوره .(2007) .درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية لمهارات الاتصال الفعال وعلاقتها بمستوى الرضا الوظيفي لدى المعلمين في دولة قطر .**رسالة ماجستير**، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان،الأردن.

16. كريدلر، وليام/ج.(1993): **الإبداع في حل النزاع** ، ترجمة الدكتور فاروق منصور، منشورات معهد التربية الأونروا–اليونسكو ، عمان –الأردن ،

17. معهد التربية بوكالة الغوث (2004): **التواصل الفعال** ، دورة الإدارة المدرسية HT(HH) ، مترجم عن كتاب أساسيات الإدارة لجاري ديسلر.

18. Reyes, p and hoyle, D (1990) : ***Teachers, satisfaction with Principals communication***, University of Texas. EDB 310.

الكتابة الجنائزية بجريدة الخبر اليومية ؟أي سياق لأي مضمون؟

د.لحسن رضوان

جامعة مستغانم

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص :

هذا المقال هو عصارة ثلاث مشاريع بحثية تتعلق بممارسات جنائزية ،الأول يتعلق الكتابة على شواهد القبور بمنطقة الغرب الجزائري بين النمطية والتجديد" والثاني يتعلق بالمشاريع الوطنية للبحث والموسوم بـ: "الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران و امدوحة بتيزي وزو" مقاربات أنثروبولوجية وسوسيولوجية وفلسفية والثالث بالكتابة الجنائزية بجريدة الخبر اليومية ؟أي سياق لأي مضمون؟ ونذكر هذه الدراسات لأنها جاءت متراتبة زمنيا وتعبر كيف وصلت الكتابة الجنائزية إلى هذا الشكل الذي هي عليه اليوم وبهذه الطريقة.

إن الممارسات الشفهية كأرضية ثقافية لأي ممارسة جنائزية هي التي تغذي العناصر الكبرى لباقي الممارسات الجنائزية كالكتابة على شواهد القبور والكتابة الجنائزية على الجرائد ،ولكن لكل واحدة مميزتها الخاصة ،والمقال يركز على الكتابة الجنائزية على الجرائد ويبحث في العناصر المؤسسة لطبيعة هذه الكتابة ،الموضوع مبني عن طريق الميدان وبأدوات منهجية كيفية مستندة إلى تقنية تحليل المضمون لأشكال متعددة من الكتابة الجنائزية مثل التعزية والأربعينية والذكرى والترحم وتحمل مضامين هوياتية مثل الأسماء والألقاب والأماكن والمهن وغيرها ،كما تحمل معطيات حميمية مثل المشاعر والوفاء والتذكر والحب ومعطيات الدينية مثل الدعاء والتوسل بمضامين قرآنية وأحاديث وأشعار وتوثيقية كالصور .

الكلمات المفتاحية :الكتابة الجنائزية – الجريدة –الأنثروبولوجيا –التعزية – الأربعينية –الترحم –تحليل المضمون

Résumé :

Cet article est le concentré de trois projets de recherche en relation avec les pratiques funéraires : le premier concerne « les inscriptions funéraires dans la région de l'ouest algérien : permanence et renouvèlement ». Le deuxième est liée aux projets nationaux de recherche (PNR), il est intitulé « les inscriptions sur les stèles funéraires d'Ain El Beida à Oran et de M'douha à Tizi-Ouzou ». Le troisième, s'intéresse quant à lui à « la nécrologie dans le journal d'El khabar : quel contexte pour quel contenu ? ». Nous citons ses études parce qu'elles sont venu successivement et toutes visent à donner une idée sur l'état de lieu des inscriptions funéraires en Algérie aujourd'hui.

Nous pensons que les pratiques orales sont la base de toute les pratiques funéraires, car c'est elles qui nourrissent les grands éléments des pratiques funéraires, comme c'est le cas pour les inscriptions sur les stèles et la nécrologie. Mais chacune d'elles a ses propres caractéristiques. Notre article ce concentre sur la nécrologie et prospecte les éléments fondateurs du contenu de ces écrits. Nous avons mythologiquement construit notre objet de recherche en se basant sur le terrain et usant des techniques qualitatifs comme l'analyse du contenu des divers formes nécrologiques (annonce de décès, condoléances, remerciements, le quarantième jour, la pensée). Toutes dévoilent des éléments identitaires : Nom, prénom et noms de lieux. Ainsi, elles sont composées d'éléments intimes : sentiments, souvenirs et affection. Autres éléments apparaissent et elles sont de nature religieuse : versets coraniques, prières, paroles du prophète… Ces éléments et autres seront l'objet de notre communication.

1- تمهيد :

يتوفر لدى كل جماعة إنسانية تنظيم اجتماعي لخبرة الموت، مثلما يحدث للميلاد ومختلف أزمات الحياة، وذلك باعتباره أزمة شخصية وأسرية من ناحية، وأزمة للبناء الاجتماعي واستبدال الدور من ناحية أخرى.

و تتم مواجهة الأزمة العاجلة من خلال الشعائر الجنائزية والممارسات الخاصة بنقل الثروة والوضع الاجتماعي فتتم مواجهتها بواسطة قواعد الوراثة و الخلافة. وقد ينظر إلى الموت نفسه في بعض المجتمعات باعتباره من شعائر الانتقال (المرور) بمقتضاه يصبح الميت سلفا، يظل محتفظا بشخصية اجتماعية بينما تعمل المجتمعات الأخرى على إزالة الموتى تماما من مجال الحياة الاجتماعية للأحياء.[2]

[2] محمد الجوهري: المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا ،القاهرة ،2008، حرف الميم .

لكن في ظل المجتمع المحلي– تلمسان –الذي يصبغ عليه الطابع التقليدي والمقدس يعمل دائما على خلق استراتيجيات لتجاوز هذا الحدث إما بالممارسة أو الخطاب وعبر تغذية المخيال والتمثلات اتجاه الموت.

ولا يمكن فحص هذه الممارسات إلا بالعودة إلى سياقاتها الخاصة التي تكشف عن أبعاد هذه الظواهر المتشابكة والغير قابلة للفصل وعليه اخترنا ثلاث مستويات متراكبة نستطيع من خلالها فهم الممارسات الجنائزية والتعبير عنها في فضاءات مختلفة .

1– المستوى الأول : الشفهي في قلب الممارسات الجنائزية

نسمع كل يوم، وطيلة الوقت –وهذا ما يشكل قوة الخطاب المهيمن أن الموت "حارة " "واعرة" "غدارة" "صعيبة" "فراقة لحباب" بالتعبير العامي وهذه التعابير تحمل معني عميقة ومتعددة مرتبطة بالممارسات،التمثلات والمخيال،وهذا الخطاب" الشفهي" يقدم نفسه كما لو أنه بديهي، وذلك يعني وجود عمل جبار لترسيخ الرمزي شارك فيه علماء الدين، فقهاء بمستوياتهم، الدعاة والفاعليين الاجتماعيين البسطاء. وهنا نقدم مثالا واقيا لبعض المهيمنين ومنهم "الفقيه المحلي"، حيث يقول ماكس فيبر بأن "المهيمنين في حاجة دائمة – لربوبية لامتيازاتهم –أو بالأحرى –لمن يشرعن امتيازاتهم –أي لتبرير نظري لكونهم من ذوى الامتيازات، وتوجد الكفاءة اليوم في قلب عنصر شرعنة المكتسبات، المقبول طبعا من طرف المهيمنين، إنه يخدم مصلحتهم والمقبول أيضا من طرف الآخرين،[3] بمعنى آخر إن الفقيه المحلي يحتل مكانا مهما في التراتبية الاجتماعية وبالتالي من المهيمنين في تعزيز الخطاب الشفهي الدائر حول تمثلات الموت فهو يشارك بفاعلية لتعزيز خطاب معين دون غيره. وهنا نتساءل عن رواج هذا الخطاب (الشفهي)، وهذه المسطرات التي يتم تبعا لها إنتاج هذه النظرة حول الموت وترويجها وترسيخها، كما أن هناك منافس شديد للرجل في الطقوس الجنائزية يمتلك القدرة على التعبئة بالكلمة وأكثر تأثيرا من الفقيه في بعض الأحيان وهي المرأة أو بالأحرى "الندابة" والتي كان يدفع لها الثمن الغالي من أجل القيام بعمل "المسرحة "وإعطاء المعنى للموت، وكأننا نتقاسم حظنا مع الموت عن طريق الآخرين من خلال تقبل هذه الممارسات باعتبارها طقوس مطمئنة لمواجهة حدث الموت، وعليه إن المستوى الشفهي نعتبره الطبقة الأصيلة في فهم الممارسات المتعلقة بالموت، لكنها غير كافية لأنها أصبحت لا تتماشى والتغير الاجتماعي وبالتالي خلق المجتمع فضاءات جديدة للتعبير عن ذاته من خلال أفراده واسترجاع الذاكرة لتخليد موتاه وهي الكتابة الشاهدية داخل فضاء المقبرة.

[3] P. Bourdieu, Le racisme de l’intelligence in Question de sociologie. Paris. éd de minuit.1980; p246.،

2- المستوى الثاني :الكتابة الشاهدية كشكل من أشكال التعبير

في إطار مشروع بحث الموسوم ب:" **الكتابة على شواهد القبور بمنطقة الغرب الجزائري بين النمطية والتجديد"** والمشروع الثاني يتعلق بالمشاريع الوطنية للبحث والموسوم بـ: "**الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران و امدوحة بتيزي وزو" مقاربات أنثروبولوجية وسوسيولوجية وفلسفية**[4] ، حيث قمنا بأعمال ميدانية كشفت النقاب عن طبيعة الممارسات الجنائزية في شقها المحلي وارتباطها بمسألة الكتابة على شاهد القبر كظاهرة اجتماعية وضرورة سوسيولوجية ذات أبعاد ذاكرتية وتسجيلية ومن التقاليد الدينية التي حرص الفاعلون على القيام بها وعلى استمرارها، فغذوها عبر التنشئة الاجتماعية للأجيال لتصبح موروثا ثقافيا يصعب الاستغناء عنها في المجتمع الجزائري الآن بحسب المعاينة الميدانية حيث بينت المدونات الحجرية –**شواهد القبور**– ومن خلال التقنيات المنهجية المتنوعة من تصوير فوتوغرافي وتحليل مضامين المقابلات والملاحظة المباشرة، على أن الكتابة الشاهدية ترسخت في أذهان الفاعلين فأصبحت جزءا من عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، حيث التبس فيها الدنيوي بالديني، وهو نتيجة تكيف تاريخي متبادل بين القيم الدينية والهياكل الاجتماعية والثقافية والمحلية. وهي طقس جنائزي يمكن أن يضاف إلى باقي الطقوس، حيث يتميز بطبيعة ممارسته الخاصة و فاعليه الجدد، حيث تعتبر هذه الكتابة تتويجا لجملة من الطقوس الجنائزية. كما أنها تحصين للمحلي من فعل النسيان ونوع من أشكال المقاومة الثقافية من جهة، وشكل من أشكال التعبير الشعبي من جهة أخرى، فهي حفظ للذاكرة الفردية والجماعية، حيث تعد الكتابة الشاهدية أرشيف "مُهَوى" يحمل معطيات عن الأنساب، الأسماء، التواريخ والأمكنة، إضافة على أنها ترصد تمثلات الآخرين اتجاه حدث الموت من خلال الأدعية، الآيات القرآنية، الأشعار والحكم... وتعكس أحينا أخرى طبيعة الأوضاع في زمن ما، وتحمل في المجمل الكثير من عناصر الثقافة المحلية.

لكن لم نتوقف عند هذا المستوى حيث لاحظنا من خلال التجربة الميدانية والملاحظات والقراءات أن هناك مستوى آخر يستحق فعلا التناول والانتباه له وهو الكتابة الجنائزية في الجرائد اليومية، وهو استكمال لمشروعين سابقين لفهم أعمق لسيرورة التعبير عن حدث الموت.

[4] محمد حيرش بغداد : الكتابة على شواهد القبور في عين البيضاء بوهران و امدوحة بتيزي وزو" مقاربات أنثروبولوجية وسوسيولوجية وفلسفية ، البرامج الوطنية للبحث ،ثقافة وحضارة ،مطبوعات مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية والمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي .

3- المستوى الثالث :الكتابة الجنائزية في الصحف والجرائد

لا ينفصل المستوى الأخير عن المستويات الأخيرة لأنها ببساطة متماسكة، ولم يمكن وضع الكتابة الجنائزية في سياقها إلا بالعودة للمستويات الأخرى من أجل تقديم نظرة شاملة عن طبيعة هذه الكتابة في ظل مجتمع شفهي، لا يوثق محطاته الكبرى إلا نادرا .

ويمكن تقديم صورة إجرائية عن طبيعة الكتابة الجنائزية في جريدة الخبر اليومية لكن قبل ذلك يجب فهم بعض الأمور التقنية والتي تتعلق بالإعلان الصحفي، حيث يمكن تقسيم الصحيفة عموما إلى أربعة أنواع رئيسية :

الأول :إعلانات المساحات.

ثانيا:الأبواب الإعلانية الثابتة.

أ- الإعلانات المبوبة.

ب- إعلانات الأدلة.

ت- إعلانات المجتمع.

ث- إعلانات الوفيات.

ثالثا :الإعلانات التحريرية.

رابعا :الإعلانات المجمعة.

وسوف نقتصر على شرح الإعلانات الثابتة باعتبارها موضوع البحث.

والإعلانات الثابتة هي التي نجدها كل يوم في نفس الجريدة بل هي مكون أساسي للجريدة و في الحيز نفسه والمخصص لها، سوف نقدم لكل واحد منها.

-**الإعلانات المبوبة**: تضم الإعلانات ذات الصفة المالية والتجارية مثل المنقصات والمزايدات، البيع، الكراء، الخدمات، وكلاء، دراسات، إخطارات، وطلبات العمل والأحكام القضائية كالحجر وغيرها.

–إعلانات الأدلة أو الإرشاد : وهي التي يقدم فيها لائحة الأفلام والسهرات والمسرحيات، ودليل القرى السياحية و وكلات السفر وغيرها.

– إعلانات المجتمع : وتتمثل في إعلانات الزواج، والتأييد والتهاني والنجاح في الامتحانات.

–إعلانات الوفيات : من أهم مميزتها السرعة في النشر، حتى تتزامن مع مراسم تشييع الجنازة مهما كان المصدر بعيدا،ويتم إبلاغ هذه الإعلان اتمن مكاتب الجريدة أو من وكلاءها. وعادة ما تكون هذه المادة في الصفحات الأخيرة من الجريدة.

ومن خصائص الأبواب الإعلانية الثابتة ما يلي :

أ–تبويب الإعلانات وفقاً للهدف أو الموضوع الإعلاني.

ب–اهتمام القارئ بمضمون الإعلان.

ج–الطبيعة الإخبارية والإعلامية للإعلانات.

د –تكرار نشر الإعلانات.

هـ–وحدات قياس الإعلانات.

و –الانخفاض النسبي في أسعار الإعلان.

ز–الهيئة الشكلية وتصميم وإخراج الإعلانات.

ح –الطبيعة الشخصية للمعلن.

ط –أسلوب التعاقد والسداد.

ي –أهمية عامل" المرونة "الزمنية في الوسيلة الإعلانية.

2– إشكالية الدراسة :

إن البعد الأنثروبولوجي يبحث في مسألة الموت من خلال دراسة طبيعة الردود الجماعية تجاهه بمعاينة التمثّلات والمعتقدات والممارسات التي أنتجتها المجموعة لمجابهة إشكال الموت. ولعلّ رصد هذه التحوّلات في التمثلات والمواقف يمكّننا من تحديد مميّزات وطبيعة الكتابة الجنائزية على الجرائد اليومية وعليه فإن المسألة تتعلق بكيفية الانتقال من فضاء تقليدي للتعبير عبر

وسائط طبيعية –حجر، أواني، بلاطات، أخشاب ..الخ إلى فضاء آخر حداثي يتسم بالعقلانية وجوهره المقروئية وهو الصحيفة أو الجريدة كوسيط إعلامي، وعليه فإن الإشكالية الأساسية لهذا البحث تتجلى في :**كيف نفهم مدى التغير الحاصل في الكتابة الجنائزية من خلال سياق الجريدة؟**

و ما هو المعنى الذي يمكن أن تحمله هذه الكتابة في سياقها؟

3 –المتن:

تم اختيار المتن على أساس مؤشر مدى انتشار الجريدة على المستوى الوطني في الأرياف والبوادي والصحراء والهضاب العليا وغيرها من المناطق النائية والهامشية ومؤشر ثاني مدى قدم الجريدة، ومؤشر ثالث حجم مقروئية الجريدة. وعليه استقر رأينا على "**جريدة الخبر**" اليومية كمدونة للاشتغال.

4– عينة البحث :

هي تلك المجموعة من العناصر أو الوحدات التي يتم استخراجها من مجتمع البحث ويجري عليها الاختبار أو التحقق، على اعتبار أن الباحث لا يستطيع موضوعيا التحقق من كل مجتمع البحث نظرا إلى الخصائص التي يتميز بها المجتمع، وعليه يمكن القول إن العينة هي "مجموعة فرعية من عناصر مجتمع بحث معين[5] إنها ذلك الجزء من الكل الذي يتم استخراجه من أجل إمكانية التحقق من الفرضيات، والذي فرضه عدم قدرة الباحث اختبار كل وحدات عالم البحث أينما وجدت، العينة هي المرور من وحدات مرتفعة عدديا ومنتشرة جغرافيا لا يمكن القيام بالاختبار عليها إلى وحدات يمكن التحكم فيها، وبالتالي يمكن اختبارها، إنها عملية تقليص عالم البحث. إن طبيعة الموضوع حتمت علينا اختيار "**العينة العمدية**" ويتم في هذه العينة "اختيار أفراد أو مناطق بشكل تتدخل فيه رغبة الباحث وإرادته، وذلك اعتمادا على معطيات ومؤشرات تبرر ذلك".[6] وظروف البحث وطبيعته جعلتنا نستقر على هذه العينة لأن مدونة البحث تتمثل في جريدة ولا يوجد أساس متين نبني عليه، ولهذا اخترنا عدد عشوائي من كل أسبوع، حيث يصبح عندنا أربع جرائد على مدى شهر ،وعلى مدى السنة 48 عددا من

[5]Beaud Jean-Pierre : Les techniques d'échantillonnage, in Recherche social .De la problématique à la collecte des données ; sous-direction de Gauthier Benoit, Québec, Presses de L'université du Québec, 2000, P187.

[6]عبد الكريم غريب: منهج وتقنيات البحث العلمي ،مقاربة ابستيمولوجية ،منشورات عالم التربية ،1997.ص78.

جريدة الخبر اليومية، وهذه الطريقة تخول لنا متابعة ورصد كل التغيرات الحاصلة في الكتابة الجنائزية على مدار السنة، أما زمنيا فكان اختيارنا لسنة2013لمتباعة طبيعة وأشكال الكتابة الجنائزية.

5- منهجية البحث:

الاشتغال على الجرائد وتحليل مضامينها يقتضي اللجوء إلى تقنية تحليل المحتوى من أجل تحليل البيانات التي تم جمعها من خلال العينة المختارة.

إن تحليل المحتوى تقنية بحث من أجل الوصف الموضوعي والمنتظم والكمي للمحتوى الظاهري للاتصال،[7] حيث تسمح لنا هذه التقنية من تحقيق الأهداف التالية :

1- تحليل محتوى الكتابة الجنائزية الموجودة في الجريدة اليومية –الخبر اليومي.

2- الوصف الموضوعي :حيث يخضع هذا التحليل إلى قواعد واضحة ودقيقة.

3- الوصف الكمي :إن هذا العنصر يكتسي أهمية بالغة ومهمة في هذا البحث، وذلك ب عد وحساب العناصر التي جاءت في الجريدة من خلال النصوص مثل الآيات المتكررة، مفاهيم مثل الرحمة والمغفرة، الأسماء والتواريخ، الفراق، الفراغ، الحزن، القدر والقضاء، الدعاء وغيرها...هذه التقنية تسمح بعملية التكميم لكن دون اعتبارها منهجا كميا حيث يمكن الاستعانة به فقط من أجل تحليل النتائج لأننا نميل إلى التحليل الكيفي لأنه تحليل أعمق للظاهرة من خلال مزاوجته بالمقابلات الفردية والبؤرية.

أ-الإجراءات المنهجية في تحليل المحتوى لظاهرة الكتابة الجنائزية بجريدة الخبر اليومي

1- صياغة الفئات :

أول عمل إجرائي ومنهجي يتم اللجوء إليه هو صياغة الفئات حيث يعد خطوة أساسية، لكن ما المقصود بالفئات في تحليل المحتوى؟

[7] Festinger Léon : Les méthodes de recherche dans les sciences sociales .tome2.PUF, 1974, P484.

هي خانات ذات دلالة والتي على أساسها صنفنا وكممنا محتوى المدونة، ويتم وضع الفئات على أساس الدلالة التي تحملها هذه العناصر، إن عملية صياغة الفئات هي استخراج خصائص مشتركة يضمها محتوى معين يتم جمعها في عناوين جامعة ذات دلالة "الفئة هي تمثيل طبقة من الأشياء يتم جمعها على أساس تقاسم خصوصيات مشتركة".[8] إن هذا التجميع الذي نحاول القيام هدفه الأول التحقق من أن هذا الفضاء به تدفق أكثر من حيث الأحاسيس والمشاعر والتعبير أكثر من الفضاءات التقليدية المعروفة بالكتابات الجنائزية، وهل تحمل نفس المعنى الذي توجد عليه في المستوى الشفهي والشاهدي؟

صياغة الفئات تعني أولا تقليص المضامين وتبسيطها وتسمح ببروز معلومات جديدة لكنها كانت ضمنية أي لا يمكن الكشف عنها إلا بإزالة نص كان يغطي نص آخر ولا يسمح له بالظهور، إذ أن تقنية تحليل المحتوى تنجح أو تفشل نتيجة حسن تعيين الفئات.

2- تعيين الفئات :

إن تعيين الفئات هي عملية تصنيف محتوى الكتابة الجنائزية في الجريدة، أي الوصول إلى العناوين الجامعة التي تؤدي إلى تقليص النص من كبير إلى صغير ذو دلالة.

ويمكن تقسيم الفئات إلى اثنين :

أ- الفئات على أساس الشكل.

ب- الفئات على أساس المحتوى.

الأول : فئات الشكل:

أ- **فئات الشكل لاتصال:** نحن نتعامل في هذه الدراسة مع جريدة يومية غير حكومية، واسعة الانتشار، ذات طابع تجاري.

ب- فئة شكل العبارات :يراعى فيها جانب التركيب اللغوي للجمل.

ت- فئة الأسلوب: الأسلوب المستعمل في متن الجريدة من كناية وتلميح، وغيرها.

[8] De Banville Jean : L'analyse de contenu des media .De la problématique au traitement statistique, De Boeck université, 2000, P146.

الثاني: فئات المضمون

غالبا ما تجيب فئات المضمون على سؤال ما قيل؟ وهي الفئات التي يقوم عليها أساس الموضوع ويمكن تقسيمها إلى ستة وهي :

أ- **فئة الموضوع** : الموضوع المعالج يتعلق بالكتابة الجنائزية في جريدة الخبر اليومي.

ب- **فئة الاتجاه:** هذا الفئة تبين الموقف التي يبديها الفاعلون اتجاه الكتبة الجنائزية على الجرائد من مواقف مؤيدة أو معارضة أو متحفظة أو محايدة.

ت- **فئة القيم:** الوقوف على القيم التي تتضمنها الكتابة الجنائزية من خلال الجريدة من وفاء، إخلاص، الرحمة، التعاون، الحب، المغفرة، الحنان، الامتنان...الخ

ث- **فئة الوسائل:** في الكتابة الجنائزية على الجرائد ما هي الوسائل المستعملة المادية والمعنوية من طرف الفاعلين في الكتابة -أي أهل المتوفى – من أجل بلوغ الهدف المطلوب مثلا طلب الرحمة والتذكر، وهل يلجأ هؤلاء إلى الإقناع أو التهديد أو الحوار وفي الكتابة الجنائزية غالبا ما تتم الطريقة بشكل إقناعي وذلك بنشر صورة المتوفى من أجل التعاطف معه والدعاء له وطلب الرحمة والمغفرة.

ج- **فئة الهدف:** إلى من يتجه نص الرسالة؟ إنه يهدف من؟ من هو الطرف الذي يعنيه الاتصال؟ وغالبا ما تهدف الكتابة الجنائزية الأقارب والأصدقاء زملاء العمل والدراسة والجيران وتتسع إلى من عرف الميت من دكاكين ومقاهي وحمامات وغيرها.

ح- **فئة المرجع:** ويتعلق **الأمر** بمعرفة المرجعية الزمانية والمكانية للنص الجنائزي مثلا النص الجنائزي التالي :صدر يوم الأربعاء 28ماي2014م الموافق لـ 28 رجب 1435هـ بجريدة الخبر الصفحة السادسة- 06- صفحة خاصة بالإشهار، العمود الرابع على اليمين عرضه ست 06سنتمترات وطوله 9سنتيمترات ويحمل رقم:F:5135

6- أربعينية:

أختي الغالية **طورش عبلة** المدعوة

"**وسيلة** " ها قد جاء اليوم الأربعين وحلت

الذكرى بحرقة الفراق ونار الحنين إليك يا من

رحلت في صمت رهيب رحلة لا رجوع منها و

من دون جواز سفر ومن غير وداع، إلى أمي

التي لم تنجبني إني أعزي نفسي فيك كل يوم و

ليلة. لكن الإيمان بقضاء الله وقدره هو الذي

يطمئن نفسي وأطلب من الله عز وجل أن

يتغمد روحك الطاهرة ويجعل قبرك روضة

من رياض الجنة وأدعو كل من عرفك أو يقرأ

هذه الكلمات أن يدعو لك بالرحمة والمغفرة

وأن يلهم والدتك وذويك جميل الصبر و

السوان.

إن لله وإن إليه راجعون

أختك حنان

هذه بصفة عامة الفئات المستعملة فما يخص فئات المحتوى، وبفضل هذه الفئات يمكن توجيه البحث نحو صلب الموضوع مباشرة لإعطاء الفاعلية اللازمة للكشف عن المضمون المستتر.

3- استخراج وحدات التحليل :

كيف يتم تعيين وحدات التحليل؟

من أجل تعيين وحدات التحليل وجب الارتكاز على ثلاث وحدات أساسية :

أ- **وحدة التسجيل** :وهو الجزء الذي قمنا باختياره ولهدف تقطيع النص إلى أجزاء ذات دلالة حيث تم تقسم وحدة التسجيل إلى:

1-**الكلمة** :وهي أصغر وحدة في النص الجنائزي، حيث يتم استخراج الكلمات التي تعبر عن أبعاد التغير الحاصل في الكتابة الجنائزية داخل هذا الفضاء الاتصالي الجديد.

1- **الجملة**: وهي فقرة تحمل معنى ما، مثل الرحمة والمغفرة والتذكر وغيرها.

ب- **وحدة السياق** :تسمح لنا بفهم أين توجد وحدة التسجيل ويمكن أن تكون كلمة أو جملة تحيل على وحدة السياق لتعطي معنى معين.

ت- **وحدة العد والقياس**: إن التكميم هو عنصر مكون لعملية تحليل المحتوى وهذا ما يبرر وحدة العد والقياس حتى نضفي طابعا كميا على النص الجنائزي.

وهنا يتعلق الأمر بتقسيم النص الجنائزي في الجريدة تقسيما ماديا وهذا من أجل المقارنة، وعلى العموم تأخذ هذه الوحدة شكلين :

1- حسابي:تسمح بحساب الكلمات أو عد عدد المرات التي تظهر فيها كلمة أو معنى في النص الجنائزي. مثلا كم مرة تكررت كلمة رحمة في النص الجنائزي.

2- وهي المساحة الذي يحتلها النص الجنائزي في الصفحة الكبرى للجريدة وتقاس بالسنتيمتر مثال النص الجنائزي المذكور سلفا عرضه ست 06سنتمترات وطوله 9سنتيمترات.

2- الجدول التفريغي :

يشمل الجدول التفريغي في تحليل المحتوى على المعلومات التالية :1 - **البيانات الأولية** : اسم الوثيقة، تاريخ صدورها ،السنة، الشهر، اليوم، الحجم (عدد الصفحات).

2- فئات التحليل :فئات الشكل وفئات المحتوى.

3- وحدات التحليل.

4- وحدات العد و القياس.

5- الملاحظات: لتوضيح بعض النقاط حتى يستفاد منها في عملية التفسير والتأويل.

سوف نحاول تحليل مضمون الكتابة الجنائزية بصحيفة الخبر اليومي.

دليل الترميز :

بيانات أولية	السنة :1.الشهر:2.اليوم:3
	اسم الصحيفة:4
	رقم الصدور:5
فئات الشكل	شكل الاتصال :6
فئات المحتوى	فئة الموضوع:7
	فئة الاتجاه:8
	فئة المصدر:10
وحدات العد والقياس	حسابية:11
	هندسية12

2014:1-

2-:ماي

28:3-

4-الخبر

7421:5-

-6:إشهار

-7:موضوع اجتماعي

-8:مؤيد /9:معارض/ 10:محايد

-11: جهة رسمية/12:جهة شعبية

-13:كلمات مكررة ،معان مكررة

-14:مساحة بالسم2

بعد ما تم وضع دليل الترميز نحاول تصميم جدول تفريغ الخاص بيومية الخبر

بيانات أولية					فئات الشكل	فئات المحتوى					وحدات العد والقياس		ملاحظات
1	2	3	4	5	إشهار	7	8	9	10	12	13	14	
2014	ماي	28	الخبر	7421		موضوع اجتماعي	وحدات التحليل كلمات أو نحل	وحدات التحليل كلمات أو نحل	وحدات التحليل كلمات أو نحل	جهة شعبية			

ثم يلها جدول تكراري له علاقة الفرضيات ويتهيكل على نحو التالي :

فئة التحليل (فئات المحتوى)			
رقم الوحدة	وحدة التحليل	التكرار (ت)	النسبة المئوية%
	وحدات تحليل: كلمات أو جمل تحمل معنى		
	المجموع		%100

يسمح هذا الجدول المقلص لعملية التحليل بالقيام بعملية القراءة الإحصائية والقيام بعملية مقارنة مزدوجة: مقارنة بين وحدات التحليل ذاتها الموجودة داخل الجدول ذاته.

أخيرا، فإن هذا العمل مجرد رسم لخطة العمل المبنية على تحليل المحتوى وذلك من أجل تفريغ البيانات الخاصة بالكتابة الجنائزية في جريدة الخبر اليومية.

9-الكتابة الجنائزية بالجرائد : الشكل والمضامين

الكتابة الجنائزية بالجرائد جزء من منظومة الإعلان الصحفي بصفة عامة، وعليه فإنها تحترم الشروط العامة التي يجب توفرها في كل إعلان، حيث تتضمن مجموعة من العناصر الخارجية أو الشكلية مع مرونة الإعلان بما ينسجم والهدف الإعلاني.

أ – العناصر الأساسية في الكتابات الجنائزية بالجرائد :

يمكن إجمال العناصر الأساسية للكتابة الجنائزية من خلال تحليل المحتوى إلى خمس عناصر أساسية وكلها تعزز رسالة البعد الجنائزي وهي كالتالي:

-العنوان :

وهو كلمة أو نص صغير يعلو نص كبير وتوضع في ريادة النص أو أعلاه ليتم الانتباه له وقراءته، ويعتبر نقطة جذابة أو واجهة ولأهميته فإنه يكتب ببند عريض مقارنة بمتن النص وهنا يمكن الوقوف على مجموعة العناوين التي تصب كلها في خانة الممارسات الكتابية الجنائزية وهي :

أ-تعزية :

ب-ذكرى وترحم

ج–أربعينية:

د–شكر وعرفان

هـ –إعلان عن وفاة

–1النص الإعلاني:

وهو متن النص الإعلاني ويتكون من فقرات تعبر في مضامينها عن النص الصغير الذي هو العنوان، ويتم التفصيل فيه وإشباع القراء من حيث المضمون وسوف نتوسع في هذا العنصر لاحقا.

2–العناصر الغرافيكية :

تتضمن الكتابة الجنائزية بالجرائد على عناصر غرافيكية مهمة ومنها الصور الفوتوغرافية مما يجعل القارئ في علاقة مع الصورة والارتباط بها أحيانا قبل النص الصغير (**العنوان**) وكأن الصورة هي العنوان الكبير والجذاب والباعث على القراءة والتعاطف والدخول في النص، وفي الكتابة الجنائزية بالجرائد الصورة تقوي النص وتصبغ عليه طابع الإحساس والمشاعر إضافة إلى النص المكتوب.

3 –اسم صاحب الاعلان:

من أهم العناصر الإعلان هو اسم المعلن يقدم نفسه للقارئ ليحدث الارتباط اللازم والضروري لتمرير الرسالة المراد تمريرها ويكتب المعلن اسمه بصورة سميكة مقارنة بالنص لتمييز المرسل وهذا يظهر بالكتابات الجنائزية من خلال بعض العناصر الدالة على المعلن مثل :

تلقت عائلة (**ضيف**) ببالغ الحزن والأسى نبأ المغفور له بإذن الله الرحمن الرحيم المجاهدة "**ضيف الحجلة**" ...

وعلى إثر هذا المصاب الجلل تسأل (**أسرة ضيف**) الله سبحانه وتعالى أن يتغمدها بواسع رحمته ويسكنها فسيح جناته.

وفي هذا العنصر يغلب على المعلن الشكل الفردي والعائلي على الشكل المؤسساتي لأنه يدخل ضمن الخدمات الاجتماعية.

4 –شعار النص الإعلاني للكتابة الجنائزية :

غالبا ما يتم افتتاح النص الجنائزي بشعار يكون على شكل آيات قرآنية :

–"إن لله وإن إليه راجعون "

–"يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"

الشعار يوحي مباشرة بطبيعة النص ومتنه والرسالة المراد تبليغها.

ب – تصنيف الحدث الجنائزي المكتوب بالجريدة :

من خلال المعطيات الميدانية تم رصد خمس أشكال من الكتابة الجنائزية ولدى يمكن وضعها كتصنيف أساسي يمكن الرجوع إليه في فهم النص الجنائزي المكتوب على الجريدة وتحليل بنيته البرانية والجوانية وهي كالتالي :

1**–تعزية :**

2–ذكرى وترحم

3–أربعينية:

4–شكر وعرفان

5–إعلان عن وفاة

1- **الشكل الأول : تعزية**

إن نقيب منظمة محامي البليدة وأعضاء مجلسها وكل المحامين التابعين لها، تلقوا بأسى وحزن نبأ وفاة شقيقة الأستاذة

"سدات عائشة "

محامية بالبليدة.

وبهذه المناسبة يقدمون لها ولكل أفراد

الأسرة أخلص التعازي وأصدقها.

داعين للفقيدة بالمغفرة والرحمة

ولجميع أفراد أسرتها بالصبر

والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

النقيب :الأستاذ يحي بوعمامة

2-الشكل الثاني : ذكرى وترحم

يصادف تاريخ24

ماي، الذكرى السنوية

الثالثة. لرحيل المغفور

له بإذن الله تعالى

"الشريف قمور"

الذي التحق بجوار ربه

ذات يوم الثلاثاء من

سنة2011

وبهذه المناسبة، تدعو أمه وإخوته

وأخواته، وخاصة زوجته وأولاده

"ليندة" "أحمد"، "سارة"، وحمزة"،

كل من عرف الفقيد من قريب أومن بعيد

أن يرفعوا جميعا أكف الضراعة والدعاء له

بالرحمة والمغفرة.

"إن لله وإنا إليه راجعون"

ملاحظة :أرفق هذا النص بصورة المتوفي.

3-الشكل الثالث :أربعينية

أختي الغالية **طورش عبلة** المدعوة

"وسيلة" ها قد جاء اليوم الأربعين وحلت

الذكرى بحرقة الفراق ونار الحنين إليك يا من

رحلت في صمت رهيب رحلة لا رجوع منها و

من دون جواز سفر ومن غير وداع، إلى أمي

التي لم تنجبني إني أعزي نفسي فيك كل يوم و

ليلة. لكن الإيمان بقضاء الله وقدره هو الذي

يطمئن نفسي وأطلب من الله عز وجل أن

يتغمد روحك الطاهرة ويجعل قبرك روضة

من رياض الجنة وأدعو كل من عرفك أو يقرأ

هذه الكلمات أن يدعو لك بالرحمة والمغفرة

وأن يلهم والدتك وذويك جميل الصبر و

السلوان.

إن لله وإن إليه راجعون

أختك حنان

4-الشكل الرابع :إعلان عن وفاة

ببالغ الحزن والأسى تعلن العائلتان "**خياري**" "**وبلشراني**"عن وفاة الأخت والأم والزوجة "**خياري يسمينة**" يوم الثلاثاء 2013/11/19

كما تعلم أن صلاة الجنازة ستكون يوم الخميس 2013/11/21بعد صلاة الظهر بمسجد "أسامة بن زيد "بحي لاكونكورد بئر مراد رايس، فيما يتم دفنها بمقبرة حي الجبل بباب جراح.

5 الشكل الخامس :شكر وعرفان

"كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" ،تتقدم **عائلة دحومان** من الرغاية وبرج بوعريريج بالشكر الجزيل لكل من واساها في مصابها الجلل،إثر وفاة الأب والجد الأستاذ الفاضل "**دحومان سعيد**" الذي وهب حياته لتربية الأجيال وتعليمهم، أستاذا وميرا متفانيا في خدمة العلم إلى آخر رمق فيحياته، رحل وترك وراءه فراغا رهيبا وجروحا لن تندمل إلا بالرضا بقضاء الله وقدره. وبهذه المناسبة الأليمةترجو عائلة المرحوم من كل من عرفه وأحبه لخصاله ان يدعو له بالرحمة والمغفرة وبأن يجعل الله قبره روضة من رياض الجنة ويسكنه مع النبيين والصالحين.

"إنا لله وإليه راجعون"

ملاحظة : مع إرفاق هذا النص بصورة المتوفى.

ج -المعجم الخاص بالكتابة الجنائزية في السياق الصحفي (جريدة الخبر)

أ- جدول رقم 1 خاص بمعجم التعزية

التعزية	الكلمة
	الحزن، الأسى، نبأ، وفاة —توفي-توفت،الألم، مناسبة،التعازي،الإخلاص—أخلص،الصدق، الحرارة — أحر، المواساة، العلي،القدير، الايمان، الروح —روحه — روحها، الطهارة —الطاهر-الطاهرة، السكن —يسكنها-يسكنه السعة،الالهام —يلهمه —يلهمها، الصبر، الاطمئنان —

	المطمئنة، السلوان، الجنان، الرحمة، يتغمد، الفقيد–الفقيدة، الله، الرجوع الدعاء، الرضى، القضاء، الوداع، المغفرة–المغفور له – المغفور لها،المنية، الثواب، القبر الروضة، الجنة، القلب –القلوب، القدر، المصيبة – المصاب، الرحيل، الفجأة –المفاجأة الجلال، الإكرام، البقاء –يبقى، الرب –ربك، وجه ربك، الانتقال –انتقل انتقلت، الترك –تاركا –تاركة، وراء–وراءه وراءها، الملأ– لا يملأه – ، التضرع، الوحدة، الأنس، الوحشة المنزل –المنزلة –المنزلين، الغربة، الصدق –الصدقين، الشهداء، الصالحين، الوفاء، الحب، البركة، خير، النفس، الخشوع، البشرى–بشر، المثوى، مشاعر ، السؤال – سائلا، فسحة –فسيح، التأثر ، إثر –أثر ، ألم الفقدان، جنان، المغادرة –غادر، الفراغ، الرهبة –الرهيب، التعويض، الكرم–يكرم، الفردوس، الأعلى، النبيين، فناء –فان، الأقدار الشوق، ذائقة، النعيم، مقام، العطف –التعاطف، العفو، الرضوان–رضوانه، قضى، عاهد، النحب، بدل–تبديل بدلوا، الرحيل، حرقة، دموع، يتولاك –الولاية، تطييب، خاتمة الأحزان، التعاطف، مشاركة –نشارككم، ينعم – النعيم، تندمل، الصلاح،الجرح–الجروح،

ب –جدول رقم 2 خاص بمعجم الذكرى والترحم

الذكرى والترحم	الكلمة
	الذكرى، النسيان، الإخلاص، الرحمة، الدار الآخرة، رحيل، المغفرة –المغفور له، الفراغ الحزن، الإيمان، القضاء، القدر، التضرع، الله، الدعاء، الجنة، التبديل –أبدله، الخيرية –الخير، التعويذ –أعذه، عذاب، النار، معاملة، الجزاء، الإحسان، الإساءة، التجاوز، الإنزال –المنزلة، البركة –الرفق، الروح، الطهارة، الغالي –أغلى، الفراق، الصمت، الوفاء، الحنان، المنان،

	واسع، العفو، الغسل –اغسله–اغسلها، الثوب، البياض–الأبيض، الماء، الثلج، الدنس، الذنوب، القرآن، العظيم، الرزق–ارزقه –ارزقها، مقام، حرف، آية، سعادة، سلامة، مضاعفة، رحمة، رضوان –رضى، العلي القدير، الفساحة –فسيح، الفناء، السكن–يسكنه – يسكنها، الترك–تاركا، التغمد، طلب الأحباء، المثوى، الفردوس، الرجوع، البعد، الحضور، التوسل، الدموع، الحزن، العين–العيون، المغفرة–له –لها، الأخ، الأب، الأم، الجدة، الجد، العم، العمة، الخال، الخالة، الصديق، أبناء، الأحفاد، الزوج

ج–جدول رقم 3 خاص بمعجم أربعينية

الأربعينية	الكلمة
	الأربعين، اليوم، مرور ، رحيل، الفقيد، المغفرة، الله، الفراغ، القضاء، القدر، الذكرى، الألم، الدعاء، الفساحة، الجنة، العطاء، الأخذ، المواساة، الإيمان، الشكر، الإلهام، الرجوع، النفس، الاطمئنان، الرضى، وفاة، الثرى، الطيب –يطيب، الغالي–الغالية، الفراق فاجعة، صورة

د– جدول رقم 4 خاص بمعجم إعلان عن وفاة

إعلان وفاة	الكلمة
	إعلان –تعلن، وفاة، ووري، الثرى، المقبرة، المرحوم–الرحمة، الجنة، المغفرة، الصدق–الصديقين، النبي–النبيين–، الصلاح–الصالحين طلب، الدعاء، معرفة –من يعرفه–من يعرفها التراب، القرب، البعد، الألم

هـ– جدول رقم 4 خاص بمعجم شكر وعرفان

شكر و عرفان	الكلمة
	الشكر، العرفان، المواساة، المشاركة، العزاء المصاب، الجلل، وفاة، الرحمة، الأهل، الأقارب الأصدقاء، الأسرة، النسيان، أمانة، السكن، الفاجعة،

	الألم، الإلمام –ألمت، حادث، مروع حياة، المغفرة، الله، الابنالبار، الامتنان، الوقوف –موقف، تعزية، سؤال، مكروه، يريكم –لا يريكم، مشاطرة، الرجاء، العفو، الدعاء، الصبر، القبر، الروضة، رحيل

د- منهجية ومضامين الكتابة الجنائزية على الجريدة :

1- منهجية ومضامين الكتابة الجنائزية الخاصة بالتعزية :

العناصر	المضامين
العنصر الأول	الشعار
العنصر الثاني	الاستفتاح أو التاريخ
العنصر الثالث	الخبر
العنصر الرابع	ذكر هوية المتوفى
العنصر الخامس	التعزية والمواساة
العنصر السادس	الدعاء
العنصر السابع	الصورة الفتوغرافية على اليسار دائما من النص
العنصر الثامن	الختم

1-1 العنصر الأول:

الشعار : غالبا ما يكون على شكل أية قرآنية ترتبط بالسياق والحدث

الشعار	الآية
الأول	يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي"[9].
الثاني	"كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام".[10]

2-1العنصر الثاني :الاستفتاح

[9] سورة الفجر، الآية 27- 30

[10] سورة الرحمن، الآية 26

الاستفتاح	الشكل
الأول	بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره
الثاني	إثر فاجعة التي ألمت
الثالث	إثر المصاب الجلل الذي ألم
الرابع	ايمانا بقضاء الله وقدره
الخامس	ببالغ التأثر والأسى
السادس	ببالغ الحزن والأسى

1-3 العنصر الثالث :الخبر

الخبر	الشكل
الأول	تلقت نبأ وفاة
الثاني	إثر وفاة
الثالث	انتقل إلى جاور ربه
الرابع	تلقى بأسى وحزن
الخامس	انتقل إلى رحمة الله
السادس	تعلن عائلة عيش عن وفاة

1-4 العنصر الرابع :ذكر هوية المتوفي

ويشمل اسم المتوفي ولقبه

اسم المتوفي	صفته
	أب –أم
	الجد –الجدة
	العم –العمة
	الخال –الخالة
	الابن –الابنة
	الزوج –الزوجة

1-5 العنصر الخامس :التعزية والمواساة

التعزية والمواساة	الشكل

	إثر هذا المصاب الجلل نقدم تعازينا
	وبهذه المناسبة الأليمة
	يتقدم السيد :أ بالمواساة
	وبهذه الذكرى الأليمة

1-6 العنصر السادس :الدعاء

الدعاء	الشكل
	طلب الرحمة والمغفرة
	طلب الصبر والسلوان
	طلب السكينة
	تطييب الثرى
	أن يتغمده الله بفسيح جناته
	أن يجعل الله قبرة روضة من رياض الجنة
	أن يكون مع الأنبياء والصلحاء

1-7العنصر السابع :الصورة الفتوغرافية (طريقة اختيار الصورة)

1-8 العنصر الثامن :الختم

وغالبا ما تأتي على شكل آية قرآنية التالية

"إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".[11]

قائمـــة المراجع :

– **خليل صابات**:الإعلان،تاريخه،أسسهوقواعده،فنونهوأخلاقياته.ط٢القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٧ .

– **طلعت الزهيري** : الإعلان بين العلم والتطبيق، القاهرة :دارالمعارف،١٩٧٥.

– **فؤاد أبو إسماعيل** :الأصول العلمية للإعلان .القاهرة :١٩٧٩.

–**صفوت محمد العالم**: عملية الاتصال الإعلاني. القاهرة:المؤلف١٩٨٧

–**إحسان عسكر**: المدخل إلى الإعلان، القاهرة :دارالنهضةالعربية،١٩٨٠.

– **محمود عساف**، أصول الإعلان القاهرة :مكتبةعينشمس،١٩٨٢.

–**أبو زيد فاروق محمد** :مقدمة في علم الصحافة. القاهرة مركز جامعة القاهرة للتعليم،1999.

[1]سورة البقرة، الآية 156

–المفتوح أبو عرجة : تيسير أحمد :دراسات في الصحافة والإعلام. عمان : دار مجلاوي للنشر والتوزيع. 2000.

–**حسين سمير محمد** : تحليل المضمون تعريفاته ومفاهيمه ومحدداته، عالم الكتب، القاهرة، 1983.

– عبد الحميد محمد :تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار الشروق، القاهرة، 1980.

–**سالم نادية**: إشكاليات استخدام تحليل المضمون، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، 1983

–**القحطاني عبد الرحمن محمد** : تحليل المحتوى واستخدامه، الحرس الوطني، الرياض، ع 76 ، 1989

–عواطف عبد الرحمن، نادية سالم، ليلي عبد المجيد: تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع،1983

–**بليبل، رامي يوسف** :ألف باء الصحافة. بيروت دار مكتبة الحياة 1998.

–**الحديدي، منى سعيد و علي، سلوى إمام** :الإعلام والمجتمع. القاهرة مكتبة الاسرة مهرجان القراءة للجميع، 2004.

–حمزة عبدا للطيف: مستقبل الصحافة. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003.

–**حمود عبد الحيلم** : الصحف وايقاع العصر. بيروت دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. 2008.

–**الدليمي عبدالرزاق محمد** : إشكاليات الاعلام والاتصال في العالم الثالث. عمان مكتبة الرائد العلمية. 2004.

–**الرمحين عطاالله –أبو زيد فاروق محمد** : مقدمة في علم الصحافة. القاهرة مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 1999.

–أبو عرجة تيسير أحمد :دراسات في الصحافة والاعلام. عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .أضواء على الصحافة العربية والعالمية المعاصرة. دمشق دار علاء، 2000.

–حسين سمير محمد: بحوث الإعلام الأسس والمبادئ، عالم الكتب، القاهرة. 1976

–الدلو جواد: دراسات في الصحافة الفلسطينية، مكتبة الأمل، غزة.2000.

–الشريف سامي:الإعلان التلفزيوني، دار الوزان للطباعة و النشر، القاهرة. 1999.

–العارف نادية: الإعلان، بدون، الإسكندرية. 1991

–شلبي كرم : الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية، دار الشروق، القاهرة. 2004

–عابد زهير :مبادئ الإعلان ،ط2 ،مكتبة الجزيرة للنشر والتوزيع، غزة2012.

–عابدين عمر مقبول: التغيرات السياسية والاقتصادية في البحث ودورها في تطوير الإعلان التجاري والصحف، بحث ماجستير غير منشور، قسم العلاقات العامة و الإعلان، كلية العلام، جامعة القاهرة، القاهرة2004 .

–العالمصفوت:عمليةالاتصالالإعلاني،كليةالإعلام،جامعةالقاهرة،القاهرة1989 .

–عبدالحميد محمد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار الشروق، جدة.1983.

–عبدالحميد محمد:بحوث الصحافة، عالم الكتب ،القاهرة1997 .

–عبدالرحمن مسعد السعيد صالح: دور الإعلان في تكوين الصورة الذهنية للسلع أو الخدمات المعلن عنها، دراسة تحليلية ميدانية، بحث ماجستير غير منشور، القاهرة، قسم العلاقات العامة والإعلان، كلية الإعلام، جامعة القاهرة. القاهرة، 1999 .

–العبد عاطف عدلي عزمي زكي أحمد: الأسلوب الإحصائي باستخدام اته في بحوث الرأي العام والإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة1993 .

–العتاب يجبر مجيد :طرق البحث الاجتماعي، دار الكتب للنشر والتوزيع، الموصل1991 .

العناد عبدالرحمن: تقدير البالغين لأثر الإعلان التجاري في التلفزيون على السلوك الاستهلاكيللطفل،مجلةجامعةالملكعبدالعزيز،الآدابوالعلومالإنسانية،المجلد25. 1992.

–الكيان شريف: فن الإخراج الصحفي، مكتبة العربي للنشر والتوزيع، القاهرة1997 .

المراجع باللغة الأجنبية :

-**Massé Pierrette**: Méthodes de collecte et d'analyse de données en communication. Presses de l'Université du Québec, 1992.

-**Mattelart Armand**: L'invention de la communication Casbah Editions .Alger, 2004.

-**Maurice Angers**: *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Casbah Edition: Alger, 1997.

-**Mead Georg Herbert**: L'esprit, le soi et la société. PUF. Paris. France, 1963.

-**Mead Margaret:** Le fossé des générations, Editions Denoël .Paris. France, 1979.

-**Myers E. Gail**: Les bases de la communication interpersonnelle, Copyright. 1984

-**Moles Abraham**: Théorie structurale de la communication et société ،Masson. Paris, Milan, Barcelona, Mexico 1988.

-**Morin Edgar**: L'enjeu humain de la communication in la communication : Etat des Savoirs. Editions des Sciences humaines .Auxerre cedex 1998

-**Mucchielli Alex**: L'identité PUF, Paris, France 1994.

-**Nacib Youcef** : Eléments sur la tradition orale, Editions SNED Alger 1981.Alger. 1992.

-**Isaac Joseph**: Erving Goffman et la microsociologie, PUF, France.

Bourdieu Pierre : Choses dites. Paris. Minuit. 1987.

- **Colonna Fanny**: Savants paysans, éléments de l'histoire sociale de l'Algérie rurale. OPU Alger, 1987.

-**Pierre TRIPIER- François GRESLE - Michel PERRIN-Michel PANOFF** : Dictionnaire des sciences humaines, sociologie, psychologie sociale, anthropologie. Nathan Université Française. 1992.

الإعلام الأمني كما يراه الصحافيون في الجزائر.
دراسة ميدانية على صحفيي يوميات الخبر والنصر والوطن

أ.طلحة الياس
جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص الدراسة:

يسعى البحث الحالي إلى محاولة تحديد مفهوم الإعلام الأمني، من خلال استطلاع آراء الصحفيين العاملين في المجال، لرصد آرائهم حول الموضوع، وذلك لمعرفة مدى إلمامهم به، وخاصة معرفة المعوقات التي تواجههم في الميدان بعيدا عن التفسيرات النظرية، لذلك وضعنا استمارة استبيان حددنا فيها مجموعة من الأسئلة والتي حصلنا من خلالها على مجموعة أجوبة من الصحفيين العاملين بيوميات الخبر والنصر والوطن، والتي تم عرضها وتحليلها كميا وكيفيا في المبحث الثاني لهذا البحث، والتي كشفت النقاب عن واقع العمل الإعلامي الأمني كما يراه الصحافيين في الجزائر.

Abstract

The current research seeks to determine the concept of security media through exploring the views of journalists working in the field about the subject .in order to find out the extent of their knowledge of it and especially to know the obstacles they face in the field, away from the theoretical explanation, we have elaborated a questionnaire aimed at journalists working for Elkhabar, Ennasr and Elwatan daily newspapers. The collected answers have been present and analyzed both quantitatively and qualitatively to reveal the reality of security media as seen by journalists in Algeria.

مقدمة:

أصبح وجود إعلام أمني ضرورة ملحة خاصة في ظل ما يشهده العالم من تطورات ومستجدات تمس أمن واستقرار الأفراد والمجتمعات والدول فكثرة الأحداث أوجدت ضرورة ملحة لقيام إعلام متخصص يُعنى بالشؤون الأمنية، ويهتم بقضاياها، كفرع من فروع الإعلام العام. ويقتضي ذلك ضرورة وجود متخصصين في الشأن الأمني، والذين توكل إليهم مهمة جمع ومعالجة ونشر المعلومات الأمنية، لذلك ينبغي على رجل الإعلام أن يكون محيطا ومدركا لما يكتبه نظرا لما قد يُخلفه النشر غير المسؤول من تأثيرات على مستوى الفرد والجماعة وحتى الدولة، ولذلك ينبغي على الصحفي أن يكون مكونا تكوينا جيدا يسمح له بتناول القضايا الأمنية، كما يجب على مؤسسات الإعلام إجراء دورات تكوينية لصحافييها، ويجب أن يكون الصحفي محيط بموضوع الإعلام الأمني إحاطة كاملة، لذلك سوف نحاول من خلال هذا البحث تسليط الضوء على عنصر مهم من عناصر العملية الاتصالية الأمنية ألا وهو الصحفي (القائم بالاتصال) لمحاولة معرفة وجهة نظره بالموضوع ومدى إلمامه به، لذلك حددنا للبحث إشكالية وتساؤلات، كما بيّنا أهمية وأهداف البحث، مع تحديد لأهم مفاهيم البحث، وعرض دراسة سابقة مشابهة لموضوعنا المبحوث، مع ضبط للعناصر الإجرائية للبحث الميداني المتمثلة في منهج البحث وأداة جمع البيانات والعينة، مع عرض لجداول الدراسة الميدانية.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للبحث

أولا: مشكلة البحث:

يعتبر الإعلام الأمني من المفاهيم الحديثة التي تفرعت عن الإعلام العام، وذلك نظرا لتوجه الإعلام في حد ذاته نحو التخصص، إذ ظهرت العديد من التخصصات الإعلامية كالإعلام السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والبيئي، والرياضي...، ولم يَحِد موضوع الأمن عن القاعدة حيث ظهر نوع جديد من الإعلام يُعنى بالموضوعات الأمنية بمفهومها الشامل، فبعدما كان الإعلام في مجال الأمن يقتصر على أخبار الجرائم ظهر مفهوم جديد وهو الإعلام الأمني الذي يُعنى بكل ماله علاقة بالأمن بمفهومه الشامل، ونظرا لحداثة هذا المفهوم وعدم توصل المختصين والباحثين إلى تحديد دقيق له، تفرقت

آرائهم حوله، فمنهم من نسبه إلى الأجهزة الأمنية وجعله من مهامها واختصاصها وظهرت العديد من الدراسات التي تتبنى هذا التوجه، كما ذهب فريق إلى جعل المفهوم الجديد من مهام المؤسسات الإعلامية من خلال ما تقوم به على مدار الساعة من نشر أخبار عن الأمن السياسي والأمن الاقتصادي والأمن الاجتماعي...، ومن خلال هذا البحث سوف نحاول التركيز على جانب من جوانب هذا الخلاف، وهو محاولة معرفة رأي القائم بالاتصال في المؤسسة الإعلامية حول المفهوم، من خلال التساؤل الرئيسي التالي: ما هي نظرة الصحافيين الجزائريين للإعلام الأمني ؟، واندرجت تحته مجموعة من التساؤلات الفرعية كالآتي:

1- ما الإعلام الأمني لدى الصحافيين العاملين بصحف الخبر والنصر والوطن؟
2- ما الأهداف المرجوة من تغطيتهم للموضوعات الأمنية؟
3- ما هي المعايير التي يعتمدونها لنشر الموضوعات الأمنية؟
4- ما هي معوقات التعامل مع المعلومة الأمني حسب صحفيي الخبر والنصر والوطن؟
5- ماهي سبل تطوير الإعلام الأمني حسب صحفيي الخبر والنصر والوطن؟

ثانيا: أهمية الدراسة:

1- تكمن أهمية الدراسة في كونها من الدراسات القليلة التي اهتمت بنظرة الصحفيين الجزائريين حول الإعلام الأمني.
2- كما تكمن أهميتها أيضا في ارتباطها بمفهوم الأمن، الذي يعتبر جوهر الصراع في العلاقة ما بين الأجهزة الأمنية والإعلامية، فالأولى تحاول التستر وعدم البوح بالمعلومات الأمنية، والثانية تسعى جاهدة للحصول عليها ونشرها.

ثالثا: أهداف الدراسة:

- تسعى الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات المحددة في إشكالية البحث، من خلال اتباع الخطوات المنهجية المناسبة، بهدف الحصول على معلومات كمية، تمكننا في النهاية من أخذ صورة شاملة عن الموضوع المعالج.

رابعا تحديد المصطلحات:

1- الصحفي:

ورد في معجم النفائس الوسيط أن الصَحَفِيُ: الذي يروي الخطأ عن الصُحُف بأشباه الحروف(مو) و–من يأخذ العلم من الصحيفة لا عن أستاذٍ و– من يزاول حرفة الصِحافة (ثة).[1]

وفي معجم المصطلحات الإعلامية الصحفيjournaliste: هو الذي يمتهن الصحافة. أي يتخذها مهنته وعمله الذي يتفرغ له ويتكسب منه. وتطلق هذه الصفة على كل من يعمل في جريدة أو مجلة، بشرط أن يكون عمله من ذلك النوع الذي يعد ابتكارا أو فنا من فنون المهنة. ومن هنا فإن صفة الصحفي تنسحب إلى مندوب الأخبار والمراسل والمحرر في أقسام التحقيقات وأقسام التحرير المختلفة، والمترجم والرسام والخطاط والمراجع والمصحح والمصمم والمصور والكاتب. بشرط أن يكون الصحفي متفرغا لهذا العمل ويمارسه بشكل دائم ومنتظم في إحدى دور الصحف، كما أن هذا المصطلح أصبح يطلق على العاملين في مجال جلب الأخبار وتحريرها والتعليق عليها في الإذاعة أيضا، يطلق كذلك على المحررين ومعدي البرامج في الراديو والتلفزيون.[2]

وصحفي journalist –journaliste من يباشر بصفة أساسية ومنتظمة مهنة الصحافة في صحيفة يومية أو دورية أو في وكالة أنباء أو الذي يعمل بصفة مراسل لصحيفة، و يقيد الصحفي عادة في نقابة الصحفيين.[3]

2- الإعلام الأمني:

الإعلام الأمني مصطلح مركب من كلمتين هما (الإعلام، والأمني)، فالإعلام يشير إلى أنه الإخبار ونقل المعلومات والحقائق وغيرها إلى الجماهير العريضة من خلال وسائل الاتصال

الجماهيري، بحيث يساعد ذلك المجتمع على تكوين رأي عام في أمر من الأمور.أما الكلمة الثانية وهي الأمني فهي إضافة تشير إلى تخصيص الإعلام المقصود، أو تقييد هذا النوع من الإعلام بمها يخدم الأمن بمفهومه الشامل الذي يجب ألا يقتصر على الأمن الجنائي بالمفهوم الضيق للأمن المرتبط بمكافحة الجريمة فقط، أي أنه يمكن القول أن الإعلام الأمني تخصص فرعي مشتق من الوظيفة الرئيسية للإعلام بصفة عامة. وقد تناول عدد من الباحثين والمهتمين مصطلح الإعلام الأمني في محاولات جادة لإيجاد تعريف جامع مانع لماهيته، إلا أنه لا يبدو أن هناك تعريفا متفقا عليه يحدد معالم الإعلام الأمني بدقة،[4]وفيما يلي بعض تعريفات الإعلام الأمني التي تصب في موضوع الدراسة:

يعرفه "إبراهيم ناجي" بأنه:" مختلف الرسائل الإعلامية المدروسة التي تصدر بهدف توجيه الرأي العام لتحقيق الخطة الشاملة والتصدي للأسباب الدافعة لارتكاب الجريمة والتوعية بأخطار ومخاطر الجرائم، وإرشاد المواطنين بأسلوب يضمن عدم وقوعهم فريسة للجريمة والتورط في ارتكابها وكذا تبصير الجمهور بأساليب الوقاية من الجريمة من خلال تدابير مختلفة وتنمية حسهم الأمني وإشعارهم بمسؤوليتهم الجماعية عن مكافحة الانحراف والجريمة ونشر الحقائق عن الأحداث الأمنية دون تهويل أو تهوين بالإضافة إلى تشجيع المواطنين على التعاون مع رجال الشرطة وإبراز الوجه الحقيقي الإيجابي لخدمات الشرطة ودورهم الإنساني والاجتماعي وإسهامهم في حفظ حركة الحياة بانتظام واطراد مع إظهار تضحيات رجال الشرطة لتحقيق الأمن والأمان".[5]

و يعرفه"بركة بن زامل الحوشان"بأنه: "نمط إعلامي هادف يخدم الموضوعات والقضايا الأمنية ويهدف إلى سيادة الأمن في ربوع المجتمع موجها إلى الجمهور العام والخاص، ومستخدما مختلف فنون الإعلام من كلمات وصور ورسوم وألوان و مؤثرات فنية أخرى، معتمدا على المعلومات والحقائق والأفكار ذات العلاقة بالأمن التي يتم عرضها بطريقة موضوعية".[6]

ويرى "حمزة بن أحمد بيت المال":" أن الإعلام الأمني في مفهومه الظاهر له رجاله وخبراؤه وهو يهتم في المقام الأول بحملات التوعية المتعلقة بالموضوعات الأمنية والتي منها الجريمة والتخريب والإرهاب والمخدرات...الخ، كما يهتم أيضا بدراسة الموضوعات الأمنية وتعامل وسائل الإعلام معها مثل أخبار الجرائم في وسائل الإعلام أو دراسة الصورة الذهنية لرجال الأمن في وسائل الإعلام إلى آخر هذه الموضوعات".[7]

كما عرّفه "علي عجوة":" الإعلام الأمني يشمل المعلومات الكاملة والجديدة والهامة التي تغطي كافة الأنشطة والحقائق والأوضاع والقوانين المتعلقة بأمن المجتمع واستقراره، والتي يعتبر إخفاؤها أو التقليل من أهميتها نوعا من التعتيم الإعلامي، كما أن المبالغة في تقديمها أو إضفاء أهمية أكبر عليها يعتبر نوعا من التأثير المقصود والموجه لخدمة أهداف معينة، قد تكون في بعض الأحوال نبيلة ومنطلقة من المصلحة القومية".[8]

و يعرفه"سلمان دواد الصباح" بأنه: "مجموعة العمليات المتكاملة التي تقوم بها أجهزة ووسائل الإعلام المتخصصة من أجل تحقيق أكبر قدر من التوازن الاجتماعي بغية المحافظة على أمن الفرد وسلامته وسلامة الجماعة والمجتمع". أي أن الإعلام الأمني يهدف إلى صياغة بنية المجتمع، نظمه الاجتماعية، قيمه الروحية، وأنماط ثقافته وتراثه الحضاري.[9]

ويعرفه في نفس السياق "عبد الله أحمد الأفندي"بأنه:"النشر الصادق للحقائق والثوابت الأمنية، والآراء والاتجاهات المتصلة بها بثا لمشاعر الطمأنينة والسكينة في نفوس الجماهير من خلال تبصيرهم بالمعارف الأمنية وترسيخ قناعتهم بأبعاد مسؤولياتهم الأمنية وكسب مساندتهم في مواجهة مرتكبي الجرائم وكشف مظاهر الانحراف".[10]

خامسا الدراسات السابقة:

دراسة "عبد الرحمان بن محمد عسيري"، موسومة بـ "العمل الإعلامي الأمني العربي –المشكلات والحلول-"[11]، حيث انطلق الباحث من مجموعة من التساؤلات، هي:

ما مفهوم الإعلام الأمني؟ وما المنجزات المتحققة للعمل الإعلامي الأمني العربي؟ ما المشكلات التي تعوق العمل مسيرة العمل الإعلامي الأمنية العربي؟ وما الحلول المقترحة لمواجهة المشكلات التي تحد من فعالية العمل الإعلامي الأمني العربي؟

حيث اعتمد الباحث على المنهج المسحي، كما اعتمد الباحث على صحيفة الاستبيان لاستطلاع آراء أفراد عينة الدراسة، كما تم استطلاع آراء عينة من المختصين في مجالي الإعلام والأمن من أكاديميينو مسؤولين في الإعلام والأمن ممن لهم اهتمام مباشر بقضايا الإعلام الأمني والذين بلغ عددهم 27 مفردة، (20 أستاذ جامعة مختصين في الاجتماع والإعلام، 07 من المسؤولين في الجهات الأمنية) حيث تم اختيارهم بطريقة متعمدة ممن لهم اهتمام بالعمل الإعلامي الأمني بشكل خاص، بالإضافة إلى 12 من العاملين في المجال الإعلام الأمني الصحفي في البلدان العربية (شملت الدراسة دول الكويت،السعودية،قطر،البحرين،الجزائر،السودان،مصر،اليمن،الأردن،عُمان).

وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية:

أن من المشكلات التي تحد من فعالية الإعلام الأمني من وجهة نظر المبحوثون، عدم وضوح مفهوم الإعلام الأمني، كما توصلت الدراسة إلى أن المفهوم يواجه مشكلة عدم شيوع استخدامه، كما توصلت الدراسة إلى أن الصحفيين العرب يتفقون مع الأكاديميين العرب في الجامعات السعودية على أن المصطلح لازال يواجه بعض الغموض.

سادسا: منهج الدراسة وأداة جمع البيانات:

1-منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهج المسح: وهو المنهج الأكثر استخداما في البحوث العلمية الكمية، في مختلف المعارف والموضوعات، وهو عبارة عن منهج وصفي descriptive، يعتمد عليه الباحثون في الحصول على بيانات ومعلومات وافية دقيقة تصور الواقع الاجتماعي والحياتي، والذي يؤثر في كافة الأنشطة الإدارية، والاقتصادية، والتربوية، والثقافية، والسياسية، والعلمية.تسهم مثل هذه البيانات والمعلومات في تحليل الظواهر.[12]

وتهتم الدراسات المسحية بدراسة المشكلة كما هي في واقع الحال لدى عدد كبير من الأفراد في مؤسسة كبيرة أو في منطقة معينة من أجل توجيه العمل في الوقت الحاضر وفي المستقبل،وقد تشمل أحيانا جميع أفراد مجتمع الدراسة إذا كان صغيرا أو تشمل عيّنة منه، وقد تجمع البيانات التي تتعلق بعدد كبير من العوامل المناسبة أو بنود منتقاة منها.[13]

2-أداة جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة على أداة الاستبيان، وهيعبارة عن مجموعة من الأسئلة والاستفسارات المتنوعة، والمرتبطة بعضها بالبعض الآخر بشكل يحقق الهدف أو الأهداف، التي يسعى إليها الباحث، وذلك في ضوء موضوع البحث والمشكلة التي اختارها.[14] وهي أداة تتضمن مجموعة من الأسئلة أو الجمل الخبرية التي يطلب من المفحوص الإجابة عنها بطريقة يحددها الباحث حسب أغراض البحث.[15]

وتم إعداد استمارة الاستبيان في صورتها الأولية، من خلال تقسيمها إلى قسمين، الأول متعلق بالبيانات الشخصية، والقسم الثاني لأسئلة الرأي، وتم عرضها على مجموعة من المحكمين* لتوضع في شكلها النهائي وتوزع على المبحوثين.

سابعا: عينة الدراسة:

تم اختيارأفراد العينة بطريقة العينة القصدية، حيث يكون الاختيار في هذا النوع من العينات على أساس حر، من قبل الباحث وحسب طبيعة بحثه، بحيث يحقق هذا الاختيار هدف الدراسة أو أهداف الدراسة المطلوبة...، ووقع اختيارنا على نوع منأنواع العينات المقصودة، وهي العينات الشاملة: حيث تتم في هذا النوع دراسة كل مشارك في النشاط أو الظاهرة المعنية بالدراسة، أي كل فرد أو جماعة في موقع ما...، وتعني اختيار جميع الأفراد الذين يمثلون حالة ما أو تتوفر لديهم الخصائص والصفات المدروسة.(16)

حيث شملت الدراسة جميع الصحفيين العاملين بصحف الخبر والنصر والوطن، والذين يعملون على تحرير الموضوعات التي لها علاقة بالأمن بمفهومه الشامل (وتم الاستغناء عن الصحفيين الذين يكتبون في الرياضة والفن...).

أما من حيث اختيار الصحف، فقد اعتمدنا على الطريقة العمدية كذلك، حيث وقع الاختيار على يومية الخبر،كونها من بين أكثر الصحف الجزائرية سحبا وتوزيعا ومتابعة من طرف القراء، كذلك الشأن بالنسبة لصحيفة الوطن ممثلة للصحف الناطقة باللغة الفرنسية، وكون الصحيفتين تمثلان القطاع الخاص فقد تم اختيار يومية النصر كممثلة للقطاع العام (وحصلنا بذلك على صحف ناطقة باللغة العربية والفرنسية، وصحف قطاع عام وقطاع خاص).

المبحث الثاني: نتائج الدراسة الميدانية:

الجدول رقم 01: يوضح توزيع عينة الدراسة حسب السن.

التكرار / السن	ك	%
30-20	2	%15,38
40-31	4	%30,77
50-41	4	%30,77
أكثر من 50	3	%23,08
المجموع	13	%100

يوضح الجدول رقم 01 توزيع عينة الدراسة حسب السن، حيث يتضح أن غالبية العينة تتراوح أعمارهم مابين 31-50 سنة، وذلك من خلال تمركز الإجابات عند الفئة العمرية في الاختيار الثاني والثالث، فجاء السن من 31-40 و41-50 بنفس النسبة في المرتبة الأولى التي بلغت 30,77% (أي ثلثي الإجابات)، ثم المرتبة الثانية لأكثر من 50 سنة بنسبة 23,08%، والمرتبة الثالثة للفئة السنية من 20-30 سنة بنسبة 15,38%.

جدول رقم 02: يوضح توزيع عينة الدراسة حسب التخصص.

* أساتذة من قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

التكرار / التخصص	ك	%
إعلام واتصال	3	%23,08
علوم سياسية	2	%15,38
آداب	3	%23,08
اقتصاد	2	%15,38
علم اجتماع	1	%7,69
أخرى	2	%15,38
المجموع	13	%100

يوضح الجدول رقم 02 توزيع عينة الدراسة حسب التخصص، حيث توضح النتائج على أن مهنة الصحافة ليست حكرا على تخصص معين، فتوزعت العينة على عدة تخصصات على النحو التالي:

تخصص الإعلام والاتصال مع تخصص آداب في المرتبة الأولى بنسبة 23,08%، والمرتبة الثانية لكل من تخصص العلوم السياسية والاقتصاد وتخصصات أخرى بنسبة 15,38%، ثم يأتي تخصص علم الاجتماع بنسبة 7,69%.

ويرجع سبب تنوع التخصصات في مهنة الصحافة إلى العديد من الأسباب لعل أهمها أن تخصص علوم الإعلام والاتصال كان لوقت قريب لا يوجد إلا بجامعة الجزائر العاصمة، بالتالي عدد المتخرجين والذين يعملون في مجال الصحافة قليل، ويعوض بذلك النقص من التخصصات الأخرى، هذا من الناحية التقنية، ومن الناحية الفنية فإن مهنة الصحافة تتطلب مهارة خاصة (فن) يجب أن يتحلى بها الصحافي إلى جانب حب المهنة، كما أن فترة الانفتاح الإعلامي واكبت زيادة أقسام الإعلام والاتصال وبالتالي زاد عدد المتخرجين من التخصص والتحاقهم بالمهنة في الجرائد اليومية خاصة، والتي فتحت المجال أمام المتخرجين وبالتالي نجد زيادة في عدد الصحافيين المتخصصين (الذين تلقوا تكوينا أكاديميا) .

جدول رقم 03:يوضح توزيع عينة الدراسة حسب الخبرة المهنية.

التكرار / الخبرة	ك	%
أقل من 05 سنوات	1	7,69
15-06	6	46,15
25-16	4	30,76
35-26	2	15,38
المجموع	13	%100

يوضح الجدول توزيع عينة الدراسة حسب الخبرة المهنية التي تتمتعبها عينة الدراسة، حيث حل في المرتبة الأولى اختيار من 06-15 سنة خبرة بنسبة 46,15%، ثم المترتبة الثانية للذين تصل خبرتهم مابين 16-25 بنسبة 30,76%، ثم المرتبة الثالثة للذين بلغت خبرتهم مابين 26,35%، والمرتبة الأخيرة لأقل من 05 سنوات بنسبة 7,69%.

ويمكن القول أن أفراد عينة الدراسة يتمتعون بخبرة لا بأس بها في مجال الصحافة، وذلك ينعكس على مردودهم في طريقة معالجة الموضوعات بمهنية وموضوعية، إذ كلما زادت الفترة التي يقضيها الصحافي في المهنة وخاصة في صحيفة لها مكانتها في الساحة الإعلامية الجزائرية كصحف الدراسة (على الأقل من حيث التوزيع و المقروئية) كلما زادت احترافيته وقدرته على الحصول على المعلومات الدقيقة من مصادرها الرسمية، نظرا للعلاقات التي يكوّنها مع مرور السنين، والتي تعتبر من أهم عناصر النجاح لأي صحافي،وذلك ينعكس على صورة الصحيفة بطبيعة الحال فقوة الصحيفة بقوة صحافييها وخبرتهم ومصادرهم، وطريقة تعاملهم مع الأخبار وخاصة الأخبار الأمنية.

جدول رقم 04: يوضح توزيع عينة الدراسة حسب ماهية الإعلام الأمني:

التكرار / المفهوم	ك	%
-كل ماتقوم به الأجهزة الأمنية.	**2**	**15,38**
-كل ما تنشره وسائل الإعلام.	**3**	**23,07**
-كلاهما.	**8**	**61,53**
المجموع	**13**	**%100**

يوضح الجدول رقم 04 توزيع عينة الدراسة حسب مفهوم عينة الدراسة من الصحفيين للإعلام الأمني، إذ ترى غالبية العينة أن الإعلام الأمني لا يقتصر على الصحافيين فقط كما أنه ليس من مهام الأجهزة الأمنية فقط، بل هو عمل وجهد يقوم به **كلاهما** أين حصل هذا الاختيار على المرتبة الأولى من إجابات المبحوثين بنسبة كبيرة بلغت 61,53%، وربما يرجع هذا الرأي كون عينة الدراسة -كما أسلفنا الذكر في الجدول السابق- تتمتع بخبرة لا بأس بها في ميدان العمل الصحافي والتعامل مع المعلومات الأمنية مما جعلهم يرجحون هذا الاختيار.

ثم حل في المرتبة الثانية من يرى أنه " كل ما تنشره وسائل الإعلام" بنسبة 23,07%، والمرتبة الثالثة بنسبة أقل لمن يرى بأنه " كل ما تقوم به الأجهزة الأمنية" بنسبة 15,38%/

جدول رقم 05:يوضح توزيع عينة الدراسة حسب الأهداف من تغطية الموضوعات الأمنية.

الاختيار / الأهداف	دائما		أحيانا		أبدا		المج	%
	ك	%	ك	%	ك	%		
-توفير ونشر المعلومة الأمنية للمواطنين (دحضا لشائعات).	**7**	**25**	**4**	**13,33**	**0**	**0**	**11**	**17,74**
- التوعية بكل ما هو جديد في مجال الجريمة.	**5**	**17,85**	**4**	**13,33**	**0**	**0**	**9**	**14,51**
-توعية المواطن بسبل الوقاية من الجريمة.	**6**	**21,42**	**6**	**20**	**0**	**0**	**12**	**19,35**
- السعي لخلق صورة إيجابية عن عمل الأجهزة الأمنية.	**0**	**0**	**5**	**16,66**	**3**	**75**	**8**	**12,90**

– رفع الحس الأمني للمواطن لتنمية روح المشاركة مع الأجهزة الأمنية.	6	21,42	6	20	0	0	12	19,35
– مساعدة الأجهزة الأمنية على تحقيق وظيفة الأمن والطمأنينة للمواطنين.	4	14,28	5	16,66	1	25	10	16,12
المجموع	28	%100	30	%100	4	%100	62	%100

يوضح الجدول رقم 05 توزيع عينة الدراسة حسب الأهداف التي تسعى الصحيفة لتحقيقها، حيث برز اختيار "توفير ونشر المعلومات الأمنية للمواطنين" (خاصة عند انتشار الشائعات) الذي جاء في المرتبة الأولى بنسبة 25%، وهي أهم وأقدم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها أي صحيفة، والتي تعتبر من مهامها الرئيسية، كما يعتبر هذا الهدف من الحاجات المعرفية التي يسعى أي قارئ إلى إشباعها، وبذلك يصبح هذا الاختيار معيار في انتقاء (القيم الاخبارية) ونشر المعلومة نظرا لأهميتها لدى الصحيفة ولدى القارئ.

فيما نلاحظ أن المرتبة الثانية جاءت لـ " توعية المواطن بسبل الوقاية من الجريمة" مع "رفع الحس الأمني للمواطن وتنمية روح المشاركة مع الأجهزة الأمنية" بنسبة 21,42%، وهذه الأهداف كذلك تتقاطع مع حاجات الجمهور المعرفية و التوجيهية التي يحاول إشباعها.

كما تسعى صحف الدراسة إلى تحقيق أهم قيمة من القيم الإخبارية، فالإضافة إلى أهمية الخبر، نجدها تسعى لتحقيق قيمة الجدة أو الآنية من خلال محاولة "التوعية بكل ما هو جديد في مجال الجريمة" الذي جاء في المرتبة الثالثة بنسبة 17,85%.

وفي إطار تحقيق وظيفة الأمن والتي كما رأينا (في الجانب النظري) أنها وظيفة لا تستطيع جهة معينة أن تحققها بمفردها، فإن من الأهداف التي تسعى إليها صحف الدراسة حسب رأي الصحافيون هو "مساعدة الأجهزة الأمنية على تحقيق وظيفة الأمن والطمأنينة للمواطنين" وكان ذلك بنسبة 14,28%.

ويلاحظ على النتائج السابقة أنها تركزت في فئة الأهداف التي تسعى الصحف إلى تحقيقها "**دائما**"، إلا الهدف الخاص بـ "السعي لخلق صورة إيجابية عن عمل الأجهزة الأمنية" الذي جاء بنسبة عالية بلغت 75% عند فئة "**أبدا**" ، وهي نتيجة تخالف ما توصلت إليه الدراسة التحليلية لصورة رجل الأمن في صحف الدراسة والتي جاءت بأنها تقدم "صورة إيجابية" بنسبة كبيرة بلغت 81,13% (أنظر فصل الدراسة التحليلية الجدول رقم 21) فهذه الوظيفة إذا ليست من الأهداف الرئيسية والمباشرة لصحف الدراسة، وربما تتحقق بطريقة عرضية، من خلال تغطية تدخلات الأجهزة الأمنية والتي تتميز فعلا بأنها إيجابية وبالتالي طريقة التقديم تكون كذلك (النشر بموضوعية).

ثم بنسبة أقل "مساعدة الأجهزة الأمنية على تحقيق وظيفة الأمن والطمأنينة للمواطنين" بـ 25% والتي حصلت على نسبة أعلى عند اختيار "دائما".

وجاء ترتيب الأهداف من خلال المجموع العام على النحو التالي:

ومن الناحية العملية فإن الصحفيين العاملون بصحف الخبر والنصر والوطن، أجمعوا على أن أهداف معالجة الموضوعات الأمنية لا تخرج عن نطاق ما ذكره الباحثون، حيث جاءت إجاباتهم متقاربة في ما يخص الأهداف التي عرضت عليهم، وجاءت إجاباتهم كالآتي:

جاء كل من " توعية المواطن بسبل الوقاية من الجريمة" و "رفع الحس الأمني للمواطن لتنمية روح المشاركة مع الأجهزة الأمنية" بنسبة 19,35%، والمرتبة الثانية لـ "توفير ونشر المعلومة الأمنية للمواطنين (دحضا لشائعات)" بنسبة 17,74%،

ثم المرتبة الثالثة لـ "مساعدة الأجهزة الأمنية على تحقيق وظيفة الأمن والطمأنينة للمواطنين" بنسبة 16,12%، ثم "التوعية بكل ماهو جديد في مجال الجريمة" بنسبة 14,51%، والمرتبة الرابعة لـ "السعي لخلق صورة إيجابية عن عمل الأجهزة الأمنية" بنسبة 12,90%.

جدول رقم 06:يوضح توزيع عينة الدراسة حسب المعايير المعتمدة قبل نشر الموضوعات الأمنية.

الاختيار / المعايير	دائما		أحيانا		أبدا		المج	%
	ك	%	ك	%	ك	%		
– أهمية الخبر	13	17,10	0	0	0	0	13	10,04
– مدى صدق ودقة المعلومة الأمنية	13	17,10	0	0	0	0	13	10,04
– تحري الموضوعية	12	15,78	1	2,22	0	0	13	10,04
– أن يتناسب مع السياسة التحريرية للصحيفة	5	6,57	5	11,11	0	0	10	8
– مراعاة عاملي القرب المكاني والنفسي للخبر	1	1,31	8	17,77	1	25	10	8
– لما يحققه من فائدة للقارئ	7	9,21	3	6,66	0	0	10	8
– لما فيه من تشويق	2	2,63	9	20	0	0	11	8,8
– حسب ضخامة الحدث وعدد الفاعلين فيه	3	3,94	7	15,55	1	25	11	8,8
– شهرة الشخصيات أو الفاعلين في الخبر	4	5,26	7	15,55	1	25	12	9,6
– مراعاة عامل الجدة والآنية في الخبر الأمني	10	13,15	2	4,44	0	0	12	9,6
– مراعاة التوقيت المناسب للنشر	6	7,89	3	6,66	1	25	10	8
المجموع	76	%100	45	%100	4	%100	125	%100

يوضح الجدول رقم 06 توزيع عينة الدراسة حسب المعايير المعتمدة قبل نشر الموضوعات الأمنية، حيث تعتبر القيم الصحفية من ركائز العمل الصحفي التي ينبغي على الصحفي معرفتها والتقيد بها حسب ما تقتضيه السياسة التحريرية للصحيفة التي يعمل فيها، كما أن معرفتها تسهل عليه عملية انتقاء الأخبار والمعلومات مما قد يوفر عليه الجهد والوقت.

والملاحظ من خلال إجابات المبحوثين أن أهم قيمة إخبارية تعتمدها صحف الدراسة عند فئة "**دائما**" هي " أهمية الخبر" (والتي يصنفها بعض الباحثون على أنها من القيم الأساسية) والتي حلت في المرتبة الأولى بالتساوي مع قيمة " صدق و دقة المعلومة الأمنية" بنسبة 17,10% ، وصدق المعلومة خاصة الأمنية لا يتحقق إلا بالحصول على المعلومة من مصدرها الرئيس وهم الأجهزة الأمنية خاصة، لذلك قلنا سلفا بضرورة تكوين شبكة من العلاقات للصحافي، والتقرب من الأجهزة الأمنية للحصول على المعلومة الصحيحة، وعدم التسرع في نشر المعلومة قبل التأكد منها، أو عدم نهاية التحقيق فيها، كما قد يسعى الصحافي إلى تنويع المصادر للتأكد من صحة المعلومة في حالة تضارب المعلومات أو عدم الوصول في الوقت المناسب لتغطية الحدث، ويتأتى هذا بفضل الخبرة في مجال العمل الصحافي، (حيث أجاب كل المبحوثين على هاتين القيمتين).

ثم جاءت المرتبة الثانية لقيمة "الموضوعية" بنسبة 15,78%، وهي قيمة مهمة جدا، حيث يجب على الصحفي ألا يحاول التأثير في الرأي العام وإبراز ذاتيته من خلال التعليق على **الخبر** أو بالإضافة أو الحذف في مضمون الخبر.

أما القيمة الثالثة فهي قيمة "الجدة والآنية" (والتي تصنف كذلك على أنها من القيم الأساسي)، فعمر الخبر قصير جدا، وهو أسرع سلعة قابلة للتلف كما يقال، ففي حين كان عمر الخبر في الصحافة المكتوبة يدوم 24 ساعة، وكانت تعاني الصحافة من هذا العامل لمواجهة سرعة نقل الخبر في الإذاعة والتلفزيون، سمحت التكنولوجيا الحديثة للصحافة المكتوبة أن تركب موجتها وتنشر نسخة إلكترونية تستطيع من خلالها مواكبة آخر الأخبار(من خلال تخصيص نافذة لآخر الأخبار تحدث باستمرار) وتحقيق هذه القيمة في ظل المنافسة الشديدة في عالم الإعلام والاتصال وتراجع الرقابة على الأخبار وزيادة هامش الحرية في النشر، حيث حصلت على نسبة 13,15%، ثم تأتي في المرتبة الرابعة قيمة " تحقيق الفائدة للقارئ" بنسبة 9,21%، سواء أكانت فائدة معرفية توجيهية أم فائدة اجتماعية أم نفسية، مع مراعاة "عامل توقيت النشر" الذي جاء في المرتبة الخامسة بنسبة 7,89%. فيما جاءت باقي القيم في المراتب المتبقية بنسب مئوية لم تتعدى 7%، حيث تمركزت في غالبيتها عند الفئة "أحيانا" وبدرجة أقل "أبدا".

وحسب المجموع كما هو ملاحظ من خلال نتائج الجدول فإن أهم القيم التي تعتمدها صحف الدراسة جاءت قيمة الأهمية والصدق والدقة مع الموضوعية في المرتبة الأولى بإجماع الصحفيين، وفي المرتبة الثانية من حيث الأهمية جاءت قيم الجدة والآنية مع قيمة الشهرة، والمرتبة الثالثة لكل من قيمة التشويق مع الضخامة، وجاءت باقي القيم في المرتبة الرابعة والأخيرة بالتساوي.

جدول رقم 07:يوضح توزيع عينة الدراسة حسب معوقات التعامل مع المعلومة الأمنية.

الاختيار / المعوقات	دائما		أحيانا		أبدا		∑	%
	ك	%	ك	%	ك	%		
– عدم توفر الكوادر الإعلامية المؤهلة للقيام بتحرير الموضوعات الأمنية.	0	0	6	5,76	3	20	9	5,45
– عدم وجود قسم متخصص في الموضوعات الأمنية	1	2,17	6	5,76	3	20	10	6,06
–عدم وجود دورات تكوينية في المجال الأمني.	3	6,52	5	4,80	2	13,33	10	6,06
– حساسية الموضوعات الأمنية.	4	8,69	7	6,73	0	0	11	6,66
– مراعاة خصوصية المجتمع.	2	4,34	7	6,73	1	6,66	10	6,06
– ضعف الوعي الأمني لدى القراء.	2	4,34	5	4,80	2	13,33	9	5,45
– عدم القدرة على الاتصال بالمسؤولين عن الأجهزة الأمنية.	4	8,69	9	8,65	0	0	13	7,87
–عدم إدراك مسؤولي الأجهزة الأمنية بأهمية دور الصحافة في الوقاية من الجريمة.	3	6,52	8	7,69	0	0	11	6,66
– الخوف من المتابعات القضائية.	1	2,17	4	3,84	4	26,66	9	5,45
– التعاون مع الأجهزة الأمنية مفقود.	1	2,17	10	9,61	0	0	11	6,66
– التذرع بسرية الموضوع من قبل المسؤولين الأمنيين.	5	10,86	5	4,80	0	0	10	6,06
– شح المعلومات الأمنية التي تسمح بها أجهزة الأمن.	7	15,21	4	3,84	0	0	11	6,66
–لا تسمح الأجهزة الأمنية بتنقل الصحفيين معهم لتغطية الحدث الأمني.	4	8,69	7	6,73	0	0	11	6,66
–لا توجد ثقة متبادلة في التعامل مع الأجهزة الأمنية.	2	4,34	8	7,69	0	0	10	6,06
–عدم عقد لقاءات وندوا ت صحفية حول الموضوعات الأمنية.	1	2,17	7	6,73	0	0	8	4,89
–تهرب المسؤول من الإجابة على أسئلة الصحفيين.	6	13,04	6	5,76	0	0	12	7,27
المجموع	46	%100	104	%100	15	%10	165	%100

يوضح الجدول رقم 07 توزيع عينة الدراسة حسب معوقات التعامل مع المعلومة الأمنية كما يراها الصحافيون، حيث ترى عينة الدراسة أن من أهم المعوقات التي تواجهها "**دائما** "هي " شح المعلومات الأمنية التي تسمح بها الأجهزة الأمنية" حيث بلغت نسبة 15,21% وجاء الاختيار في المرتبة الأولى، ويرجع السبب حسبهم لـ "تهرب المسؤولين من الإجابة على أسئلة الصحافيين" الذي جاء في المرتبة الثانية بنسبة 13.04%، كما " تتدرع الأجهزة الأمنية بسرية الموضوع" حيث جاء بنسبة 10,86%، كما توجد مجموعة أخرى من الأسباب تؤدي إلى عدم الحصول أو الوصول إلى المعلومة الأمنية منها " حساسية الموضوعات الأمنية" و " عدم القدرة على الاتصال بالمسؤولين عن الأجهزة الأمنية" و " لا تسمح الأجهزة الأمنية بتنقل الصحافيين معهم لتغطية الحدث الأمنية" حيث حلت الاختيارات في نفس المرتبة بالتساوي بنسبة 8,69/%.

كما ترى العينة أن "التعاون مع الأجهزة الأمنية مفقود" "**أحيانا**" بنسبة 9,61% حيث حل في المرتبة الأولى في هذه الفئة، والمرتبة الثانية لـ" عدم القدرة على الاتصال بالمسؤولين عن الأجهزة الأمنية" بنسبة 8,65%، والثالثة لاختيار كل من "عدم

إدراك مسؤولي الأجهزة الأمنية بأهمية دور الصحافة في الوقايةمن الجريمة" و بأنه "لا توجد ثقة متبادلة في التعامل مع الأجهزة الأمنية " بنسبة 7,69/%.

في حين أجابت العينة بـ"**أبدا**" عند اختياري " عدم توفر الكوادر الإعلامية المؤهلة للقيام بتحرير الموضوعات الأمنية" و " عدم وجود قسم متخصص في الموضوعات الأمنية" في المرتبة الأولى بنسبة 20%، والمرتبة الثانية عادت لاختيار كل من " عدم وجود قسم متخصص في الموضوعات الأمنية" و " ضعف الوعي الأمني لدى القراء" بنسبة 13.33%.

ومن خلال المجموع العام لإجابات المبحوثين، فقد جاء على رأس المعوقات " عدم القدرة على الاتصال بالمسؤولين عن الأجهزة الأمنية" بنسبة 7,87%، بسبب" تهرب المسؤول من الإجابة على أسئلة الصحفيين" بنسبة 7,27%، الذي حل في المرتبة الثانية، يليها كل من " حساسية الموضوعات الأمنية" و" عدم إدراك مسؤولي الأجهزة الأمنية بأهمية دور الصحافة في الوقاية من الجريمة" و" التعاون مع الأجهزة الأمنية مفقود" و " شح المعلومات الأمنية التي تسمح بها أجهزة الأمن" و" لا تسمح الأجهزة الأمنية بتنقل الصحفيين معهم لتغطية الحدث الأمني" في المرتبة الثالثة بنسبة 6,66%، ثم اختيارات " عدم وجود قسم متخصص في الموضوعات الأمنية"، و" عدم وجود دورات تكوينية في المجال الأمني"، و " مراعاة خصوصية المجتمع"، و " التذرع بسرية الموضوع من قبل المسؤولين الأمنيين"، و" لا توجد ثقة متبادلة في التعامل مع الأجهزة الأمنية" في المرتبة الرابعة بنسبة 6,06%، والمرتبة الخامسة بالتساوي كذلك لاختيار " عدم توفر الكوادر الإعلامية المؤهلة للقيام بتحرير الموضوعات الأمنية"، مع " ضعف الوعي الأمني لدى القراء"، و "الخوف من المتابعات القضائية" بنسبة 5,45 %، والمرتبة الأخيرة لاختيار " عدم عقد لقاءات وندوا ت صحفية حول الموضوعات الأمنية" بنسبة 4,89%.

جدول رقم 08 يوضح توزيع عينة الدراسة حسب سبل تطوير الإعلام الأمني:

التكرار / الاختيارات	ك	%
–ضرورة تسهيل عملية الوصول للمعلومة الأمنية.	6	%24
–إجراء دورات تكوينية للصحفيين العاملين في مجال معالجة الموضوع الأمني.	3	%12
–فتح تخصصات أكاديمية في مجال الإعلام الأمني.	1	%4
–ضرورة خلق الثقة بين الصحفيين والأجهزة الأمنية.	3	%12
–ضرورة التعاون والتكامل بين الإعلاميين والأجهزة الأمن.	2	%8
–ضمان حق المواطن في الحصول على المعلومة الأمنية.	2	%8
–تحسين ظروف العمل لرجال الإعلام والأمن.	1	%4
–تنظيم لقاءات حول الموضوع.	1	%4
–التواصل الدائم بين الجهازين الإعلامي والأمني.	3	%12
–عدم التذرع بسرية المعلومات واعتماد مبدأ الشفافية.	2	%8
–تكثيف إخراج الصحفيين في الخرجات الأمنية	1	%4
المجموع	25	%100

يوضح الجدول رقم 08 رأي عينة الدراسة حول سبل تطوير الإعلام الأمني، فمن منطلق الخبرة والعمل الميداني في ممارسة "مهنة المتاعب" (كما يحلو للبعض تسميتها). ومن خلال المعوقات التي يواجهها الصحافي يوميا والتي ذكرنا بعضها أو أهمها في الجدول السابق (رقم 07)،فإن الصحافيين أجمعوا على عدد من الاقتراحات، أو الحلول، لتطوير الإعلام الأمني، والتي جاءت على النحو التالي:

إن أهم قضية ينبغي أخذها بعين الاعتبار و العمل على تدليلها هي: " ضرورة تسهيل عملية الوصول للمعلومة الأمنية"، التي جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 24%، وبعد تحقيق هذا الهدف ينبغي " إجراء دورات تكوينية للصحفيين العاملين في مجال معالجة الموضوع الأمني"، مع " ضرورة خلق الثقة بين الصحافيين والأجهزة الأمنية" و العمل على " التواصل الدائم بين الجهازين الإعلامي والأمني" حيث حلت الاختيارات في المرتبة الثانية بنسبة 12%، كما أن التواصل وحده لا يكفي إذ لا بد من " ضرورة التعاون والتكامل بين الإعلاميين والأجهزة الأمن"، من أجل " ضمان حق المواطن في الحصول على المعلومة الأمنية"، وابتعاد المسؤولون في الأجهزة الأمنية على " عدم التذرع بسرية المعلومات واعتماد مبدأ الشفافية"، وهي الاختيارات التي حلت في المرتبة الثالثة بنسبة 8%، ومن أجل تحقيق كل ذلك لا بد من توفر مجموعة من الشروط بدءا بـ " فتح تخصصات أكاديمية في مجال الإعلام الأمني"، و " تحسين ظروف العمل لرجال الإعلام والأمن"، و " تنظيم لقاءات حول الموضوع"، مع " تكثيف إخراج الصحافيون في الخرجات الأمنية"، لينقل الوقائع كما بموضوعية واحترافية لتوفر جميع عناصر الحدث، حيث جاءت هذه الاختيارات بنسبة 4%.

وما ينبغي الإشارة إليه أن كل الاقتراحات السالفة الذكر التي وضعها الصحافيون من أجل تطوير الإعلام الأمني (على اختلافها في الترتيب) يجب الأخذ بها بشكل متكامل، لأنها تمثل حلقة متسلسلة-حسب رأيي- ونقصان أو تحييد أي منها يؤدي إلى خلل في تطوير هذا المفهوم.

خاتمة:

تناول البحث في العرض السابق بالإضافة إلى الإطار المنهجي للبحث، مجموعة من النتائج المهمة التي تم عرضها في التحليل الكيفي لجداول البحث، والتي بينت آراء الصحافيين حول مفهوم الإعلام الأمني، بالإضافة إلى الأهداف التي يسعى إليها الصحافي والمؤسسات الصحفية من تغطيتهم للموضوعات الأمنية، و معايير النشر المعتمدة، كما بينت أهم المعوقات التي تواجه الصحافي خلال تعامله مع المعلومة الأمنية نظرا لحساسيتها، وتم في الأخير عرض اقتراحات الصحافيين لسبل تطوير الإعلام الأمني والتي على رأسها ضرورة تسهيل عملية الوصول إلى المعلومة الأمنية.

كما لا يفوتنا في نهاية هذا البحث أن ننوه إلى أن الموضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث، وخاصة في شقه الخاص بالقائم بالاتصال على مستوى الأجهزة الأمنية، لمحاولة معرفة رأيهم في الموضوع وهي دعوة للباحثينللخوض في هذا المجال الخصب من الدراسات الإعلامية.

قائمة المصادر والمراجع حسب ترتيبها في المتن:

1- جماعة من المختصين، **معجم النفائس الوسيط**، إشراف: أحمد أبو حافة، ط1،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، 2008،ص675.

2- كرم شلبي، **معجم المصطلحات الإعلامية**، انجليزي/عربي، ط1، دار الشروق، 1989،ص 316.

3- أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات الإعلام إنجليزي.فرنسي.عربي**، تقديم أحمد خليفة،ط2، ذار الكتاب المصر القاهرة-تدار الكتاب اللبناني،بيروت، 1994ص 90.

4- عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي، **الإعلام الأمني مفهومه، وأهميته، ووظائفه**، مجلة البحوث الأمنية، المملكة العربية السعودية، وزارةالداخلية، كلية الملك فهد الأمنية،مركز الدراسات والبحوث، المجلد 21،العدد 53، نوفمبر 2012،ص 28.

5- عبد الرحمان بن محمد عسيري، **العمل الإعلامي الأمني العربي:المشكلات والحلول**، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية،الرياض،2000،ص 28،27.

6- بركة بن زامل الحوشان، "الإعلام الأمني العربي"،**العمل الإعلامي العربي: المشكلات والحلول**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 2005، ص11.

7- حمزة بن أحمد بيت المال،"الإعلام الأمني والأمن الإعلامي"، **الإعلام الأمني:المشكلات والحلول**،أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،مركز الدراسات والبحوث،الرياض،2002،ص28،27..

8- علي عجوة، "الإعلام الأمني: المفهوم والتعريف"،**الإعلام الأمني:المشكلات والحلول**،أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،مركز الدراسات والبحوث،الرياض،2002،ص 15.

9- سلمان داود الصباح، "السبل الكفيلة بتوثيق الصلة بين الإعلام والأمن"، **علاقة الإعلام بالمسائل الأمنية في المجتمع العربي**،دار النشر بالمركزالعربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض،1988،ص83.

10- عبد الرحمان بن محمد عسيري، المرجع السابق، ص 30،29.

11- عبد الرحمان بن محمد عسيري، موسومة بـ "**العمل الإعلامي الأمني العربي –المشكلات والحلول**-"، أكاديمية نايف العربية للعوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث،الرياض، 2000،العدد246. بحث منشور

12- عامر قنديلجي، إيمان السامرائي: **البحث العلمي –الكمي والنوعي-**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،عمان،الأردن، 2008،ص 187.

13- جودت عزت عطوي: **أساليب البحث العلمي، مفاهيمه-أدواته-طرقه الاحصائية**، ط2، ذار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، 2007،ص 175.

14- عامر قنديلجي، **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية-أسسه،أساليبه، مفاهيمه،أدواته**،ط1،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان،الأردن،2008،ص 165

15- جودت عزت عطوي،المرجع السابق،ص 99.

16- عامر قنديلجي،المرجع السابق، ص ص،154،153.

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Directeur d'honneur
Pr. FARHATI Omer
(Directeur de l'université)

Directeur de la Revue:
Dr.TERKI Abderrahmane
(doyen de Faculté des Sciences Sociales et Humaines)

Rédacteur en chef
Dr.CHAFOU radhouane

Comité Editorial
Dr.machri soulaf
Ismahan djbali
Amrani mouad

Numéro 5 / Juin 2015
ISSN 2170-0370 ردمد